

مَدَامِيسْتَر

ظَلَّ أَنْفَ الْكَلامِ مِنْ عَزَائِمِ الْيَوْمِ

أو

صور منه حياة النيك وجبل القلمون

في أواسط القرن التاسع عشر

بقلم

بِزْنِ الْفَتَاوَى الْفَتَاوَى الْفَتَاوَى

اميرة الصندوق في النيك

سابقة

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

١٩٣٦

بِطَبْعَةِ الْفَتَاوَى الْفَتَاوَى الْفَتَاوَى

مَدَامِة

طَائِفَةُ الْأَمْنِ عَزَائِدُ الْيَوْمِ

أو

صور من حياة النيك وجبل القلمون

في أواسط القرن التاسع عشر

بقلم

بني يوسف سري شين

امبه الصديق في النيك

—

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

١٩٣٦

مُطْبَعَةُ الْقَدِيشِ عَزَائِدُ الْيَوْمِ

طرائف الامس غرائب اليوم

هَذَا الْمَسَرَّة

# طَرَانَةُ الْأَمِيرِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

أو

صور منه حياة النيك وجبل القلمون

في أواسط القرن التاسع عشر

ولله في هذا العمل  
إسهامه الصندوق في النيك

سابقاً

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

١٩٣٦

مُطْبَعَةُ الْقَدِيرَةِ بِبَغْدَادِ



# مقدمة الوطني الكبير رشيد بك نخله

امير الزجل اللبناني

الطرائف

تلقيتها كتاباً متنوع الفصول متعدد البهجات في تقاليد « جبل القلمون » عامة و « النبك » موطن المؤلف خاصة . فأكبرت صياغة الصديق الكريم يوسف افندي خفشت في هوى التاريخ الوطني ووفاءه لدار ميلاده وارض ترعرعه

وليس بالقليل هذا كله في باب الوطنية . فقوميات الشعوب لا تُستبقى الا باستبقاء تقاليدها ، وان استُخشن قديما في نعومة جديدها . فكيف اذن بمن جمع لك بين هاتين الدفتين كل واردة من عادات ذلك الجبل وتقاليده ، وكل شاردة من اساليب المواصله فيه وطرائق المعاشة حتى في حقائر ما لا يكاد يلتفت اليه الخاطر من اشياء القوم وشيائهم ! ذلك فضلاً عما ياشيك في خلل الكتاب من حنان عميق على حاضر يتوَلَّى ، وتحنان رقيق الى ماضٍ توَلَّى . فكان قلم الكاتب في هذه السبعات الحلوة يفي بذمة ويقوم بميثاق فوق وفائه لحقيقة التاريخ وقيامه بما ينبغي لها

فالله تعالى وكبر ياخذ بيد كل من رعى ذمة ، ووعى تاريخ امة ، وجمع شتات ما انطوى من فضائلها ونشر ، وذكر بمبتدأ اخبارها وذكر ، وهو سبحانه يحزل مكافأة العاملين المخلصين

رشيد نخله

بيروت في ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٣٧

## مقدمة الاستاذ عيسى الكندر المملوف

كلمة في « طرائف الاس غرائب البرم »

من انواع التواريخ الوطنية، التي هي مرآة الحياة، البحث في « العادات والاخلاق والتقاليد » في كل قطر، لاختلاف ذلك في احدها عن الآخر . ولقد عالج كثير من المؤلفين هذه البحوث، وكتبوا فيها المقالات، وألفوا الكتب والرسائل عند الاجانب والعرب، ولا سيما المستشرقون الذين كلفوا بمثل هذه الشؤون وتبعوها ونشروها فكانت آية الابداع

وكنيت قد اقتفيت آثار من تقدمني بوضع كتاب « لطائف السمر في لبنان والقرن التاسع عشر »، وفيه اشياء كثيرة عن المعتقدات والعادات، وهو لا يزال مخطوطاً، وكتبت مقالة مطولة في « تاريخ لبنان » في الحرب الكبرى افضت فيها « بوصف الاخلاق والعادات في لبنان » وما يجاوره وقد طبع الكتاب . ثم القيت محاضرة بالمدرسة الشرقية في زحلة بعنوان « الاخلاق بمجموع عادات طُبعت على حدة برسالة . وكذلك اقتبست من هذه الشؤون كثيراً لما طبع من مؤلفاتي، مثل « مجلة الآثار » في مجلداتها الخمسة و « دواني القطوف » و « تاريخ زحلة » و « تاريخ الامير فخر الدين الثاني المعني » وغيرها . فكشفت هذه البحوث اشياء كثيرة عن عادات كثير من بلادنا اللبنانية والسورية والفلسطينية وما يجاورها . وبقيت عادات جبل القلمون واخلاق سكانه مجهولة عند كثيرين . فحبذا لو اعتنى كل قطر بتدوين آثار بلاده الاجتماعية

## ج

فوضع صديقنا الكريم يوسف افندي خنشت هذا الكتاب باسم « طرائف الامس غرائب اليوم »، ضمنه كل شاردة مما كان في النبك خصوصاً وجبل القلمون عموماً، مما هو غريب مخالف احياناً لمثلها عند غيره . وذلك باستقراء بديع وتبع غريب واسلوب طريف ملاً فيه هذه الصفحات مزينة برسوم تمثل كثيراً من تلك النواذر التي كانت عند الاسلاف ولم تزل بقاياها القليلة تحدث عنها ولكنها تهمل شيئاً فشيئاً حتى لا يعود لها اثر في ما يأتي . وذلك لاننا الآن سريعو التقليد لغيرنا والاعراض عما عندنا من المحاسن احياناً، واستبدالها بما لا يناسب حالتنا . وهو داء عضال فينا يصعب شفاؤه

فيكون جمع مثل هذه الآثار، ولا سيما ما كان بقلم المعاصرين والواقعين عليه، يعيد اليها كثيراً مما كان عندنا من التقاليد والغرائب، فتبقى مدونة لمن يأتي بعدنا يستطلع منها طلع شؤون الماضين . وحذا لو تنبه كل قطر من اقطارنا الى تدوين مثل هذه الروائع فانها تدل على ما كان يدور بين الناس في القديم من الحوادث والعادات والنكات، يستنتج منها اللبيب اقيسة مبنية على مقدمات تدل على شؤون الاسرة في حياتها ومعايشها واساليب اجتماعها ومظاهر تقاليدها ومتلون عاداتها ونادر اعمالها وشارد معتقداتها وطرق اناشيدها وتلاحينها واغانيتها وشعرها القومي وتعايرها العامية بمحادثاتها وازجالها وموافقات ذلك لاحوال اقليمها وفطرة سكانها ومرمى اغراضهم واختيار مقتبساتهم ومعرفة اذواقهم وتصرفاتهم في ولاداتهم واجتماعاتهم وولائمهم واعراسهم ومآثمهم واعمالهم على اختلاف انواعها



وعلى الجملة فان مثل هذه المقالات تصور لنا مجمل حياتهم وسلوكهم وتصرفهم واخلاقهم . وليست الاخلاق الا مجموع عادات والعادات خلاصة الحياة . ونحن باشد حاجة الى مثل ذلك لقياس الحاضر على الماضي ونبذ ما لا يوافق واقتباس ما ينفع

فنشكر لجامع هذه « الطرائف » سعيه في تدوينها باستقراء وتقصي ، ولطابعيها نشرها باتقان . طالبين لهذا الكتاب رواجاً يستحقه لانه جدير ان يكون بين ايدي المطالعين للوقوف على ما يجهلونه من شؤون الاسلاف . والله ولي التوفيق

عيسى اسكندر المعلوف

بيروت في ١١ ك ٢ سنة ١٩٣٧



## مقدمة المؤلف

تسير عاداتنا المحلية في سبيل الانقراض . فلا يمضي يوم بدون ان يدخل عليها شيء جديد من صور الحياة الجديدة، متسرباً اليها بطريق الاختلاط باقوام تخلقوا بغير عاداتنا المعروفة . فكاد يمحى ذلك الطابع الذي تمتاز به عن غيرها . حتى لنستطيع القول بان هذه العادات لا تلبث ان يطويها الماضي مع ما طواه من عادات الاجيال الخوالي، ويجعلها نسياً منسياً، فلا تعود تظهر بعد ذلك الا بمظهر الاثر الدارس، يروق العين مرآه وتبهج الخاطر اخباره، بما فيها من غريب تأنس الى غرابته، او مستهجن ترى فيه لذة وطرباً

وقد حملنا هذا الامر على تدوين بعض هذه العادات - المنتشرة في بلدة النبك خصوصاً، وفي القلمون عموماً مع بعض اختلافات بسيطة احياناً - وتصويرها تصويراً بسيطاً صادقاً . فإننا لم نتوخَّ ان يكون تصويرنا اثرًا فنيًا تبدو عليه ملامح الصناعة والكلفة، ولا درساً في العادات ممتعاً نتأثر فيه اصل تلك العادات وتطورها . بل اقتصرنا على تصويرها في هذا الوضع، متقيدين تقيداً تاماً بشكلها كما كان، بدون زيادة ولا نقصان، لكي تكون تراثاً نستعين به الاجيال الآتية على معرفة شكل حياة اسلافها و كيفية معيشتهم

ولقد عقدنا النية على ان لا ندخل على هذه العادات شيئاً من الاثر الغريب، حتى تظل مصطبغة بهذه الصبغة المحلية . وحرصنا كل الحرص على ان نصورها كما هي، بكل ما فيها من سذاجة

وبساطة تنسم بهما حياة اهل هذه المنطقة المنعزلة، التي لم يؤمن لها اتصال بغيرها من الامم لتتعرف بعاداتها وتأثرها . وانما تظهر هذه العادات وهذه الاخلاق في صور كثيرة واشكال مختلفة، كان سبيلنا اليها مراقبة طويلة واختبار شخصي تمكنا به من الوقوف على هذه العادات ومعرفتها معرفة دقيقة، حتى لم يفتنا منها شي . لان اقل هذه الامور اهمية كان يسترعي انتباهنا مثلما كان يسترعيه اكثرها اهمية

وقد حملتنا رغبتنا في تصوير هذه العادات في شكلها الصادق، على ان نعود بذكرياتنا الى خمسين سنة خلت، كانت لا تزال فيها هذه العادات حية لم يعلق بها اي اثر غريب . واستعنا، للتثبت مما فاتنا تذكاره، بمن عاشوا في تلك الايام وكانوا يمارسونها ويحيونها، حتى كانت لنا من ذلك صورة فيها من الصدق والامانة والحياة ما لا يجعل سبيلاً للشك في صحتها وثبوتها . وعسى ان نوفق في هذا المسمى . والله عوننا، ونعم الوكيل

وقد تلطف كل من الوطنيين الكبارين رشيد بك فحلة امير الزجل اللبناني والاستاذ المؤرخ المدقق عيسى اسكندر المعلوف فصدرا كتابنا بما اوحى اليهما نفسيهما العالية . فنقدم لهما عبارات شكرنا الخالص . ادامهما المولى ذخرًا للادب ومفخرة من مفاخر الوطن العزيز

يوسف فنت





رسم المؤلف

# فهرس

صفحة		صفحة	
	الولائم	١	مقدمة رشيد بك نخله
٢٨	الموقدة والوجاق		مقدمة الأستاذ عيسى اسكندر المعاوف ب
٢٩	القهوة	٥	مقدمة المؤلف
٣٠	تناول الطعام		النبك عاصمة جبل القلمون
	السهرات		موقعها . عدد سكانها . مناخها .
٣٣	لعبة الصينية	١	منظرها . المشاهد المحيطة بها
٣٣	لعب الورق	٤	بنياتها
	اللباس	٥	عمرانها
٣٤	البسة الرجال		الحياة في القلمون بوجه عام
٤٠	البسة النساء	٩	اشغال اهل القلمون
٤٢	حلى النساء	١٠	مآكلهم
٤٤	فلاحتهم وزراعتهم	١٤	شغل النساء
٤٦	الخصاد	١٦	الغسيل على النهر
٥٢	الدراس	١٨	عمل الكشك
٥٥	التذرية	١٩	اعمال الرجال اليومية
٥٩	نقل الاغلال		تعليم الاولاد
	صنع البرغل	٢٠	الحسية
٦٠	سلق البرغل	٢١	المشايع والفلاحون
٦٢	تنميش البرغل	٢٣	التجنيذ
٦٣	جرش البرغل	٢٦	عصريات الفلاحين

صفحة		صفحة	
١٠٧	يوم الهوج والموج	٦٥	اغاني الجرش
١٠٨	العزامين	٦٨	فرق البرغل
١٠٨	دعوة اهل الخارات	٦٩	السطاح
١١٢	حلاقة العريس	٧١	التدييس
١١٤	جلب الفرشات		الخطبة والزواج
١١٤	الباس العريس		عبارات المجاملة والتحريطات في
١١٥	تحويل الارز		الاحاديث
١١٥	تزيين العروس وتجميلها	٧٣	مقدمات الخطبة والزواج
١١٧	جلوة العروس	٧٤	التمشية
١٢٠	جلب العروس	٧٧	الخطبة
١٢٦	يوم القاضي	٧٨	بعد الخطبة
١٢٦	جلب الذبائح	٨٦	الجهاز
١٢٧	غداء العروس	٨٧	مركب ملاقة الجهاز
١٢٧	القاضي	٨٨	صر الجهاز
١٢٩	نقوطة العروس	٩٠	العرس
١٣١	الطباخ	٩١	المشورة الصغيرة
١٣٢	الولادة	٩٢	المشورة الكبيرة
١٣٦	الطهور	٩٤	جلب الشيخ
١٣٧	العماد	٩٥	الذبائح
١٣٨	التعليلة او الليلة الراقصة	٩٩	ملاقة الضيوف
١٤٩	الدبكة	١٠٠	جلب العروس من الحمام
	اعيادهم	١٠١	اخذ الحناء
	اعياد المسلمين	١٠٣	حناء العريس الكدائية
١٥٦	اعياد المسلمين	١٠٣	حمام العريس
١٦٢	اعياد المسيحيين	١٠٥	حناء العريس الصحيحة
		١٠٦	حناء العروس

صفحة	صفحة
مطلع الاغاني التي تقال في الدبكة	المآثم
ويتبارى فيها الادبا.	١٦٤ عيادة المرضى
١٧٠ مطلع اغاني الدبكة المستعجلة وكان	١٦٥ الوفاة
الشباب والصبايا يدبكون	الاهازيج والاغاني
١٧١ عليها « للبط »	مطلع او لازمة الاغاني للرقص
١٧١ اغاني شرقية	على التوقيع الدارج
١٧٢ بيوت عتابا جهورية	١٦٧ مطلع الاغاني للرقص على الدقة
١٧٤ بعض اقوال على المعنى	الديرعطانية
١٧٧ بين السمر والبعض	١٦٨ مطلع اغاني للرقص « سحبا » اي
١٧٨ الخاتمة	١٦٩ مستعجلا









منظر عام لبوابة النيل عاصمة القاهرة

## النبك عاصمة جبل القامحون

موقعها . عدد سكانها . مناخها . منظرها . المآخذ المحيطة بها

كانت النبك، حتى منتصف القرن التاسع عشر، قرية كبيرة او بلدة صغيرة واقعة على بعد ٧٩ كيلومتراً شمالي دمشق، في منتصف الطريق بينها وبين حمص وفي طرف صحراء سورية، على «نبك» متلاصقة ترتفع ١٤٠٠ متر عن سطح البحر . وكان يسكنها اذ ذاك زهاء ثلاثة آلاف شخص من المسلمين الشافعيين، تكاد لا تجد بينهم اكثر من عشرين في المئة يقرأون قراءة بسيطة . وخمس مئة نسمة من السريان والروم الكاثوليك معظمهم يقرأون ويكتبون قراءة وكتابة بسيطتين . تطل بيوتها شمالاً على سهل فسيح، وتحيط بمساكنها من الشمال والشرق جبالان



منظر النبك تحيط بها البساتين والكروم

وبساتين وكروم تُسقى من نهرها المشهور بعذوبة مائه وبرودته وصفائه، الذي لا يزيد وزنه عن ١٦ يميزان المياه . ويأتيها هذا الماء بقناة ارامية على قول البعض، ورومانية على زعم غيرهم . وفيها آبار عديدة الى الجنوب الغربي منها . وهي مشهورة بجودة مناخها وطيب هوائها البارد الجاف جداً . لذلك قلما تجد بين اهلها انساناً ذا صوت رخيم . كما انك لا تجد بين نساها امرأة ذات شعر ناعم طويل . بل اذا جاءت اليها امرأة غريبة فلا يمر عليها سنة او سنتان حتى يتقصف شعرها ويصبح قصيراً خشناً

(١) جمع نَبْكة، اي تل . والمعنى ان المدينة بُنيت على تلال صغيرة . لذلك سُميت بالنبك

صيفها لطيف لا يعرف الحر الا قليلاً . وشتاؤها بارد قارس الى درجة قصوى، تسقط فيه الحرارة احياناً الى الدرجة ٢٠ ستغراد تحت الصفر، ولا ترتفع في الصيف الى اعلى من ٢٩ س . فوق الصفر الا نادراً جداً . لكن بردها مع شدته خالٍ من الرطوبة لا يُخشى منه ضررٌ . ولقد تغنى به أحد الشعراء فقال :

اذا هاجت الرمضا . ذكراك بردت حشاي كاني بين قارة والنبك  
ويقولون ان الشيخ عبد الغني النابلسي لما مرَّ بها اثناء رحلته الشامية ١٦٩٣ م  
( ١١٠٥ هـ ) قال :

خلي خينا نبكي بنبك لان قعودنا فيها قليل  
فواكهها اذا حملت وطابت بارض الشام ليس لها مثيل  
فنطق اهلها لغو صريح كذاك بماثها يُشفى العليل  
وكذلك يقول الناس في هذه البلاد بلغتهم العامية :

ما بين قارة والنبك بنات الملوك تبكي

وقد اشتهرت بجودة صحة اهلها وقوة بنيتهم وخطودهم الوردية اللون ونشاط ابدانهم . وهي ذات « بوابات » اي ابواب كانوا يغلقونها في وجه العربان وغيرهم عند الاقتضاء . وظل البعض منها الى اوائل القرن الحاضر، وقد رأته بأمر العين وموقع النبك، على هذه الرابي والتلال المنحدرة نحو الشمال، فوق ذاك السهل الفسيح وتلك الجنان والبساتين التي ينساب بينها نهرا الصافي، جعل سكانها يعمدون الى بناء مساكنهم على وضع يستفيدون منه ووجهة تجعلها متممة لكثير من الشروط الصحية والاقتصادية . فجاءت هذه المساكن منبسطة في منحدرات تلك الروابي بعضها اعلى من بعض، مؤلفة من طبقتين، متجهة بنوافذها نحو الشمال . لا يمنع بعضها سكان البعض الآخر من التمتع بتلك المناظر الطبيعية الجميلة

فاول ما يرى الانسان امامه الجنائن والبساتين والكروم، ومن ورائها ذاك السهل الفسيح، وبعده تلال وربي ومنتهى سلسلة لبنان الشرقي باحراج وثلوجه في الشتاء . ويتلذذ النظر بمراى ما يكون على الطريق العام المشهور، الذي يضرب بوضوحه المثل القائل : « واضح مثل طريق حلب » او « اوضح من طريق حلب » . فيرى كل يوم من مشاهد القوافل وعابري السيل اشكالا مختلفة ذاهبة آتية، وقطرات

من حمل منسلة عليه تنبؤ بسيره كده قاضي، وقوفين بغار ورمال خيل  
 و كمش . وفي عناقيد الجرس الكبيرة والمتوسطة والصغيرة . وهذه الخراجين  
 اثنت مع هو من زنتها البنية . مضرب النفوس كانه صدرين موسيقى والتففة .  
 وترى حيلة سلاحهم ، من ربح وسيف او بندقية ذات قداحة وجولة قاصدين  
 ليدم والقاس والخيزر . ونجر لاغده والحين بقضائهم آتين من بلاد انطون وغيرها  
 مثل زرد وول وبلليس حتى بلاد الكراد ، وعبري السيلين عن مختلف اجناسهم  
 ومقاصدهم : فلراكب والراجل ، ومقاتل الخناز . ومقاتل من الهودج ، ومقاتل  
 الخيل . تحت رول ، كمن منهم . ر على بركات الله

وكان مقاصده في ذلك الحين بعض الميكن من مسيحي دمشق الاضطيف .  
 فيقولون : « دار الدير » اي دير مار موسى الحاشي لمسيحي الكاثوليك . اوقوعه  
 يعني نقطة في البلدة وكثرة غرفه . وهذا القديس دير ان قديم مشيد على صخور  
 ضخمة فوق هرة عظيمة في منتصف واد عميق ، شبه قلعة منيعة يرجع بازوهر الى .



دير مار موسى الحاشي

صيفها لطيف لا يعرف الحر الا قليلا . وشتاؤها بارد قارس الى درجة قصوى، تسقط فيه الحرارة احيانا الى الدرجة ٢٠ ستنفرد تحت الصفر، ولا ترتفع في الصيف الى اعلى من ٢٩ س . فوق الصفر الا نادراً جداً . لكن بردها مع شدته خال من الرطوبة لا يمحى منه ضرر . ولقد تغنى به أحد الشعراء، فقال :

اذا هاجت الرمضاء ذكراك برأت حشاي كاني بين قارة والنبك  
ويقولون ان الشيخ عبد الغني النابلسي لما مر بها اثناء رحلته الشامية ١٦٩٣ م ( ١١٠٥ هـ ) قال :

خليلي خانا نبكي بنبك لان قعودنا فيها قليل  
فواكهها اذا حملت وطابت بارض الشام ليس لها مثيل  
فمنطق اهلها لغو صريح كذاك بتائها يشفى العليل  
وكذلك يقول الناس في هذه البلاد بلغتهم العامية :

ما بين قارة والنبك بنات الملوك تبكي

وقد اشتهرت بجودة صحة اهلها وقوة بنيتهم وخدودهم الوردية اللون ونشاط ابدانهم . وهي ذات « بوابات » اي ابواب كانوا يغلقونها في وجه العربان وغيرهم عند الاقتضاء . وظل البعض منها الى اوائل القرن الحاضر، وقد رأيت به بأمر العين وموقع النبك، على هذه الرابي والتلال المنحدرة نحو الشمال، فوق ذاك السهل الفسيح وتلك الجنان والبساتين التي ينساب بينها نهرها الصافي، جعل سكانها يعمدون الى بناء مساكنهم على وضع يستفيدون منه ووجهة تجعلها متممة لكثير من الشروط الصحية والاقتصادية . فبجانب هذه المساكن منبسطة في منحدرات تلك الروابي بعضها اعلى من بعض، مؤلفة من طبقتين، متجهة بنوافذها نحو الشمال . لا يمنع بعضها سكان البعض الآخر من التمتع بتلك المناظر الطبيعية الجميلة

فاول ما يرى الانسان امامه الجنائن والبساتين والكروم، ومن ورائها ذاك السهل الفسيح، وبعده تلال وربى ومتمتة سلسلة لبنان الشرقي باحراج وثلوج في الشتاء . ويتلذذ النظر بمراى ما يكون على الطريق العام المشهور، الذي يضرب بوضوحه المثل القائل : « واضح مثل طريق حلب » او « اوضح من طريق حلب » . فيرى كل يوم من مشاهد القوافل وعابري السيل اشكالا مختلفة ذاهبة آية، وقطرات

قبل ألف سنة على بعد خمسة عشر كيلومترا من النبك الى الشرق. ولا يزال كهنة  
السرمان الى اليوم يقيمون في كنيسة قديس في عيد الواقعة في ٢٨ آب، فيتوارد اليه



النبك من الجهة الشمالية

بعض الاهلي ويقضون هناك ليلة العيد ويرجعون في مساء اليوم التالي بين الاهازيج احيانا

### بناطرها

كان النبكيون قديما يبذون مسكنهم بطبقتين، على وضع يستفيدون منه صحيا  
واقتراديا. فيبذون نصف الطبقة السفلى بمجارة صلبة ونصفها الاعلى بالابن ويسقفونها  
بجشب « اللزاب » الذي يستحضرونه من صرود فليطة والمعرة لانه رخيص ومتين  
جدا. وكانوا يخصصون هذه الطبقة لدوابهم ودواجنهم ولحفظ التبن والوقود وآلاتهم  
الزراعية. ويبذون الطبقة العليا بالابن، ما عدا الابواب والنوافذ فانها من الحجر  
« الكدان » الابيض المنحوت فيسمونه « نحت » وهو من اراضي النبك ومقالعها.  
ويسقفونها بجشب الحور، وهو من منتجات ارضهم، وقد امتاز بصلابته فلا يسطو  
عليه السوس كغيره من الحور مهما طال عهده. فيسكنونها ويتمتعون منها بتلك  
المناظر الجميلة المرصوفة آنفا. ثم يبذون ايوانا امام الغرف العلوية المتجهة نحو الجنوب،  
فتعرض لاشعة الشمس عندما تنحرف الى جهة خط الجدي، وتظل الشمس حينئذ  
في الايوان الجنوبي وداخل الغرف من الصباح الى المساء. وهذا يخفف من شدة  
القر شتا، فلا يحرقون وقودا الا في الايام الباردة جدا. وظل اهل النبك يجهلون  
الزجاج الى ان اتحدت بلدتهم مقرا للحكومة فاخذوا يستعملونه لنوافذ بيوتهم

## عمرانها

واهل القرى يعجب لسماعه انهم يبنون بالبن طبقتين من مساكنهم . فكيف لو علم انهم يبنون به اليوم ثلاثاً واربعاً ؟ قائلين في هذه البلاد متين جداً، لان تربتها كلسية جسيمة يضيفون اليها تبناً بنسبة معلومة ويعتنون بصنعه جداً، فيصبح حلاًباً متيناً ويقلقونه بعد البناء بطينة لثة من التراب نفسه فتزيد مناعة السنين طويلة . ويقول الاقدمون انه كان في النبك في اوائل هذا القرن بناء عادي هدم يرجع تاريخ بنائه الى صدر الاسلام . وليس ذلك بعيد عن التصديق، لاني رايت بعيني داراً قديمة جداً ورثها جدنا عن جده، هدمها ابناء عمي منذ خمس وعشرين سنة واعادوا ما اخرجوا منها من اللبن السليم الى بنيتهم الجديدة . وقد عثروا اثناء الهدم على وثيقة بحائطها تنطق بمسح دار من نحو مئتي سنة . وسحت ايضاً من يوثق بقولهم انها قد هدمت منذ ثلاثين سنة غرفة علوية وجدوا على « جسر » من « جسورها » تاريخاً يرجع الى ما قبل سبع مئة سنة .

## عمرانها

لبثت النبك في القرن الماضي محط رحال القوافل التي كانت تسير بين حلب ودمشق . وكانت محطة تنزل فيها قوافل الاعجام يوم كانوا يحجون الى البيت الحرام بهذا الطريق، وكان ذلك . وسمّاً سنوياً قبل فتح قناة السويس، وقد اخذ يتضاءل الى ان امدّت السكة الحديدية بين حلب ورياق فانقطع تماماً . وكان الاعجام يتزلون في الشتاء عند الاهالي اصحاب البيوت القريبة من الطريق العام، وفي الصيف ينصبون خيامهم بقرب نهرها الجاري على بعد نحو ٥٠٠ متر عن البلد، بجوار مقام لأحد الاولياء يُدعى « الشيخ محمد الغفاري » . وبلغت اهل النبك « الغفري » وهو لا يزال قائماً حتى الان . فيبادر اهله ويتوارد سكان القرى المجاورة ايضاً لاقتناء السلع العجيبة، كالسجاد والشال والجوارب والبسط واللباد والحيل والبغال والاقمشة الحريرية والصوفية وغيرها . وترى حتى الان في بعض بيوت النبك من الاشياء المذكورة ما يدهش الناظر بحسن صنعه واتقانه: كالسجاد والبسط واللباد والشال . وكان هذا المقام منفرداً في الجهة الغربية من البلدة الى جانب الطريق العام، يجري امامه من الشرق نهرها بانه العذب العذافي حتى انك ترى قعره وتعد حصاه . وتظلل شجرة جوز نبتت على حافة النهر الغربية منذ مئتي سنة كما

## عمرانها

ولعلّ القريّ يعجب لسماعه انهم يبنون بلالين طبقتين من مساكنهم . فكيف لو علم انهم يبنون به اليوم ثلاثاً واربعاً ؟ فالبن في هذه البلاد متين جداً، لان تربتها كلسية جسيّة يضيفون اليها تبناً بنسبة معلومة ويعتنون بصنعه جداً، فيصبح صلباً متيناً ويغلفونه بعد البناء بطينة لؤجة من التراب نفسه فتزيده مناعةً لسنين طويلة . ويقول الاقدمون انه كان في النبك في اوائل هذا القرن بناء عادي هدم يرجع تاريخ بنائه الى صدر الاسلام . وليس ذلك ببعيد عن التصديق، لاني رأيت بعيني داراً قديمة جداً ورثها جدنا عن جده، هدمها ابناء عمي منذ خمس وعشرين سنة واعادوا ما اخرجوا منها من اللبن السليم الى بنايتهم الجديدة . وقد عثروا اثناء الهدم على وثيقة بحاطها تنطق ببيع دار من نحو منتي سنة . وسمعت ايضاً من يوثق بقولهم انها قد هدمت منذ ثلاثين سنة غرفة علوية وجدوا على « جسر » من « جسورها » تاريخاً يرجع الى ما قبل سبع مئة سنة .

## عمرانها

لبثت النبك في القرن الماضي محط رحال القوافل التي كانت تسير بين حلب ودمشق . وكانت محطة تنزل فيها قوافل الاعجام يوم كانوا يحجون الى البيت الحرام بهذا الطريق، وكان ذلك موسماً سنوياً قبل فتح قناة السويس، وقد اخذ يتضاءل الى ان امدّت السكة الحديدية بين حلب ورياق فانتقطع تمام .

وكان الاعجام ينزلون في الشتاء عند الاهالي اصحاب البيوت القريبة من الطريق العام، وفي الصيف ينصبون خيامهم بقرب نهرها الجاري على بعد نحو ٥٠٠ متر عن البلد، بجوار مقام لأحد الاولياء يدعى « الشيخ محمد الغفاري » . وبلغه اهل النبك « الغفاري » وهو لا يزال قائماً حتى الان . فيادر اهلها ويتوارد سكان القرى المجاورة ايضاً لاقتناء السلع العجيبة، كالسجاد والشال والجوارب والبسط واللباد والحيل والبغال والاقمشة الحريرية والصوفية وغيرها . وترى حتى الان في بعض بيوت النبك من الاشياء المذكورة ما يدهش الناظر بحسن صنعه واتقانه كالسجاد والبسط واللباد والشال . وكان هذا المقام منفرداً في الجهة الغربية من البلدة الى جانب الطريق العام، يجري امامه من الشرق نهرها بانه العذب الصافي حتى انك ترى قعره وتعد حصاه . وتظلل شجرة جوز نبثت على حافة النهر الغربية منذ منتي سنة كما





مدخل النيك يوم مرور صهجي بث بركات فيها



مدخل النيك قرب افقري، من حوة طريق الشام

يعتقد شيوخ البلد، ونمت حتى أصبحت ذات جذع كبير تمتد فروعه بعيداً فتظل مساحة كبيرة من الأرض حولها، وقد غدت تلك الشجرة محط رحال القوافل وعابري السيل في الصيف . وكان المسافرون يعللون النفوس قبل الوصول إليها بالراحة تحت ظلها الوارف وجوار ذاك الولي . فاشتهرت في جميع الجهات القريبة والبعيدة وعُرفت « بجوزة الفقري » . فكنت ترى القوافل كل يوم، بجبالها وبغالها وخيلها، يتفياون بظلها ويتلذذون بما يأخذونه من الراحة تحتها، والاهالي يبيعونهم كل ما يحتاجون اليه من طعام لهم وعلف لدوابهم

وكان يفصل هذا المقام عن البلد رابية تليها ارض واسعة تبلغ من الشرق الى الغرب نحو ٥٠٠ متر ولم تكن معمورة في ذلك الحين . وكان لا يرى فيها سوى بناء ضخيم من الحجر « المقصوب » يشبه ثكنة عسكرية ويحتوي على جامع حوله غرف للدراويش الغرباء في جهته الجنوبية؛ وعلى فرن وصحن دار فسيحة جداً كان في وسطها حوض يأتي اليه الماء من بئر بجانب بابه، من الجهة الجنوبية ايضاً، بواسطة « فراش » هوائي؛ وعلى قبر عظيم سقفه معقود بالحجر قائم على دعائم ضخمة كثيرة يستوعب جيشاً بجياله ولو كان الوفاً . ويقول البعض انه من آثار سنان باشا لما كان والياً على سوريا سنة ١٥٨٧ م ( ٩٩٦ هـ ) . وهو المنسوب اليه انه انشأ اربعين مسجداً يُخطب على منابرهما في اقطار المملكة العثمانية ما عدا الجسور والخانات . وبني ايضاً بدمشق جامع السنانية وجامعاً في سسع وجامعاً في القليفه . والبعض يقول انه من آثار محمد كوبرلي باشا لما كان والياً على دمشق عام ١٦٤٨ م ( ١٠٥٨ هـ ) . ولعل الاصح انه من آثار سنان باشا لانه اقام في سوريا اربع سنوات ونيفاً وخلفه فيه ابنه محمد باشا، بينما الكوبرلي باشا لم يُقم في سوريا اكثر من سنة واحدة . وقد كان هذا البناء قديماً « خاناً » لعابري السيل تستثمره الحكومة العثمانية لحزبتها . ومنذ خمسين سنة، بعدما اتخذت البنك مقراً للحكومة بامر ابي الاحرار مدحت باشا، اقامت الحكومة على رأس تلك الرابية سرايا عظيمة من حجر، لم يكن لها مثيل في سوريا حتى اواخر القرن الغابر . وباعت ما بقي من « الخان » مع الاراضي

(١) اُخذت حجارة تلك السرايا من الهرج القديم القائم على رابية من رُبى البلدة تدعى « رابية الهرج » الى الآن . وكان هذا الهرج قديماً مستوقداً للنيران التي كانوا ينقلون بواسطتها الانباء الضرورية ليلاً بين الشام وحمص . ومن الخان العتيق الملاصق للهرج من الجهة الشرقية، ومن مقالع البلد، ومن برج قاره القائم في منتصف الطريق تقريباً بين قارة والنبك



سراي النبك، وامامها الموقوفون والاهلي يوم تنويح فيصن بن احسين مسكاً على سوريا  
التي حوله فبنى الاهلي هناك مساكن وفنادق وحوانيت . واتحلت البلدة بهذه  
البنائات وامتد البناء كثيراً من حولها حتى اصبحت الان في وسط البلدة تقريباً .  
وامتد البناء ايضاً الى الشمال ، الى مفرق طريقي دير عطيه وقارة ، حيث اقامت



البناء اصلاح اخان وجمعه شكنة عسكرية منذ ٣٠ سنة



# المستشفى الدانمركي

الذي اقامه المرسلون الدانمركيون الانجيليون في النيك سنة ١٩٢٧  
وقلما تجد له مثيلاً في سوريا



يمثل الرسم الاعلى بنايات المستشفى من الجية الشرقية الجنوبية  
والرسم الاسفل مدخل المستشفى الذي يجمع بين الفخامة والاثانة

الحكومة في أيامنا مستودعاً للمواد الملتهبة . واتسعت البلدة ايضاً الى الغرب، الى « سكة الوُلاق » المتصوّبة من قارة الى يبرود، التي كان البريد يمرّ منها قبلاً، وهي تبعد عن « الغفري » من ٥٠٠ الى ٦٠٠ متر الى الغرب . وفي اواخر القرن الماضي اتخذ الحان المذكور ثكنة عسكرية في عهد الاتراك بعد ان اصلحت الحكومة ما كان متداعياً منه وانشأت فيه غرفاً عديدة . وظلّ بيد دائرة التجنيد التي كانوا يسمونها « دائرة الرديف » حتى عام ١٩١٨، اذ جلا الاتراك عن البلاد وحل الفرنسيون محلهم، فاتخذها الجيش الفرنسي ثكنة عسكرية للمتطوعين الجراكسة . ويقول الشيخ انهم كانوا في بعض السنين الغزيرة الامطار يجدون كثيراً من الكهـاء على سطح قبوه الكبير

## الحياة في القلمون بوجه عام

### اشغال اهل القلمون

يتعاطى معظم سكان القلمون الفلاحة والزراعة، وفريق منهم يتعاطى « المكاراة » على الجمال والبغال وحياناً على الحمير، وقسم آخر تربية المواشي، من غنم وماعز، في جباله الكثيرة لانها ممتازة بجودة مرعاها ودفنها في الشتاء، ممّا يجعلها صالحة لتربية المواشي، على أن ماءها قليل . وقسم رابع يزاوّل عمل اليد بالطين والبناء . فيهبطون الى الشام سعياً وراء رزقهم

وكان في سالف الزمن الف وخمس مئة جل عند اهالي النبك وحدهم، فكانوا يستخدمونها للتجارة بمختلف الاصناف، « ويكاردون » عليها بين دمشق وحلب حتى اورفة ودياربكر . وكانوا يكفون الشام مؤنتها من السمن وحاجتها من القطن، يأتون به من الجهات الشمالية مثل حلب والجزيرة، ويسافرون الى ما هو ابعد منها حتى اردروم ووان وبتليس شمالاً، والى عريش مصر جنوباً، والى دير الزور والموصل شرقاً . وكانت قوافلهم مشهورة بقوتها ومناعتها تجاه هجمات البدو والاشقياء وقطاع

الطرق . وقلما أخذوا أو كسروا، لأنهم اشداء وذوو شجاعة ورجولية وعزة نفس، يأبون الذل والاهانة . وكان المسافرون يتقربون سفر تلك القوافل ليسيروا يرفقتها مطمئنين على نفوسهم ومالهم من هجات قطع الطرق . وكان أولئك التجار، عند رجوعهم من أسفارهم البعيدة، وبلوغهم السيل العميق الذي يبعد عن النيك نحو ثلاثة أو أربعة كيومترات إلى الشمال، يأخذون في إطلاق البارود دلالة على مجيئهم . فيخرج أهلهم وذوهم لملاقاتهم خارج البلد، فرحين بوصولهم سالمين، لكثرة ما كان يلتقيهم في سفرهم من تعديات البدو والأشقياء . والخصوص ولا تكاد تجد بينهم إلا عدداً قليلاً يجتفون بعض الصناعات، مثل النجارة والحداذة والصباغة ودباغة الجلود والندافة وعمل الحلاوة والحلافة و«القضاية» . ومعظم الصناع كانوا اسكافيين وبياطرة ونجارين وحائك . ولم تكن المهاجرة إلى أميركا حتى أواخر القرن التاسع عشر معروفة عندهم . ففي العام ١٨٩٢ سافر إليها اثنان من مسيحي النيك . ومن ثم أخذ الناس يهاجرون إليها بكثرة

### مأكولهم

يعيش سكان القلمون عيشة بسيطة . أكلهم من منتجات أرضهم وما تدر به عليهم مواشيهم . فيأكلون من الحبوب الحنطة، خبزاً وبرغلاً، والذرة الصفراء طعاماً . ويطعمون دوابهم الشعير والكرسنة . ولا يحسرون على زرع غير هذه الحبوب، لعدم سلامتها من آفة البود والصقيع في الشتاء . وينرسون من الأشجار الجوز و«النحاس» ، أي الإجاص الشري والملكي والعثاني والخلاني والجسبي والسكري، والعنب الأحمر وقليلاً من المشمش . وقد أخذ الأهالي في أواخر القرن الماضي ينرسون منه بكثرة . فكانت فائدتهم منه قليلة لأنه لا يسلم من الصقيع في أكثر السنين . أما الإجاص على أنواعه، فقد أخذ يتناقص حتى كاد ينقرض . فلم يبق منه إلا القليل بعد ما كانت أشجاره تعد بالآلاف . وكان سبب انقراضه الخالوش والقارور . أما كروم العنب فقد كثرت عما كانت قبلاً . فاصبح الآن في النيك وحدها نحو مليون وربع مليون دالية أو كرمة

تجد أيضاً من الأشجار الحور والصفصاف والدردار والنشب وقليلاً من التوت .  
ومن الخُضَر والبقول اللفت والجُزر والفجل والقرع والكوسى واليقطين والبصل  
والثوم والبيقية والحلبة والقوة . وهذه الأخيرة نبات كان يستعمل للصباغة والادوية  
وكانت النبك تستغل منها فيما مضى ارباحاً لا يستهان بها كل سنة حتى انتشرت  
الاصباغ الاوربية فابطلوا زرعها في اواخر القرن الماضي . وعُرفت عندهم البطاطا  
حينئذ فاحذوا يزرعونها بكثرة وكان لهم منها مورد ذو شأن . واما باقي الحبوب  
والخُضر والفواكه، كالحصص والعدس واللوبياء والفول والبطيخ والخيار والقثاء  
والزيتون والتفاح والخوخ والرمان والتين والبرتقال والليمون والطماطم ( البندورة )  
والباذنجان وما يشبهها، فكان الاغنياء ولا يزالون يبتاعونها ممن يأتيهم بها من الخارج .  
فلا يكاد يعمل البائع الى البلدة بنوع من هذه الاصناف حتى يأتي اليه الناس  
افواجا . فيبدلونها بما عندهم من الفلال، او يشترونها بالنقود الراجحة . واما الفقراء  
فكانوا لا يعبأون بها كثيراً، ومنهم من لا يذوق منها شيئاً مدة سنين طويلة

ويأكلون من اللحوم لحم الماعز والضأن والبقر والجمال عندما يذبح القصاب بأمر  
من « شيخ » ( اي مختار ) البلد . ذلك حينما كان يأتيه ضيف عزيز، او عندما يولم  
وليمة، او في الاعراس والافراح والاعياد والمآتم والمناسبات . وكان المثلثون منهم  
يعلفون الغنم حتى تسمن جيداً ويذبحونها ويحفظون لحمها بأليتها بعد « فرمها » وتعليقها،  
ويضعون منها كتلاً بحجم البرتقالة ويحفظونها لايام الشتاء، اذ يكون الذبح قليلاً  
جداً، فيستعملونها عند الحاجة . وهذه يستعملونها « قورمه » وهي تركية الاصل  
« قاورمه » ومعناها اللحم المحمص او المقلّي

اما الاطعمة المعروفة عندهم فهي لا تختلف عن اطعمة باقي الاقطار السورية  
الا بعض الاختلاف . فالماكل التي يدخلها اللحم لا تصنع الا في اوقات مخصوصة،  
كالاعياد والولائم والافراح، وللضيوف الاعزاء او « للفعاله » اي العملة ايام اعمالهم  
الزراعية، مستأجرين كانوا ام مساعدين

واما الماكل البسيطة الحالية من اللحم فهي طعامهم الدائم، « كالمجدرة » المشهورة  
التي طير ذكرها الشاعر الهزلي الشهير اسعد رستم في قصيدته المعنونة « بالمجدرة »  
حيث صور نفسه مريضاً وقد يئست من شفائه الاطباء فقال فيها :



قلت الذي يشفي مخاطر علتي      شيءٌ وحيدٌ وهو صحنٌ مجدرة  
توني بها حياتكم فتعودني      روحي واصبح بالحقيقة عنرة  
توني بها صحناً كبيراً عامراً      والامر افضل ان انت بالطنجرة  
توني بها بالزيت ام باللحم لا      فوق بشرط ان تكون مدررة  
ودعوا الدواء مع الطيب بعرضكم      ان الاطبا والدوا لزبرة

والبرغل المفلل، والبرغل مع الحمص الذي يسمونه «مقلّى بسفله»، والسيد المرق وهو «كالمجدرة» تماماً غير انه ذو حساء مريق، والكبة حيلة، والصلص، والملقمة، والعصيدة، والصرصورة التي هي حساء من ناعم البرغل، واللبنية بالذرة الصفراء، والقمحية بالقمح المقشور وما شابه

اما الاكلة المرغوب فيها عندهم كثيراً، بالرغم مما يعانون في صنعها من تعب وضياح وقت، فهي الكبة، وخصوصاً المطبوخة بالكشك. فانهم يفضلونها على جميع المأكول، ولا سيما في النبك، ويحبونها محبة جعلت اهل الجوار يتكلمون ويسخرون منهم قائلين :

اكل النبكي      كبة بكشك

ولذلك تراهم يفرحون عندما يتسنى لهم شراء اللحم الهبر . فتشرع ربة البيت في غسيل الجرن وتنظيفه وتنظيف الغرفة التي فيها الجرن لاستقبال ملائكة الكبة . لان اكثر النساء يعتقدن ان الملائكة تأتي على صوت دق الكبة وترقص حول الجرن وتبارك الكبة ومن يدقها جيداً . ثم تأتي الجارات لمساعدتها . فبعد دق اللحم وجبله بالبرغل الناعم يصنعن منها اقراصاً صغيرة وكبيرة فيسلقن الصغيرة في حساء من الكشك في الشتاء، وفي الصيف باللبنية، ويشوين الكبيرة منها شيئاً او يقلينها بالسمن او الزيت، وهذه تسمى «الشاوي» . وهذه المشاوي تقدم للعزيز المكرم، كالصهر الجديد او الطالب الماهرة، او لصديق مخلص لاهل البيت او ل احد افراده، وقليلون الذين كانوا يصنعون الكبة بالصينية . ولذلك قالوا :

تضرب كبة الحيلة ومعها مجدرة      والعصيدة فوق منها مشترك  
هات اللبن مع كبة الصينية      وجنب منها باطية من الشيشبرك

وكذلك يقولون :

الصرصور للصرور والكشك لباب الدار  
والعصيدة للمصيدة والكبة طول النهار

ويعنون بالاخيرة ان طعاماً غير الكبة لا يغذيهم غذاء جيداً مقابل ما يفقدون من القوى اثناء شغلهم الزراعي المتعب. ويأكلون ايضاً الكبة نيئة مع البصل ويقال لها « دبابه » بلغة اهل الشام ولبنان . وقال بعضهم ان الكبة اكلة قديمة يرجع تاريخها الى عهد سليمان الحكيم وربما الى ما قبله بدليل قوله في سفر الامثال ٢٢: ٢٢ : « لو دقت السفينة في هاون بين السيد بمدقة لم يفارقه سفنه » . وقيل ان السيد هو البرغل بعينه

وان لم يكن لحم فانهم يحتالون على الكبة، فيجبلون البرغل المنقوع في الماء مع قليل من الطحين لتتلاحم اجزائه، ويصنعون منه اقراصاً صغيرة ويحشونها امأً بقطعة من الدهن ومعها قليل من الفلفل والبهار، او بنوع من البقول ينبت في اراضيهم بين التزرع يسمونه « ام احمد » وهو يشبه الاسباناخ، يضيفون اليه قلب الجوز والبصل وحب الرمان اخامض . ثم يسلقون تلك الأقراص بحساء الكشك ويسمونها « كبة حيلة » او « كبة الراهبة » . ويصنعون منها اقراصاً كبيرة يشوونها ويفسونها بالسمن، ويسمون القرص منها « شيخ » والجمع « شيخ » . ويصنعون منها ايضاً اكلة « الصلص » و « الملقسة » : وهي كدل يحجم حبة البندق يطبخون بعضها مع العدس والحمص والبصل ويضيفون اليها حامض السماق، او يقلونها بالزيت والثوم والكزبرة، ويسمونها « الصلص » . و « الملقسة » يطبخونها بحساء مطبوخ من اللوبيا. والعدس والبصل بدون حامض

ويصنعون حينئذ يكون ورق العنب طريئاً اكلة يسمونها « اليبق »، وهي فظة تركية لورق الشجر، فيلقون به برغلاً متبلاً باللحم « المفروم » لفائف بشخن الاصع . وفي اوان الملفوف واللفت يلفون بورقها لفائف كاليبق ويطبخونها بحامض السماق . انما يضعون مع يبق الملفوف كثيراً من الثوم اتقاء لضرره . اذ يعتقدون ان العرب ارسلوا في سالف الزمان الى الفرنج اغراس الورد هدية . فلما رآه الفرنج ذا شوك ظنوا بهم سوءاً وارادوا الانتقام فارسلوا الى العرب مقابل هديتهم بذار الملفوف الذي ينفخ البطن . فلما طلع الورد وتفتحت اكامه ورأى الفرنج شكله الرائع ورائحته المنعشة، عادوا وبشوا الى العرب بالثوم لكي ينعوا ضرر الملفوف عنهم

ويأكلون من الخلواء الدبس العسبي الذي يصنعونه بيدهم ومن زبيب كرومهم .  
واحياناً يطبخون من البرغل المخاوط ببزر القنب المحمص او قلب الجوز واليانسون .  
ويصنعون منه الخلاوى الحمراء، وهي عبارة عن طحين الحنطة يحمصونه بالسمن  
ويضيفون اليه الدبس ويكتملون تحميصه ممّا حتى ينضج ويأكلونه بارداً  
ويأكلون « المخلوط »، وهذه طريقة صنعه - بعد ما يحلبون الحليب مساء يضعونه  
في اوان واسعة عديدة ذات سطح مستو، ويتركونه الى الصباح . فيصبح الحليب  
وعليه طبقة رقيقة من الزبدة . فتأتي المرأة ومعها اخبز الثوري وتطرح الارغفة  
فوق الحليب . فيأخذ الرغيف من الزبدة ما يغطى به وجهه . ثم تعود وترفع  
الارغفة وتطبق كل رغيفين ممّا . وبعد مرور ساعة او نصفها يأكلون منه مع الدبس .  
وهذه اكلة لذيدة جداً لا يعملها الا من كان عنده عدد كبير من الماعز والغنم  
ويضعون العنب، بعد تنقيته من كل حبة فاسدة او مجروحة، في غرفة مظلمة  
لا يدخلها الهواء كثيراً مفروشة بالتراب الابيض . فيرصفون العنب فوقه، كل عنقود  
بجذاء اخيه، ويغطونه بورق الكرمة، وفرقه ملاحف من الحام . فيبقى هذا العنب  
محفوظاً طول الشتاء حتى شهر نيسان . فيأكلون منه في سهراتهم، ويقدمونه لزائريهم  
وضيوفهم، ويتناولون منه كلما خطر لهم . واكثر ما يعولون في امر طعامهم الخاص  
على البرغل والخبز . لذلك كان الفلاح القوي منهم يسلق من البرغل كل سنة ما بين  
٤٠ و ٨٠ مدّاً من الحنطة ( اي من قنطارين ونصف الى خمسة ) ويدّخر مثلها للخبز .  
لان الخبز والبرغل والدبس والكشك كان منها اكثر طعامهم . وينفق الفلاح منهم  
كثيراً في ايام شغله الزراعي، كقلب الارض واقتلاع الاشواك منها وعزق كرومه .  
فعليه ان يهتم لامر اطعام « الفاعل » اي العامل الذي يساعده، وان يطعمه من اجرد  
ما عنده لئلا تلحقه مزمة العمالة له امام الآخرين فيوصم بالبخل

### شغل الماء

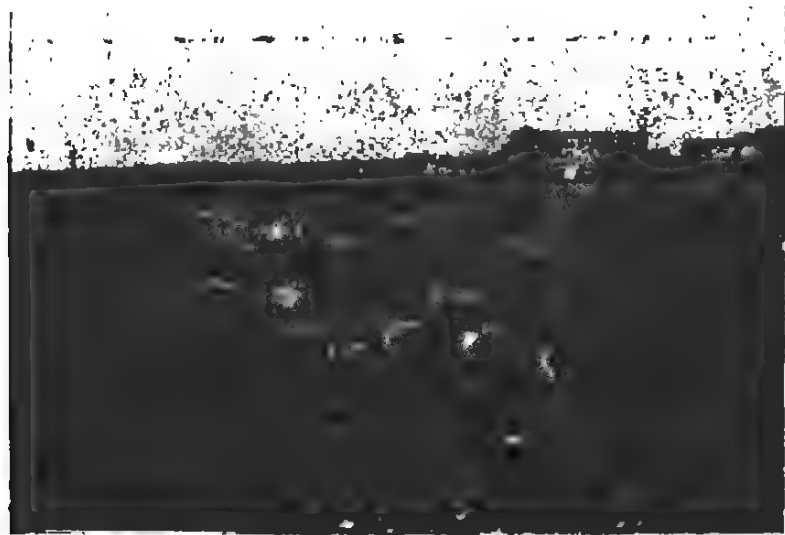
كل ما ذكر آنفاً مطلوب عمله من ربة البيت . فهي التي تجلب اللحم من  
حانوت اللحام، وتندق منه الكبة او تلف به اليبزق بمساعدة جاراتها، وتعمل جميع  
انواع المأكّل . وهي التي تشرف على طحن القمح في الطاحون، وتعجن العجين وتخبزه  
على التنور، وتجلب الماء اللازم لبيتها بالجرة على رأسها من مورده، وتغسل الثياب



امام الخناحون، ويرى الفاري عظم رأس جن معلقاً فوق الباب دفماً للمعين الشريعة

اي الالبسة وغيرها، وتنظف البيت، وتعتني بالاولاد وتربيته، وترقع البستهم واللبسة زوجها، وتساعده ايضا في الاهتمام بالدواب واطعامهم، واحياناً في شغاله الزراعية . وهي تطبخ الدار وتبيخها بالخواتري، وتسلق الهراجل وتجرحه الخ

في الصيف يجب عليها ان تستيقظ من النوم قبل شروق الشمس، وتذهب الى مورد الماء حاملة على رأسها الجرة مبطوحة وفمها الى الورا، لكي لا يراه من يقابلها من الناس لانهم يتشائمون منه . ويجب ان نحني كل من تعادف من النساء الصدرات



النساء ترد الماء

وعلى رؤوسهن جوار الماء، وان تردّ التحية وهي صادرة . فتنتقل ما يلزمها من الماء وتعود لأعداد طعام الصباح ليلتها، حاملة في جعبتها ما عرفته من اترابها، ممّا جرى في البلد في امس البارح وما قبله من خطبة او زواج او طلاق او فراق او ولادة او وفاة او سرقة او مشجرة او تحاصم الخ، فتقصه على ذويها

ويومَ يُطلَب منها العجين او الفسيل، تستيقظ قبل بزوغ الفجر، وتجلب الماء اللازم لذلك . وتذهب الى الكرم وتأتي بقعة من العنب البارد تحملها على رأسها وتعود قبل شروق الشمس اذا كان الكرم قريباً . وعليها ان تدعو كل من تصادفه من الرجال اثناء عودتها الى تناول عنقود من العنب قائلة : « تفضل لتحل البركه » . فيأخذ منها من يشاء

وبعد وصولها الى بيتها تشعل النار اذا كان لديها قداحة وصوانة، او تذهب الى احد بيوت جيرانها « فتشخذ » اي تقتبس ناراً وتأتي بها على غصن من الشيح او في وعاء، فتشعل النار تحت الماء . فان كان الماء للعجين تأخذ « حمية » اي شيئاً من الوقود « لتربط » اي لتعین لها دوراً على التنور الاقرب اليها في الحي، ان لم يكن في بيتها تنور . واذا كان للفسيل، تضع في الماء كيساً صغيراً مملوءاً قليلاً وتقتنم فرصة تسخينه لتجمع الالبسة الوسخة بعد ما يلجئ زوجها واولادها ثيابهم . ولا تلبسهم غيرها ألا اذا كانت من نساء الوجهاء المثرين في البلد او من المشايخ ثم تسرع في غسل الثياب

### الفيل على النهر

واذا كانت من عامة الناس فانها تأخذ الالبسة الى النهر ومعها مخباط من خشب وكية من مسحوق « الشنان » الاشنان اليابس<sup>١</sup> . فتأخذ تبل الثوب في الماء وترش عليه من مسحوق الاشنان و« تدعكه » بيديها وتضمّ اجزائه بعضها الى بعض فوق حجر على حافة النهر وهي غائصة في الماء . ثم تجعل تحبّطه بالمخباط وتقلبه رأساً على عقب حتى ينظف على زعها . وهكذا تعمل بكل ما لديها من

(١) وهو نبات برتي اذا أحرق وهو اخضر يخرج من رساده الفلي المعروف . وهو كثير في بلادنا وكانت تصدر منه كميات كبيرة الى المصاين في جميع جهات البلاد



امرأتان تخبزان على النور

الانيسة وغيرها . و «تفضيها» اي تغسلها بالماء القراح بعدما «تدعكها» بيديها وهي في الماء . ثم تعود الى بيتها حاملة «غسيلها» على رأسها فتناشره في الشمس . وتزاول



خزانك

بأشغالها البيتية : فإمّا تأخذ طعاماً لزوجها ومن معه من العملة في الكروم، او تعدّه لمحنته، او تقبل علم، علم خاص بها، كالغزل او تمشط الصوف الخ

## عمل الكشك

إذا كانت المرأة من دمة الشعب تعمل الكشك في الربيع ذبكون " خليب " اي اللبن كثيرا ودرجيا . وإذا كانت من لب الوجه المثلث فتعمله في الخريف لكثرة الدسم في الخليب او اندر . فتأخذ من البرغل مداه او مدلين ( ستة ارطال او ضعفا ) . بحسب كثرة اعضا الأسرة وحاجتهم . وتنفعه بها . في معجن من المساء الى الصباح فيصبح ليلا طريا . ثم تأقي بالخليب واللبن ( الرائب ) . بعدما تخلل فيه خميرة من دقيق الخطة والشعيرة وكمية معلومة من الملح . وتصبه فوق البرغل اللين وتجله به . وتتركه مدة يومين . فيتشرب البرغل اللين ويختمر فيصبح حامضا . وتعجنه بيديها جيدا . وينقلونه من وعاءه الى ملحفة كبيرة يابسونها فوق فرشاة من التراب الابيض . ويتركونه زهاء يومين ، حتى يمتص التراب منه الحموضة ثم ينقلونه الى " خابية " كبيرة ويتركونه من ١٠ الى ١٥ يوما ، وينقلونه بعدها الى السطوح . فتأقي النساء صباحا مدعوات من قبل صاحبة البيت ، ويشرعن في " قرقاطه " اي تقطيعه كتلا صغيرة :



فرك الكشك

فتأخذ الواحدة منهم قليلا من الكشك في قضاها ، وتطحن مداه عليه ، فيخرج الكشك من بين الاقدام والسبابا كتلة صغيرة . فيرصن تلك الكتلة على بساط ويتركنها معروضة لشمس الى العصر ، فيجف الكشك قليلا ، فيأكله الى البيت . وتدعى الصبايا والشباب لفركه بالايدي ليلا .

فيجعل هؤلاء يفركونه بايديهم ، وهم ينشدون احياك بعض الاغني ، كالمواليوم . يشبهها . وتنتهي السهرة بتقديم " السهرية " لهم . مما يتيسر وجوده من الفواكه او غيرها

والويل لمن تنقص عن عمل كهذا . فان جميع اترابها يحصنها بمختلف المذمات ،

ويرشقنها بلواذع العبارات . ويقلنَ عنها انها ليست « امرأة بيت » بل هي « هطة » او « رشله » او « ونحه » . ولا يكون لها بينهن مكانة او قيمة . ولا تحوز رضى زوجها

### اعمال الرجال اليومية

كذلك الوياح والف ويل للرجل الذي يتهاون في عمل من اعماله، شاقاً كان ام هيناً، او للذي يميل الى رخاء العيش ورفاهة الحياة . فان مقامه يسقط بين الرجال ويصغر في نظر النساء ايضاً . فانهم يرشقونه بالسنة حادة مرجحين اليه الكلام القارص واللوم القاسي والتفريع اللاذع . وعليه ان يعيش بكل ما يُستطاع من الخشونة وشظف العيش، متبعاً في ذلك الحديث النبوي القائل « تحوشنوا فان النعم لا تدوم » . حتى انهم يرضعون اولادهم الخشونة مع اللبن، ويربونهم على هذا النمط منذ الصغر . فيترك الرجل فراشه قبل شروق الشمس، ويتفقد دوابه، ويقدم لهم العلف اللازم، ويلقي نظرة على « مَرَمَ » ومعوّله وفأسه، ليرى في أي حالة هي . وبعد ما يتناول الفطور مع عيلته يستصحب اولاده القادرين على العمل، ويحمل الدواب الآلات الزراعية اللازمة له، ويذهب الى بستانه او كرمه او حقله ليفوم بما هو مفروض عليه من العمل بهمة ونشاط لا يعرفان الكلال . فمن الفلاحة الى « التجريف » اي مساواة الارض، الى « القياص بالمر »، الى الحصاد، الى اصلاح الكرمة، الى السطاح، الى غير ذلك من الاعمال الزراعية المقدسة عندهم، بدون ان يأبها لتعليم اولادهم، ما عدا النذر القليل منهم

### تعليم الاولاد

كان المسلمون، عندما يبلغ الصبي السنة السابعة او الثامنة من عمره، يبعثون به في فصل الشتاء، اي حيناً لا يتعاطون الاشغال الزراعية ويكونون عاطلين عن العمل، الى شيخ الكتاب ليتعلم القراءة . فيبدأ بحروف الهجاء على هذا النمط :

« أَرَف لا شين عليها » يعني أَرَف لا شي . عليها - « با واحدة من تحتها » اي



نقطة واحدة تحتها - « تاتنتين من فوقها » - « ثا ثلاثة من فوقها » - « جيم واحدة في نصها » - « حا لا شين عليها » الخ ...

وكان بعض المشايخ او المعلمين يعلمون الاولاد هكذا : « الف ما زالت قشالنه » بدلاً من « لا شين عليها » . فيتعلم الولد حتى آخر الشتاء، اي الى ان يبدأ شغل والده، فيأخذه هذا معه ليتعلم منه الشغل الذي « يطعميه الخبز » ويتعوده لان القراءة والكتابة، على زعمه، لا تطعمه خبزاً. ويظل مع والده الى آخر الصيف، اي الى ان ينتهي شغله، فيسمح له اذ ذاك والده بالرجوع الى « الكتاب » فيأخذ الشيخ يعلمه القراءة كما في الماضي، ثم في اجزاء القرآن

### الختم

وبعد ثلاث او اربع سنين يعلن الشيخ لاهل الولد ختام تعليمه القراءة. فيلبس الولد لباساً جديداً اعده له اهله، فيزينونه به، ويحمل القرآن على راسه فوق كرسي صغير مخصوص يوضع عليه القرآن حين القراءة، منقوش ومزين بالورود والزهور، ويطوف به الشيخ والاولاد رفاقه شوارع البلد ملنين بذلك ختام قراءته وانه « ختم » القراءة وهم ينشدون

الحمد لله ربي فارح الكرب  
ثم الصلاة على المختار من عرب

والشيخ يعدد الادوار على هذه القافية، والاولاد يرددون اللازمة اي البيت الاول . وهكذا حتى الظهيرة . فيرجعون جميعهم الى بيت الوالد حيث أعد لهم الغداء . ويصبح الولد حينئذ خاتماً للقرآن، وما عليه الا ان يساعد والده ويتمرن على الشغل والعمل تحت نظر والده . ويتقبل من الناس « التحويطات » والبسملات حوله وحواليه . فقد اصبح شاباً وعلى والده ان يحط به

وهكذا كان المسيحيون، عندما يبلغ ولدهم السابعة من عمره، يعيشون به الى الكاهن فيعلمه حروف الهجاء على النسق الذي ذكر قبلاً والى آخر الشتاء ايضاً . ومن بعد ذلك القراءة بالمزامير والاكثوثيخس وغيره من الكتب الدينية، واخيراً في الانجيل الشريف . ثم قليلاً من الكتابة والحساب . ويستغرق هذا التعليم « شتويات » عديدة، اكثر مما لاولاد المسلمين . لان المسيحيين كانوا يسمحون لاولادهم

بأن يتعموا أكثر من أولاد المسلمين . لذلك كنت ترى الاميتين منتشرين بهما كثير بين المسلمين . فكان المسلم يزعم أن القراءة والكتابة ما تطعمه الفلاح خبزاً ، كما قد . والمسيحي يكتفي بأن يعلم ولده « فكّ الحرف » أي قراءة الرسائل و" تعليق الاسم " أي كتابة الاسم في دفتر ما غير

## المشايخ والفلاحون

في الشتاء يصبح الرجال بين الفلاحين بلا شغل ، فيقضون أول النهار جالسين في « منازل المشايخ » ، أي في الغرف المعدة لجلوس الرجال ، وفي دور « المخاتير » يشربون القهوة ويتحدثون عن مصالح البلد العامة والخاصة ، وعن المواسم والمزروعات ، وعن أمر الاعشار والاموال الاميرية . ويصفون الى ما يقوله الشيخ ويلقيه على مسامعهم من تبايها وتبويلات وقصص سائقة . فيأخذون ما يسمعون منه مصدقين ومؤمنين



وتكون اقواله عندهم كأنها منزلة لا مرد عليها . فتراه بينهم كقاض يقضي ويأمر وينهى، وهم مطيعون موافقون على كل ما يبدو منه بدون ادنى اعتراض على اقواله، لما له من السلطة والسيطرة عليهم . ومع هذا تراه غير راض عن حياته معهم، فدأبه التذمر . وحتى الآن لا يزال البعض يذكر أن كان أحد المشايخ جالسا في « المنزل » ومعه بضعة رجال بينهم واحد من الذين لهم دالة لديه . فأخذ الشيخ يتذمر من فلاحيه، ويندب سوء حفظه معهم ويعدد اتعابه امامهم وما يقاسي من العناء والتعب في السهر على مصالحهم والذود عنهم، ويتأسف جد الأسف على وجوده بينهم . فقال له الفلاح الموما اليه : يا شيخ، ان الفلاح الذي يملك فدانا واحداً من الحدير يفلح ويزرع عليه، ويعد نفسه سلطان زمانه وسعيداً في



فلاح عائد من الحقل

حياته، ويكفي بيته مؤنة وعيلته طعاماً ولباساً . فانت يا شيخ، تملك من ٧٠ الى ٨٠ فدانا تأخذ غلالها من « هالفلاحين » ( هؤلاء الفلاحين )، فكيف لا تقوم هذه الغلال بأودك وأود عيلتك ؟ وعلام تتذمر ؟

وكذلك يذكرون عن شيخ قديم انه كان قد شاخ واصبح عاجزاً فلم « المشيخة » الى ولده الشيخ الشاب . ولما رأى ان ولده يسي ادارة الفلاحين قام يؤنبه ويوبخه بكلام قاس صعب على الشاب سمعه . فقال لوالده : علام توبخني وتعنفي وانت لم تخلف لي من الاملاك شيئاً يذكر ؟ فما نصيبي من ارث سيقاسنيه



خوتي واخوتي سبعة عشر :  
فجبهه الوالد : الا بكفيت ما  
ورثتكم اياه من الفلاحين الذين  
يربي عددهم على المئة والخمسين  
فدائرا ( كذا ) ، يفلحون ويؤرعون  
على حسابك وانت تقامهم التعاليم  
وهم لك مطيعون . اصلحك الله  
يا ولدي . فهكذا ظلت حال  
المشايع مع فلاحهم حتى اواخر  
القرن الفارسي في انبثاق وفي جميع  
الحايات القادون ، وخصود ، في ايام  
التجنيد وجمع العسكر اي وقود  
لقرعة العسكرية

فخرج من ايد الفلاحين اشد في الخمسين من عمره

## التجنيد

لم تكن في ذلك الزمان طريقة اخذ العسكرة التي كان يطلق عليها كلمة  
« القرعة العسكرية » منظمة كما كانت اخيرا . اذ لم يكن احصاء للنفوس ولا  
قيود مضبوطة . فكانت الحكومة تضطر ان تعتمد على « المشايخ » اي « مختارين »  
القرى والقصبات . فكان يدهم الحيل والربط فيبعثون من يشاؤون من اولاد  
الفلاحين الى الجنديّة ، ويبقى من يرضون عنه عند اهله . وكان للشيخ اليد الطولى  
في هذا الامر . اذ كان موظفو دائرة التجنيد باتون من دمشق فيحلون ضيوفا على  
المشايع ، ويعقد رجال الحكومة اجتماعا عاما في دار الحكومة يحضره جميع مشايخ



صورة قديمة لقراءة فرمان التجهيد وما يتبعها من الدعاء

الملك والقرى التابعة لها ووجهائها، ويقرأون «الفرمان» أي الأمر السلطاني الذي يأخذ العسكر في حفلة رسمية تجمع بين موظفي الحكومة من ملكيين وعسكريين.



عسكر احتياطي في زمن الاتراك حلف شكة العسكرية



امام الشكفة العسكرية يوم عيد جلوس السلطان محمد رشاد

فتصطف الجنود رافعة سلاحها حتى آخر قراءة الترمان . فيقوم القاضي او المفتي بعده بدعاء الى الله ليحفظ الدولة العلية ويمد عمر ذي الشوكة السلطان عبد الحميد . ويختتمونه بصراخ الحضور « بادشاهم جوق يشا » اي فليجي سلطاننا كثيراً ثم يشرعون في انتخاب العسكر او الجنود وتعيين المدعويين للتجنيد . فيرمون القرعة في دار الحكومة، وتسحب الاوراق المصطلح عليها بحضور هيئة الحكومة ومشيوخ البلاد ووجهائها . فكان يأتي الشاب ويمد يده الى كيس ويسحب منه « ماسورة » ضمنها ورقة ملفوفة . فيأخذها منه احد صغار الضباط ويقرأ ما فيها ويعلن قائلًا : « خالية » او « عسكرية » . فيردها الحاجب الذي عند باب الغرفة .



شباط رديف في زمر الانتركان منذ ٣٠ سنة

فانصرف والده الشاب، له، مزغرودة او مولولة، لان الحندي كان يبعث في ذلك الزمان الى بلاد بيسندة، كبلاد الين او الروملي او كريت او انجيل الاسود او الغداد او ارزوم او غيرها من ساحات الحروب العثمانية الخفيفة

—————

## عصريات الفلاحين

يقال الرجل في « منزل » المختار حتى الظهور تقريبا . فيرجع كل منهم الى بيته . وعند العصر يذهبون الى ساحات البلد العامة . ومنهم من يذهب الى ساحة الخان، حيث يجلس مفترشا الارض ملتفا بعباءته يغطي بشمس العصر، متعنا نظره ترى القوافل الآتية من الشمال والجنوب، محدثا رفقة عن الحوادث الحاضرة والسافرة . فقرة يتحدثهم عن « اشبه » البلد والجوار في شجعانهم وطورا عن مشاهير عرب البادية وفعالهم في غزوانهم، واخرى عن اشياء مستغربة ومستهجنة مما سمعه او رآه . كاتلفون وسواده، او عم جوي له اثناء سفره القريبة العهد او البعيدة . ويظنون

عكذا حتى المساء فيرجعون الى بيوتهم

اما الذين يجلسون في ساحت البلد، فبعضهم يتقدمون كمن ذكرنا، وبعضهم  
 يلبسون "بنقله" . وهي قطعة من خشب اجوز بطول ٧٥ سنتيمتر وعرض ٢٠  
 وسماك ٥ سنتيمترات. يحفرون فيها اربع عشرة حفرة في صفين متوازيين، وتسمى  
 حفرة من "بيت" فيضعون في كل بيت سبعه من الحصى الصغيرة المسماة يلتقطونها  
 من النهر . وعلى هذا يظن فيها هذا الغرض :

ارمله وف. زوجين . خميس . اربع عشرة ع. بن

عقر . بتجيب وماد . ميه . لا اربعين

يجلس اللاعبون على الارض متقابلين وهي بينهم . فيأخذ كل منهم يدور في  
 تفريق حصى البيت على البيوت البقية . فإذا آتت آخر حصاة من يده زوجها او  
 زوجين اخدها رجاها مع ما زدوج قبلهم . وهكذا دواليك الى ان تفرغ المنقلة  
 من الحصى . والغاب من جمع منها العدد الاكبر . فيحق له حينئذ ان يأخذ حصاة  
 لها حد ويكشف عن زائد المغلوب ويفرجه بصبغه ثم يحكي " يقلد " الجراح في عمية  
 الفصاد . خشية ان " ينفر دم المغلوب الى راسه " من تأثير الانكسار . وعندما  
 ينهال الحاضرون على المغلوب بالتهكم



« عصريه » على المرفوف في بيت في عسرية الحاضر



## الولاية

يدخل المدعوون الى غرفة من غرف الدار بعد ما يلقون السلام. ويخلعون نعاهم في القبة المفصولة عن باقي الغرفة بجاذ من الخشب يسمونه « درايزين ». وتكون الغرفة مفروشة بالسجاد او البسط واللباد، وقد مدّت في جوانبها الفرش، وفوقها المرافق والوسائد المحشوة بالخروق البانية يتكئون عليها . ولا يكاد يستقر الداخل في موضعه حتى يبادره الحضور، كل بدوره، بالقاء التحية قائلين : « مرحبا » او « مسيك بالخير يا ابا فلان » . فيرد عليهم التحية باحسن منها

### الموقدة والوجاق



الموقدة والوجاق

في احدى زوايا هذه الغرفة موقد بثلاث اثافي من الحجر الصلب مرتبط بعضها ببعض بما يبنون حولها . فتصبح مكانها حجر واحد تتصل باسفلها من الامام بحجر مجوف مقعري يدعى « الحوم » تجمع فيه النار . وفوق الموقد مدخنة من حجر وابن وطن يسمون بعضها الوجاق، وهي كلمة تركية . والوجاق واجهة من حجر الكداني الابيض المنقوش نقوشا عربية جميلة، بطول متر وربع وعرض خمسة وسبعين سنتمترأ وسمك عشرة سنتمترات مركزة بين الحائطين فوق الموقد على قاعدتين من اصل

الحائط ومرتفعة عنه نحو تسعين سنتيمتراً . ويسقفونه ببلاط من نوعه، ويبنون المدخنة منه الى سقف الغرفة حيث يصلونها بكوة يصعد منها الدخان . ففي الموقدة يشعلون النار من الحطب والشيع والفحم و« الجلّة »، وهذه كتل من روث البقر، و« الكرس »، وهو ما يتلبد من تراكم بعر الدواب واختلاطه بيوها.

### القهوة

اول ما يقع عليه نظر الداخل الى هذه الغرفة، النار وقد صُمّت عليها اباريق القهوة والشاي الحلبي . وهذا مركب من البهارات الحارة كالفلل والقرنفل



والقرنفل والجزييل وجوز الطيب، المطبوخة مع السكر والمحفوظة اقراصاً . ويصنعونها في حلب . وامام الموقد صاحب البيت او احد ابنائه او اقاربه، وييده محصة من حديد ذات ساعد بطول ثمانين سنتيمتراً .

والى طرف الساعد سلسلة صغيرة 'علق بها قضيب من حديد ينتهي بشبه ملعقة يحرك بها البن عند تحميصه . فتى فرغ الرجل من تحميص البن يضعه في هاون من الخشب الصلب ليبرد، ثم يدقه بدققة من الخشب

محصة البن والجرن والمهباج و اباريق القهوة عينه يسمونها « المهباج » دقاً . وزوناً له ايقاع يستحسنه الحضور بينما الرجل يقتخر ويباهي بموسيقاه المطربة

حينئذ يأخذ في طبخ القهوة بشي . من الحمير المحفوظ في الاباريق ( اي ما تبقى من القهوة المطبوخة سابقاً ) . فيضيف اليه الماء اللازم ويغليه جيداً . ويسكب منه في ابريق مخصوص بالطبخ مع القهوة المدقوقة حديثاً . ويحتس لئلا تمس يده القهوة المدقوقة خوفاً من ان يعلق بها من يديه رائحة او طعم غريب يذهبان « بنكهتها » . وحينما تنضج يضع لها حب « الهال » مدقوقاً ويروقها اي يسكبها في ابريق ثالث يختص بالقهوة « البكر »، كما يقولون، ثم يصب من ابريق الحمير فوق الابريق الذي طبخت فيه القهوة شيئاً من الحمير ويلصقه بالنار لكي يطبخ

## الولائم

ثانية، وهذه يسمونها « التنوه » . ويصب من البكر قليلاً في الفنجان ويحركه حتى يتلوث داخله منها، ويصب ما فيه في الفنجان الثاني ويعمل به كما عمل بالاول، ويرمي ما فيه على الارض . وهذه يسمونها « حصة الشاذلي » لاعتقادهم ان الشاذلي هو الذي ابتدع شرب القهوة او هو اول من شربها، وانهم اذا لم يرموا هذه من الفنجان الى الارض ينقلب الابريق وتراق القهوة حتماً . ثم يصب القهوة بفنجان ويشربها هو نفسه على مرأى من الحضور طمأنة لهم . ثم يدور عليهم ويسقيهم اولاً وثانياً . وهم يشربون ويعيدون الفنجان قائلين : « دائرة »، اي عسى ان تكون قهوة دائرة . فيجيبهم الساقى : « صحتين »

وكانت القهوة في تلك الايام لا تصنع الا في بيوت المشايخ والوجهاء المثربين، او في الافراح والولائم . وما كنت ترى ابريق القهوة الا في بيوت هؤلاء . وعند الحاجة اليها يستعيرها من يقيم الافراح في بيته . وكانت القهوة المشروب الوحيد الفاخر عندهم، وكانوا لا يعرفون غيرها من المشروبات المنعشة او الكحولية مطلقاً، بل كانت نفوسهم تشمئز من ذكرها، مسلمين كانوا ام مسيحيين، وظلوا على ذلك حتى اواخر القرن الفار

## ذاول الطعام

بعد ما يكمل عدد المدعوين يضعون في وسط الغرفة « سفرة » من الخشب ترتفع عن الارض مقدار نصف ذراع . ويضعون عليها « المنسف »، وهو وعاء من نحاس كبير مقعر ملآن من الارز او البرغل المطبوخ بالسمن، في الوسط، وحوله صحاف فيها من انواع الطبخ المختلفة، اكل مدعو من كل شكل صحفة مملوءة . ويضعون ايضاً من خبز التنور اكداساً، وملاعق خشبية على عدد المدعوين . فيبدأ صاحب البيت قائلاً : « تفضلوا على الميسور » . فيجيبونه : « ميسور غانم » . ويدنون الى السفرة بحشمة واحترام الواحد بعد الآخر، كل بحسب منزلته، حتى تقتلى المواضع حول السفرة . فيأخذون في الاكل بعد البسملة، بدون ان ينبس احدهم ببنت شفة . اذ كانوا يعتقدون ان الكلام حول السفرة حرام، ويقولون : « لا سلام ولا كلام على الطعام » . فيأكلون صامتين، فلا يسمع من في البيت غير صوت التهامهم الطعام . وكانوا يفضلونه حاراً جداً حتى الغليان . فكان الواحد

منهم « يشرق » ما في المعلقة من الحساء « شرق » غنيظاً ( أي يرتشقه ارتشافاً )  
 فيسمع له صوت عالٍ، ويمضغ مضغاً لا يتفق مع كذب المائدة في إبداء عذبه .  
 ويتسابقون بسرعة اتهم الطعام . فمن اقترأهم الماثورة ( كل أكل الجمل ومقرب الوجل )  
 وترى صاحب البيت وأولاده وأخوته وأقاربهم، وبريسي بعضهم الماء للشرب، وبريسي  
 الآخرين صحافاً مملوءة من النوع الطعم . فيتفقون الصحف والمثقف نالاً منه .  
 ما فيها فيصحبون في ما نقص منها قائلين : « يامية عالا وسهلا، وير حلت البركة،  
 صحتين وهذا، الأكل على قد أحبة يا جماعة »

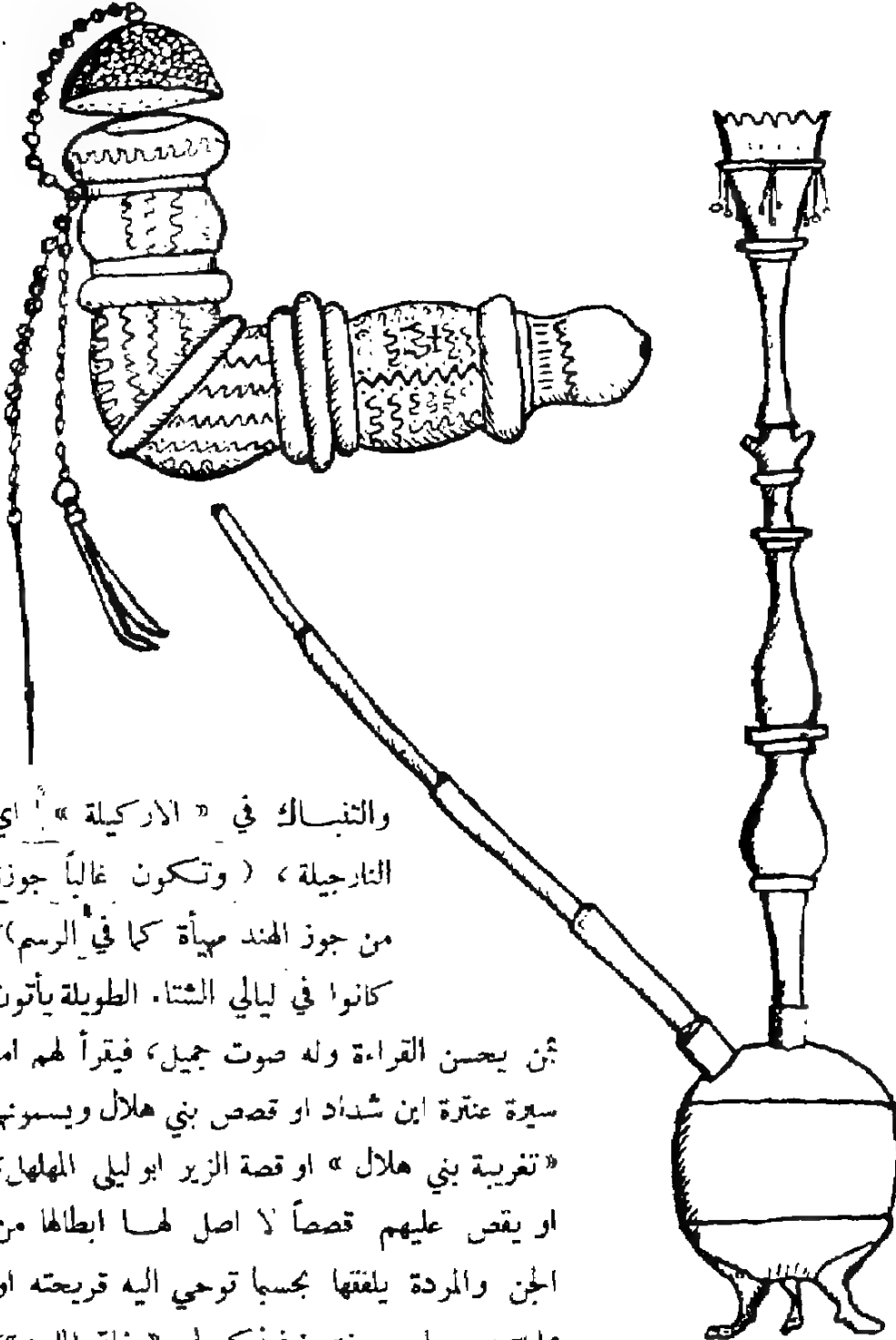


الآكل في ولزمه ماشراس

وكلما قام واحد من المدعوين يابس طرف السفرة بنامله ويرفع يده إلى فمه  
 مقبلاً إياها، حامداً الله، قائلًا : « دائمة إن شاء الله » . فيأخذ بيده محله، إلى أن  
 يأكلوا جميعهم ويرجعوا إلى أبحاثهم الأولى . وعندها ترفع السفرة وما عليها يقول  
 المدعوون جميعاً : « سفرة دائمة إن شاء الله » . ويأخذون يتسامرون، ويتجادلون  
 تلك الليلة أطراف الأحاديث

## السهرات

بعدها يشربون القهوة والشاي الحلبي، والتبغ « بالسيل » او « الفليون »،



والتبناك في « الاركيمة » اي  
 النارجيلة ، ( وتكون غالباً جوزه  
 من جوز الهند مهيأة كما في الرسم )،  
 كانوا في ليالي الشتاء الطويلة يأتون  
 ثن يحسن القراءة وله صوت جميل، فيقرأ لهم اما  
 سيرة عنقرة ابن شداد او قصص بني هلال ويسونها  
 « تغريبة بني هلال » او قصة الزير ابو ليلى المهلهل،  
 او يقص عليهم قصصاً لا اصل لها ابطالها من  
 الجن والمردة يلقونها بحسباً توحي اليه قريحته او  
 مما سمعه ووعاه من غيره: فيذكر لهم « خاتم المارد »،

يفرّكه عند الاحتياج فيأتيه المارد ملتياً له كل ما طلب قائلاً « لييك، عبدك بين يديك ». ويذكر لهم « طاقة الاخفا » لكي يلبسها عند الحاجة فتخفيه عن عيون الناس وهو يراهم . و « الشعرات السبع »، و « الريشة من الحصان او من الطير » ليحرقها عندما يقع في مشكل او في خطر، فيأتيه الحصان او الطير فيستخدمهما لكل ما يلزمه ليخلص من كل ضيق .

### لعبة الصينية

او يلعبون بلعبة الصينية . وعليها تسعة « فناجين » او اقداح صغيرة يجثون خائفاً تحت واحد منها . وينقسمون قسمين . وعليهم ان يعرفوا اين مخبأ الخاتم، بموجب قانون هذه اللعبة . فمن غلب منهم يأخذ في تعيير المغلوب بأغاني وحركات هزلية لا تخلو من البذاءة والهزء والسخرية في غالب الاحيان . فيتقبل القسم المغلوب كل ذلك من الغالب برضى . ولا بد للمغلوب ان يغلب يوماً، فيثبّر لنفسه

### لعب الورق

او يلعبون بورق اللب، لعبة المتين . ومن يغلب منهم يحق له ان يؤن المغلوب بالورق الزائد، اي ان يضع بين عقاله ورأسه ورقة كريشة العروس يوم « جلوتها » . وله ايضاً ان يسمعه كلام هزء وسخرية . وهكذا حتى آخر السهرة . فيأتيهم حينئذ صاحب البيت بالعنب والجوز والتين والبطيخ والبرتقال والاجاص الملكي او الشتوي، فيتناول كل منهم ما يشتهي ويريد . وهذه يسمونها « السهرية » . وبعد هذا ينفرط عقدهم، ويبقى من كان ضيفاً في بيت مضيفه صاحب الوليمة، الذي أولم على شرف الضيف واكراماً له

## اللباس

### البسة الرجال

كان الرجل يلبس أولاً جلباباً أي قميصاً يصل إلى ما فوق أقدامه . وتحتبه سروالاً من الخام البلدي الأبيض يربطه بتكة فوق وركبيه . وفوق القميص « صدرية » أي صدرية تحيط بالصدر والظهر بلا أكمام، لها أزرار على الصدر . ومع



لباس الرجلين

الصدرية « شنتيان »، أي سروالاً من الخام البلدي الكحلي المطرز بالحرير الأحمر والأصفر على جيوبه وعلى أطراف رجله، يربطه فوق خصره بتكة من نوعه . وفوق « الصدرية » صدرية ثانية بأكمام بدون أزرار يسمونها « اجلك » . مطرزة أيضاً كالشنتيان . وهذه الثلاثة من الخام البلدي المصبوغ بالنيل باللون الكحلي أو الأزرق . ويتمنطق بمنطقة عريضة من الصوف

الأحمر والأزرق ينسجها بيده . وقد أخذ في أواخر القرن الماضي يتمنطق « بالكمر » المصنوع من الصوف حديثاً . وفوق هذه كلها يلبس عباءة صغيرة تشبه « الاجلك » يسمونها « ريع »، إنما تكون أكمامها إلى المرفق . وفي أيام البرد يرتدي عباءة من الصوف الأسود الموشح بقليل من البياض، وقد يكون نسيجها ذا أقلام سود



قلمونيون بملابس مختلفة الأزياء

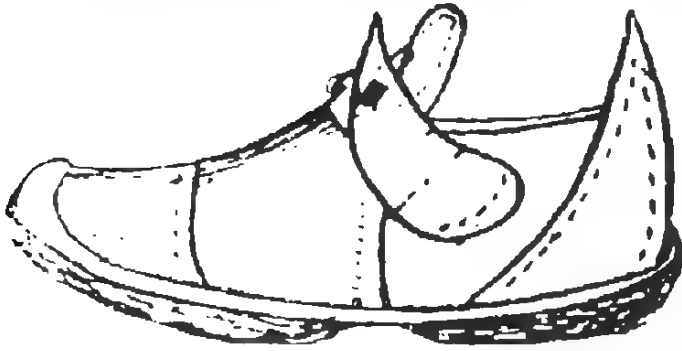


وبيض، وأكمامها إلى المرفق ايضاً، وهي تصد إلى ما فوق الركبة، ويسمونها « زناربه » لأنهم يتخذون فوقها اثناً، شغلهم



رجل من سادة المداس مع راند

والبرد والمطر والتلج . ويحتذي « المداس » من صنع سكان في البلد، وله شكل



المداس

ويلبس الجمالة منهم رداء من جوخ علي اللون سميكا ذا قبعة، يسمونه « كبود » او « دامر » ويضعون على رأسهم قطعة من القماش القطني ماونة بالاسود والاحمر والاذرق او غيرها من الالوان، يلبسون تحتها « لبادة » من الصوف او « طاقية » تحوكمها نساؤهم بايديهن، وفوق الجميع عقاب مبروم من الصوف او الوبر بطريقة خاصة بالعقل . ويرتدون فوق الكل عباءة كبيرة من الصوف تنزل إلى الرجلين، ليس لها اكمام، وهي عريضة تلقى على الكتفين فتغطي الجسم كله وترد عنه الهواء.

والبرد والمطر والتلج . ويحتذي « المداس » من صنع سكان في البلد، وله شكل خاص يجعله يضبط الرجل ويغمرها . وهو متين لانه مصنوع من جلد الجمل او البقر المدبوغ في هذه البلاد . وله نعلان : نعل عادي، ونعل من فراسن الجمل وكلاكلها .

ولا يهيم الجمالة ثقل المداس وقساوته، لكثرة ما يقومون به من الاسفار البعيدة في الجبال والاراضي الحجرة

اما الشبان فيلبسون فوق القميص والسروال رداء « كالقنبار » يسمونه « حاية »

من اخذ البدي مصبوغ بالملون الازرق . ويتمنطقون فوقه بسير من جلد في الصيف او بزناز من الصوف الملون في الشتاء . ويلبسون عباءة حمراء مقصبة

« كثرنارية » المذكورة قبلا، وهي من صنع الزوق . ويتمنطقون بخواتم الفضية . وترى احسانا شبنم متزوجين ينيف عمرهم على عشرين سنة، وفي آذانهم اقراط ذهبية . تهدي هذه الى البكر اذا كان غلاما . ويكون عادة من اولاد الاغنياء او وحيد لاهله . وترى حول وجوه البعض



منهم طفائر من شعورهم تتدلى على اعناقهم حتى الصدور، فيباهون بها، ويقلدون عرب البادية . ويلبسون على رؤوسهم كالرجال ما خلا بعض تغيرات يتبعها الشاب بدافع التطور والترقى . وترى على رؤوس الشبان اشكالا كثيرة متنوعة . فمنهم من يميل عقاله الى اليمين، ومنهم الى

شمال المجاس غربي فدرغوا شعورهم كما يبدو

يساراً ووجه من بطنه فيضعه على جبهته ومنهم من يلقيه في مؤخرة الرأس



وكان اولاد الاعيان والوجه بلبسون القميص الابيض ذا الاردان المطرزة باخريز الابيض وشقاقون فوقه السلاح على انواعه، وخصوح في ايام الاعراس والافراح

وكان الاعيان والمتقدمون في السن بلبسون « البطر » وهو سروال فضفاض من الخيام البلدي الابيض، واخيرا الحدوا يستعملون

لذات الاقشة الاوربية التي يسمونها « بياضا » او « منصور » او « خاساما » . وقليل من كان منهم يلبس العمة البيضاء . وكانت ترى من الشيوخ من يعمم بالشارة العجمية، و بنات يشبهين و نعلان من النور يلبونه على رؤوسهم فوق الكوفية او الحطة خيرية، و بزناز حريري ماون كان يسمى « طربلي » لانه من مصنوعات طرابلس الشام





## البسة النساء

اما النساء، فكنَّ يلبسن ما يلبس الرجال من الالبسة الداخلية ما خلا بعض التغير في ارجل السراويل التي تكون « مزومة » الاطراف عند الارساع، والبعض منها يربط تحت الركبة فيتدلى الى ما فوق الرسغ . ويلبسن فوق القميص قميصاً ثانياً بلا اكمام يسمونه « خراطة » وهو احمر اللون، وفوقه « صدرية » لها ازرار تضبط على الصدر . وفوق الصدر « قنباراً » ذا ثلاث فتحات : واحدة من العنق الى القدم، واثنان على الجانبين من الخصر الى القدم ايضاً . وهذا القنبار يضبط في وسطه الامامي تحت الصدر فتبقى « الصدرية » ظاهرة بازرارها الفضية المعلقة بحلقات من الفضة، من العنق الى الزناد

وترتدي النساء ايضاً ثوباً فضفاضاً من الخام الازرق يسمونه « تنورة » ويتسطقن بزناد من صوف ماون، او بشالة عجمية اذا كانت من الاغنياء او البالغات سن الكهولة . فتكون هذه الشالة للمرأة مستودعاً للفضامة والزيب والجوز والتين، ولاشياء أخرى كثيرة تحتاج اليها المرأة لترضي بها اولادها الصغار . وتستعمل زنادها هذا محفظة لدراهم وللمرأة و« الكشتبان »، وملفتاح صندوقها، وملفتاح باب الدار الخشي، اذ لم تكن الغالات الحديدية معروفة عندهم بعد، الا نادراً

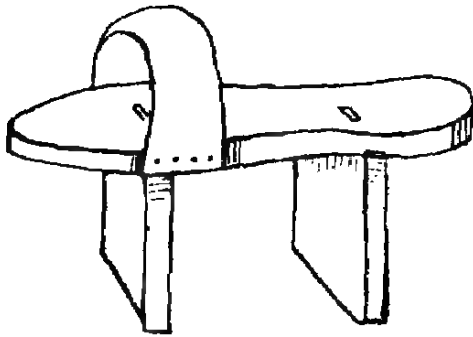
وفي الشتاء تتدثر « بالدامر » المطرز « بالقصب » اي بالاسلاك الفضية والذهبية، وهو يشبه « الاجلك » لكنه من الجوخ . او « بساكو » من الجوخ، واذا كان من الخمل يسمونه « بانطو » . وله اكمام، وهو يصل الى ما فوق الركبتين او اليهما فيقيهما البرد

وتضع المرأة على رأسها طاقية سوداء تعصب جبهتها فوقها « بشملة » حريرية او عصبة قطنية سوداء . وتلف رأسها بمنديل طوله اربع اذرع وعرضه ذراع، ملون بالاحمر والاسود والاصفر من مصنوعات حلب، تطلق نصفه على ظهرها من فوق قمة رأسها فيصل طرفه نحو القدمين، والنصف الآخر تلفه حول رأسها وعلى عنقها وتثلثم به بشكل يناسب البستناء، فيرد البرد واهواء عن عنقها واذنيها . و« تسبل » اي ترخي « سالفيا » اي شعر مفرقها على خديها حتى ذقنها، فيظهر

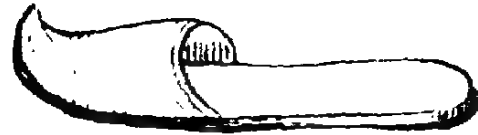
وجهها الى ما فوق حاجبها مستديراً يستلفت اليه الانظار . وعندما تقصد ان تقي وجهها لذعات البرد القارس، او لأي غرض آخر، تأخذ مما لفّ به عنقها من المنديل وترفعه الى ما فوق انفها، فيتغطى به معظم وجهها ما عدا عينيها . وهذا يسمونه « خمار » وهو اللثام . وكان النساء المسلمات والمسيحيات ايضاً يتجنبن كثيراً ان تكشف لستهن امام الرجال، ولو كانوا من ذويهن الاخصاء، ويجسبن ذلك محرماً وعيباً شائعاً

وكن لا يستعملن للبستهن الا الاقشة القطنية والصوفية والحريزية المنسوجة بأيدي ابناء البلاد على انوالهم البسيطة، كالخام البلدي والعباءة والديما والكرمسوت والدامسكو والمصانية والألجا والحامديه وما شابه ذلك من مصنوعات دمشق وغيرها من البلدان . وظلت الاقشة الفرنجية غير معروفة عندهن الا نادراً، حتى اوائل الربع الاخير من القرن العاشر . فهب يوماً رجل وفتح حانوتاً واخذ يجلب اليه من بيروت الاقشة الفرنجية على اختلاف انواعها . فجعلن يتهافتن على لبسها منقادات مجهن للجديد وتزوعهن الفطري الى التحول والتقلب والظهور بمظاهر غريبة عن المؤلف، مأخوذات ببهارج الصناعة الفرنجية وزخرفها

وتحتذي النساء « البابوج » وهو من الجلد الاصفر معقوف الرأس ذو كعب قصير جداً . وفي الشتاء يحتدين الققباب العالي « الشبراوي » اي بعلو الشبر او اكثر احياناً، اتقاء للرطوبة والوحول



الققباب الشبراوي



البابوج

وكانت البنات والنساء يصفرن شعورهن بضع صفائر مع جدائل من الصوف ويرمين بها الى ما وراء ظهورهن . وكانت المثيرات منهن يربطن اطراف جدائلهن بقطع من الفضة للزينة، او بقطع من النقود الفضية المتداولة، نظير نصف « الزهراوي »

وربما يسمونها « رختاً » ويتمنطقن بنطاق من صوف او حرير ملون لها اهداب حريرية فيها خيوط الفضة والذهب

وكان الاغنياء المتقدمون في السن من كلا الجنسين يلبسون الجوارب العجيبة من الصوف في الشتاء بعدما يبطنون اسفلها بجلد من « الحور » الابيض والاصفر، ويجلد احمر فوق اصابع القدم ومن وراء العقب، فيطول بذلك عمر زوج الجوارب الى ما يزيد عن الخمس سنوات

### على النساء

وكن يتحلين بالاقراط الذهبية . والقرط حلقة بدائرة « الريال » نصفها الاسفل من كريات صغيرة من الذهب مخرمة ومزركشة يعلق في كل منها « ربعية » اي ربع غازي، والنصف الاعلى سلك مربوط بالنصف الاسفل بمفصلة يُدخِل في الاذن حين التحلي به . ولذلك يسمونه « حَلَقٌ » ويعطون القرط بسلسلة من الذهب او الفضة مَنُوط بها « غوازي »، وفي اعلاها كَلْب يُغَرَّز في الشعر والعصبة معاً فتدلى الغوازي بعضها فوق بعض على جانبي الوجه فتزيده رونقاً وبياءً، ويسمون ذلك « حلق مشنشل »

ويتحلين ايضاً بالخواتم والاساور الفضية، وقليلٌ منهن بالذهبية، والغنيات يلبسن مع الحلق المذكور قطعتين من الذهب الرقيق مثلثتي الزوايا تدعيان « قراني » . و« القراني » مرصعة منقوشة تعلق بزرد كزرد الحلق

ويتحلين ايضاً بالحجب الفضية والذهبية . وهذه تكون غلافاً « لكتاب »، او تيمة لوجع الرأس او « لفريئة »، التي يعتقد بها النساء انها قرينة لهن من الجن مضرّة، تسبب لهن وجع الرأس او العقم او موت الاطفال او غير ذلك من المصائب . وقد يلبسن التامم اتقاء لمضار الخوف او للخجل

ويتحلين ايضاً « بالكردان » و« الصنوبر » في العنق . وينظمن عقوداً من الحُرَز الازرق وبينها « الغوازي » او انصافها يسمونها « اطواقاً » جمع طوق . ويتحلين « بالصف »، وهو من ارباع الغوازي الذهبية يخطنها على العصبة صفّاً منتظماً فوق الجبهة . و« بالناطور »، وهو قطعة من الذهب مزركشة تشبه اللوزة



سيدة من النبك بلباسها وحلاها القديمة

الصغيرة مرصعة بالخرز  
تناط بالعصبة فتدلى بين  
الحاجبين - و « بالسليطات »  
وهي سلاسل رفيعة من  
الذهب تلبس في المعصم  
كالسوار - ويتمنطقن،  
حينما يتزين في الاعراس  
والافراح والاعياد،  
بمناطق من المخمل الاسود  
او الازرق او الاحمر  
يدخلن فيها قطعاً من  
الفضة المزركشة كاللوز  
ويتحليين ايضاً  
بالخلخال فيلبسنه فوق  
الارساغ، وهو من الفضة  
يعلقن به جلاجل صغيرة  
ترن عند خطواتها .  
و « بالخرام » في انوفهن،  
وهو يشبه نجمة مصنوعة  
من الذهب في وسطها  
خرزة زرقاء تعلق بها  
رقائق صغيرة من الذهب .

واللخرام « دبوس » يدخلنه في ثقب بانوفهن كثقب الاذنين، وله من الداخل رباط  
يمنعه من السقوط

وفي اواسط الربع الاخير من القرن الفابر اخذت النساء تتزين « بالشكل »  
وهو سلسلة من الفضة او الذهب يبلغ طولها احياناً ذراعاً واحدة يعلقون في وسطها





قلمونان نتوسطها امرأة نزيبتها البدوية

قطعة ذهبية من نقود النساء  
يسمونها «قرنيحة»، وكانت  
قيمتها اذ ذاك ٣٠٠ قرش او  
ليرتين انكليزيتين، ويعلقون على  
جانبي «القرنيحة» عشرين او  
ثلاثين غزياً عتيقاً، ويلبسن  
«الشكل» في اعناقهن فيتدلى  
على صدورهن فتكمل به زينتهن  
وكان الشبان والصبايا  
يتزينون بالوشم على ايديهم  
وزنودهم، والبعض على صدورهم،  
ويباهون به كثيراً

## فلاحتهم وزراعتهم

يقسم الفلاحون في القامون الى ثلاث طبقات : قوية، ومتوسطة، وضعيفة .  
فالفلاح الذي من الطبقة الاولى هو الذي يملك ارضا واسعة تسقى بالماء، ويملك ما  
يكفيها من ماء البلد وارضاً كثيرة في البرية لا تسقى الا بماء المطر . وهذه هي

(١) قسم ماء النبت الى اربعة وعشرين «عدان» . ويعتبرون انهار «عدان» والليل  
«عداناً» . ويسمون كل عدان الى ثلاث افرق . وكل فرقة تدوم اربع ساعات . فيكون  
مجموع الساعات ٢٨٨ ساعة . وهذه يسمونها «شدداً» . فمن كان له ساعة شدد يأخذ ثلاث  
ساعات رمنية من الماء كذا هو مبين في الجدول التالي عن تقسيم الماء بين فلاحي السمث  
اربعة وعشرون «عدان» او مصراع، ينادون بها كل ابي عسر يوم، فيصبح اصحاب العدان  
الليلي انهار ويضي اصحاب العدان النهاري ليل

الليل	
عدان بيت الصيغ	
==	المهبط
==	ابو ابراهيم

النهار	
عدان بيت الصيغ	
==	المهبط
==	احمد شير

الاراضي البعلية، وهي ملك مشاع بين عامة الاهالي غير مقسوم، ما خلا قطعاً صغيرة مملوكة ملكاً مطلقاً

والفلاح الذي من الطبقة المتوسطة هو الذي يملك مقدار نصف او ثلث ما يملك الفلاح القوي من سقي. وقدر ما يملك ذاك من ارض. بعل  
والفلاح الذي من الطبقة الثالثة هو الذي لا يملك من السقي الا القليل، وله من الكروم ما يقدر على إسقاؤه في الشتاء. اذ يصح الماء مباحاً للجميع  
وقل من لا يملك قطعة من الكروم او لا يملك دابة او دابتين معها كان ضعيفاً او فقيراً . والدواب ضرورية للفلاح أياً كانت طبقته : اولاً للفلاحة والزراعة .  
ثانياً لجمع مزروعاته ودرسها ونقلها . ثالثاً لجلب الوقود في الشتاء الى بيته . رابعاً للسكرارة عليها في اوقات الفراغ . ولغير ذلك من الحاجات الضرورية

فانهم، على اختلاف طبقاتهم، ذوو هممة شبا. ونشاط عظيم، مشهورون باقدامهم على العمل وسرعتهم في انجازه، يكرهون البطالة والكل ويقدّمون على اعمالهم مدفوعين بعامل الألفة والعزة، تخلصاً من الذل والهوان وهرباً من الحاجة والعوز .  
يقصدون الواجب ولا يأبهون لرفاهة العيش ورخاء الحياة، بل يحسبونها كسلاً وخمولاً ويتجنبون تربية اولادهم عليها

تراهم يرقبون الفرس . فلا يكاد يأتي الربيع ببهجته حتى يهب الفلاح منهم مستصحباً دوابه و« العدة » والسكة، اللتين ورث شكلهما عن اجداده السالفين، الى الاراضي البعلية . و« يكدن » اي يقرن زوجي بغال او بقرة، او الجنسين معاً،

الليل	النهار
عدان	عدان
بيت الشاقي	بيت الشاقي
قطيط	بيت الاجرودي
ابو الديك	عابده
البدوي	خميس
المساكره	زهرة وني سعد الدين
بيت مسكة	عروق
الحاج مصطفى	الدماثة
اخرامزه	العينية
بيت النكار	ابو يحيى

او الحيز، ويشدهما الى المحراث فيجرانه، وهو ممسك يمينه عصاً بطول متر يسمنها «مسأساً» اي منسأسا يسوق بها الفدان، ويقبض ويكبس بيده الثانية على «كابوس» السكة . فتشق الارض خطوطاً متحاذية، الى ان يفلح كفايته من الارض ويتركها للطبيعة تفعل بها ما تشاء مدة ثلاثة اشهر . وفي اواخر حزيران يعيد فلاحها ثانياً . ويسمون عمله هذا «تناية» ويتركها الى منتصف شهر آب . فتصبح تلك الارض صالحة للزراعة . فيأتيها الفلاح بالحنطة او الشعير ويؤرع فيها ما تستوعبه من تلك الحبوب الموافقة لاراضي القامون ومناخه وتربيته . ويساعده على هذا العمل اولاده او شركاؤه من الفلاحين الذين من طبقتهم . فانهم يتشاركون فيفلحون ويؤرعون مما على بركات الله، منتظرين حلول رحمة تعالى بالامطار والثلوج طول الشتاء . فيجلبون الحطب والشيخ من جبالهم الشرقية والغربية، والكرس من «مراح» اي مأوى الغنم والجمال فيها . وفي اوقات الفراغ يسافرون شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً . فيأخذون من محصولاتهم، كالحنطة والشعير والدبس والزبيب والشوم والجوز، فيبيعونها ويتناون بسمنها ما يحتاجون اليه من سمن وزيت وزيتون وحصى وعدس ولوبيا . وما شابه ذلك مما يلزمهم ويحتاجون اليه مؤنة لبيوتهم

## الحصاد

ولا يكاد ينضج زرع الاراضي البعلية حتى يكاد صبر الفلاح ينفد مع مؤنته . فيهب مع اولاده اذا كان قوياً باولاده ودوابه، او مع شركائه اذا كان ضعيفاً، ونفوسهم ممتلئة املاً ونشاطاً . ويصلحون ما تعطل من (شباكهم) من السنة الغابرة ويهينون «الموارج» اي النوارج والرفوش والمذارى والقرب لآخذ الماء الى البوية خشية العطش . وياخذون معهم ما يلزمهم للمأوى ولاعداد طعامهم، «كالصاج» للخبز والطناجر للطبخ والبسط والفرش واللحف احياناً والاعبنة و«البواطي» . وهذه تحاك من الصوف سدى ولحمة، وتشبه العبادة الكبيرة بشكلها، غير ان لها اكماماً

(١) جمع «شبكة» وهي اداة يستخدمونها لنقل الزرع المحصود على ظهور الدواب

تصيرة جسد سبيح الفلاح تحت عبء ثقل زبدية تنفخ في سبيل نورس ومنسيا في  
 بين حيلة أعزبون في ابرية بعيد عن اية  
 ويسحبون كبر وصغار رجلا ولسا كاشيا وصبارا وكان رجل قبل لا  
 بأخلاق بادقهم ذوت القساحة والحدوة لاسا فمة عن تفسيهم ان هجيمه عران



عرب الزمان الراعي النوب الترفية

البدة او عربن حبل الدروز والصفاء وكان من دلب هوماء ان يشوا القارات  
 على الفلاحين وعلى اصحاب المواشي في «مشايهم» وعلى الخارق فيقطعونهم وينهبون  
 ويسلمون ويقتلون، وكنهم كانوا يدخلون البلد وينهبون منها، تصل اليه ايديهم



مدارحوم من عازدة مران

غير مبالين بالحكومة او انذار ولا هيأين سطوتها . فحينما كانت تنهب المواشي من « مشاتيها » كان يأتي من يخبر « مشايخ » البلد، وهؤلاء بدورهم يخبرون الحكومة ويُصعدون « الحواط » اي خادم البلد الى المتذنة فيصرخ قائلاً : « يا قواسه، يا بغالة، هتوا » فيهب الرجال والشبان بسلاحهم وبغالهم ، والبعض منهم راجلين، مترودين الخبز والماء . ويهب المشايخ والوجهاء ايضاً بجيولهم وسلاحهم، ويلحقون بالعرب مع جنود الدرك « الشراندرمة » . فتارة كانوا يدركونهم ويسترجعون المنهوب منهم، بعد موقعة دامية يتبادلون فيها اطلاق الرصاص، وتارة يرجعون بدون جدوى، واحياناً خاسرين منهم رجلاً او اثنين او اكثر . لذلك اضطرت الحكومة ان تعين فريقاً من الجند كانوا يسمونهم « عساكر موظفه » مرتبطة « بالشراندرمة »، تحت قيادة المرحوم محمد باشا الجيرودي المشهور بسطوته على عربان البادية وشجاعته الحارقة العادة وفروسيته التي لا يزال الناس يتحدثون بها الى الآن . فكان يلحق بالعربان هو وجنوده المنتخبون فيقتل منهم واحياناً ينكل بهم تنكيلاً رهيباً . وكان له معهم مواقع عديدة هائلة جداً . فانه كان اذا لحقهم برجاله يحرق من يحزنه اللحظة فيقع بين يديه حياً، ويرجع المنهوب في اغلب الاحيان . وقلما رجع بدون جدوى او خاسراً من رجاله نفراً او اثنين . وظل البدو على هذا حتى اواخر الربع الاول من قرننا الحاضر، اي الى ان احتلت البلاد الدولة المنتدبة الفرنسية، فانكسر الامن في البلاد وحار الاهالي يروحون ويغدون في صحراء سوريا بكل امان

وكان الفلاحون يقيسون في تلك البقاع الزمان اللازم لحصاد زروعهم . فيستيقظون باكراً، ويشرعون في الحصاد بأيديهم وهم جالسون القرفصاء على صفة واحد، ويتبارون في النشاط والصبر على مضض هذا العمل الشاق إبان الحر المحرق . واذا كانوا يحصدون في حقل قريب الى طريق عام او الى طريق تسلكه الحياة فلا يتركون خيلاً يمر بدون ان يلاقيه ولدٌ منهم او فتاة حاملة بيدها « شال » اي قبضة من الزرع تطلعه لفرسه قائلة له : هذا « شمالك » . فيعطياها ما تجود به نفسه من الدراهم : ثلاثة او اربعة قروش او ربع ريال مجيدي في ذلك العهد . فترجع هذه الى ربها مسرورة فرحة بما اعطاها، وهم يتفنون باغاني الحصاد او غيرها متحسين . فتارة يقولون :



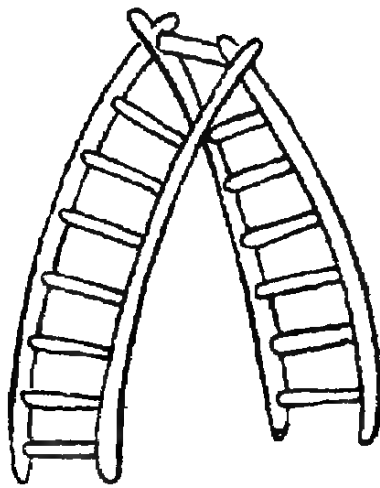
شماره ١٠٠٠ خاور

میت صاحب‌مسئله ایجاب آورده . موت هون من حصاد الحول  
 فیجعل من یحسن فیهم القول بعد الادوار علی هذه الامه . وهم یرددون  
 وترة یقول : بدا الی ریست یو . سنت مری تا یو

او يقول : يا هل طرنطاب هواكم طاب  
ومعلمكم حاضر ما غب  
او يقول : شوش الجمال عقلي لمن شدوا عارحيل  
او : يا معلمتي يا حذندوقه خبز البابت ما دوقه  
او : شو شلب يا شوشلب رأس العنقود انهل  
ويقولون لمن يقصر عنهم :

جالي وراثا خشخشه برغوت مدري برغشه  
جالي وراثا غاره جربوع مدري فاره  
ويقولون ايضاً : يا حصاد الحر مر جوني عالفى جر

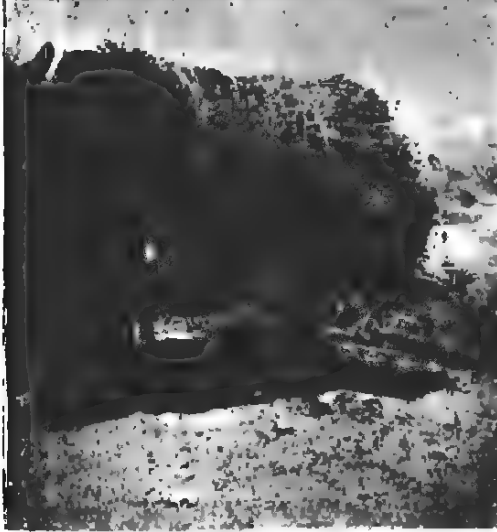
ويتحدثون باحاديث شتى عن الحوادث الحاضرة او الغابرة، كالاقتحار والتعجب  
برجل من النبك او من القرى المجاورة لها، وخصوصاً اذا كان من اقربائهم واصحابهم  
وكان شجاعاً مشهوراً بمطاردة الاشقياء، ورد غاراتهم عنه وعن رفاقه او بتفوقه على  
بضعة رجال من غير النبك بقوة جسمه ونشاطه ورشاقته بالضرب اذا وقعت مشاجرة  
او مغالبة، او اذا كان من الادباء الذين يقولون المعنى والزجل ويفنون على الدبكة  
وفي الاعراس . ويتحدثون ايضاً عن حوادث خرافية متعلقة بالجان والشرطيين، وتارة  
عن الاولياء، والقديسين والابياء، او عن عنزة والوزير والملك سيف وبني هلال  
وابو علي الزبيقي وما شابههم



الشجر

يرمون ما يحصدون وراء ظهورهم «شائل» .  
فيأتي الفتيان والصبايا ويلتقطونها من ورائهم  
ويجمعونها حزمًا يسمونها «اغماراً» . فتجتمع منها  
ما يكفي لحمل الدواب الموجودة لديهم يحزمونها  
احمالاً فيلقون كل حمل على شبكتين معدتين لهذه  
الغاية ثم يحملونها على الدواب ويرسلونها مع  
ولدين او ثلاثة رجّادين ليرجدها الى البيادر .  
ويسدعى هؤلاء الفتيان «رواجيد» وهم يسيرون  
على اقدامهم وراء الدواب حفاة مسافة تختلف

الزرع يُنقل الى البيادر



من نصف الساعة الى  
ثلاث او اربع ساعات .  
وعندما يصلون الى  
البيادر يجدون «الناطور»  
المعين لحراسة بيادر تلك

البقعة ينتظرهم . فيساعدهم على ازالة الاحمال  
وحلها وتفرغها من الشباك . ويعود الفتيان  
على الفور الى الحقل ليجلبوا نقلة ثانية وثالثة .  
ويتكون الزرع للناطور . فيكده  
« كومة » اي كدساً مخروطي الشكل  
في وسط البيدر الذي يسمونه « بيدر  
القش » . ويظل الحصادون على ما هم

عليه الى الظهر، فيتغدون مما هيأته لهم النساء ويعودون الى اخصاد بعد فترة  
قليلة . وفي المساء يتعشون ويجلسون وهم يتسامرون . ومنهم من يأخذ شبيبته  
او زمزازه ويوقع عليه ما يحسن من الالحان المعروفة عندهم : كالمواليا والعتابا  
والميجانا . او يؤلفون « تعليلة » يرقصون بها او يدبكون ترويحاً للنفس من غناء





تقليل الحصاد على البيادر

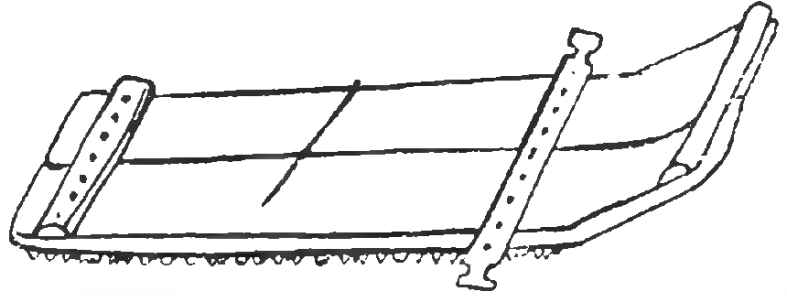
النهار، حتى يسطروا عليهم سلطان النعاس، فينفرط حينئذ عقدهم ويأوي كل منهم الى مرقده، ويلتحف بعباءته و« بوظيته » ليأخذ قسطه من الراحة مجدداً قواه، لكي يعود في الصباح الى ما كان عليه قبلاً بجهد ونشاط . ويسيرون منهم حارساً يحافظ عليهم وعلى متاعهم وينذرهم بما يهددهم من الخطر انداهم ويتدربون في هذه الحراسة الى الصباح - وينهضون في الغد بهمة لا تعرف الكلال ولا يعثرها كسل، ويعودون الى حصد الزرع حتى يأتوا على آخره، فينحولون الى حقول آخر . وهكذا الى النهاية

- - - - -

## الدراس

عندها ينتهون من الحصاد يقوم صاحبه « بجورعة » ي بوليمة يطبخون فيها اللحم والبرغل ويأكلون منها ختاماً للحصاد . ثم يأتي الفلاح الى البيدر ويفرز في قبة الكدس عما طويّله، كما ترى في الصورة المقلبة . ويأخذ جبالاً طوله سبعة او ثمانية امتار ويمد في طرفه انشوطه يدخلها برأس العصا لتدور عليها . ويأخذ بيده المذاري، فينشل به مقداراً من القش ويفرشه حول الكدس، وهذا يسمى « طرحة » . ويضع عليها نورجا او تورجين او ثلاثة بقدر ما عنده من الدواب . ويربط مقود البغل بالحبل الطويل المذكور، ويغطي عينه باداة يسمونها « طاسات »، ويضع على كتفيه « الكدانة »، وهي نقافة من خيش او من صوف، وفوقها

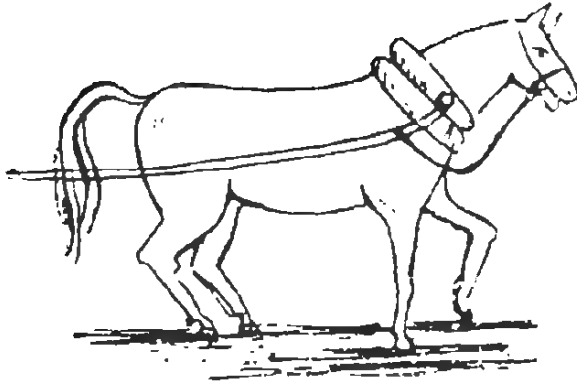
« السقايات » وهي من خشب . ويصل النورج بها بواسطة حبل يمتد من صدر البغل على جانبيه الى النورج . ويركب فوق النورج احد وماده لصغار ، او يضع عليه حجراً كبيراً يزن من ٤٠ الى ٥٠ كيلوغراماً ليصبح ثقيلًا . ويسوق البغل فيدور على « الطرحة » جازاً ورده النورج . وهو يقلب الزرع بمذراه حيناً بعد حين حتى تتكسر « الطرحة » المفروشة فينقلها جانباً ويجعل منها اطاراً او سوراً حول البيدر . وهكذا الى ان ياتي على آخر



النورج



الكومة ، فيصبح هذا الزرع حنقة من « دريس » خشن . فيعود ويتناول من



هذه الحلقة قسم، ويعرّشه داخلها،  
ويُدْرَسه ثانية حتى يَمشي ناعماً وبعينه  
الى موضعه الاول في وسط البيدر .  
وهكذا حتى يَمشي " عرسة " من  
" الدريس " الناعم قبلاً للتأدية  
ويتضح ان ذلك من الرسم في اسفل  
عند الصفحة

ولا يكاد الفلاح ينهي من دراس الزرع البعل حتى يأتي دور الزرع السقي  
فيذهب اليه بنجله بعد، يشجّده جيداً، ومعه اولاده وبعض اصحابه يبادلونه يوماً  
بيوم واسبوعاً بالاسبوع . فيحصدون الزرع ويأتون به الى البيدر على ظهور البغال بغير  
الشبكة المار ذكرها بل بما يسمونه " شجراً " وهو مؤلف من سلميّن خشبيتين،  
طول الواحدة منهما متر ورابع، متصلة احدهما بالآخرى بحيث تطويان وتفتحان عند  
الحاجة فتكون كل واحدة الى احد جانبي الدابة، وعليها ينطد الزرع المراد نقله .  
ثم يفعل بزرع السقي كما فعل بزرع البعل . وقد يوزع الدراس الى ان يجمع زرعيه  
البعل والسقي معاً



حرس دواب تدرس مع كومة واحدة



صورة شاب وأخته بدرسان يقابلا القرية

وبعد، ينتهي من التكسير والتنعيم جيداً يدعوا الرجال والشباب من اقربائه واصحابه يساعده على التذرية . وكذلك النساء يدعوا النساء والصبيان لمعاونتهن في القريلة . والحميع يبادرون الى العمل بكل رضى

## التذرية

لكل ناحية او موقع من البيادر هوا تهب في اوقت معلومة عند الفلاحين . فيترقبون هبوبه ولا يدعون القرص تقوتهم . فيأتي الرجال والشبان يجازيهم في الوقت المناسب ليلا ، لان الريح الغربية تهب حينئذ منوائية . وحينئذ يأتون عند العصر حين تهب الريح شمالية وشرقية قوية . فيضعون خشبة طويلة مقابل العرمة ، مضادة للريح ، لتفصل بين الحب والتبن . ويباشرون رفع الزرع المدروس بالمدراسة واطلاقه في الهواء . وهم يتغنون قائلين :

يا هوانا ما اضيبو غلهاوا وتجبو

فيسقط القمح والخصى وعقد القش المخبنة ( وهذه يسمونها « قصل » ) . ويقذف الهواء التبن بعيداً عن القمح متراً او مترين . حينئذ يسمون المجموع من القمح « قضيا » . لانه يبدو على شكل قضيب طويل عريض . والمجموع من التبن يُدعى « تبان »



دورها في القسمة . فيقتنم الفلاح هذه الفرصة ويأخذ الشبان ينقلون التبن الى الدار ثم يرجع الملتزم ومعه الكيال حاملاً مكياً لا يسمونه « مُدًا » و« نصف مد »، والمد من الحنطة وزن عادة نحو ١٨ كيلوغراماً . فيركع الكيال على ركبتيه بجانب الصبة، ويعرف منها بالكيال مقدار نصفه ويقلبه بيديه الاثنتين على عقبه بعنف و« يبرمه » او يديره ويهزه . ثم يفرف بيديه من الصبة ويضع بالمد حتى يحجمه ويتكؤم منه كومة مخروطية ، بحيث لا يبقى فيه متسع لحبة واحدة . ويرفقه بيديه ويفرغه بجانبه او في العدل قائلاً : « بركة »، يعني واحد . ويأخذ بتكرارها : بركه، بركه، منعماً بصوت عالٍ لكي لا يغط حتى يلاً المد الثانية، فيفرغه قائلاً : « من الله »، قاصداً بذلك التيمن باسم الله والطلب اليه تعالى ان تحمل بركته في الصبة . ويظل يقول « من الله » على النغم ذاته حتى يفرغ الثالث فيقول : « ثلاثة » . وبعد الرابع : « اربعة » . وبعد الخامس : « خمسة » . وبعد السادس يقول : « يا الله سترك » او « السائر الله » . وبعد السابع يقول : « سمحه »، ويريد ان يلفظ سبعة لانهم يتشاءمون بها ويقولون ان السبعة مسبوكة . وبعد الثامن يقول : « يا الله الامانة » . وبعد التاسع : « تسعد اذا صليت على النبي » . وبعد العاشر : « اللهم ارض عن العشرة »، يعني اصحاب الرسول

وعندما ينتهي من الكيل، او من « القسمة » كما يقولون، يأخذ الملتزم ما يحق له . ويلتفت الى كومة القصل ويمد يده الى قلبها ويحركها وبقبض منها شيئاً وينظر اليه فيرى ما يتخلله من حبوب الحنطة فيطلب حقه منها . ويتفقون على شيء . فيعطونه اكثر مما يحق له بسخط ورضى، ولا سيما اذا كان الملتزم احد المشايخ او من الوجهاء . ثم ينقل الفلاح حصة الملتزم على دوابه الى المذخر المتخذ لجمع غلاله، ويسمونه « الحاصل »

(١) وكان الشيخ يأتي احيانا ومعه رجل نبكي فلاح اُمي يدعى حسن حمّده مشهور بنكاته وذكاته . ومن نكاته ان بعض الشبان عزموا على السفر . فأكادوا يشدون احمالهم حتى تلبّدت السماء باليوم . فترددوا بحافة ان يداهم المطر وهم في الطريق . فقال لهم حسن : « لا تخافوا يا جماعة، فاذا اخذ المطر يسقط قولوا لربنا : نحن نباكته ( جمع نبكي في عرفهم ) . فينفض المطر عنكم حالا » . وهو يريد بذلك ان السماء لا تجود على النبك بالامطار كما تجود على غيرها من الفري في أكثر السنين . والمشهور عن ذلك الفلاح انه فريد في تقدير « الصبة » بقدمه . فبعدما « يصبها » جيداً ويحيطها بشكل مخروطي يكيل يحيطها بقدمه وهو حافٍ فيعرفها على الضبط ويأخذ الملتزم حصته منها بناء على قول حسن المذكور لا غير

وبعد ذلك يأتي « ناطور » البيادر والناطور العمومي اي السذي يحرس البعل والسقي والبساتين والكروم، ويأتي الحوَّاط والشاوي اي ناطور الماء، والمنادي الذي يذيع ما يتفق عليه المشايخ في شؤون البلد الخاصة والعامة ويفتش عن الضائع بصوته الجمهوري ( فيقول فيما يختص بامور البلد : « ادفعوا مال ميري » او « روحوا منزول الشيخ » او « كل من يعزل نهره » او « لا حدا يروح مشرق يا فلاحين » . وللضائع يقول : « ياسامعين الصوت صلوا عالني يا من لفي عليه او لقي له حمار اسود او عجل احمر او عبايه زنارية والحلو انه كذا قروش يا اولاد الحلال » ) . فهؤلاء يأخذون اجرتهم السنوية بنسبة ما للفلاح من ساعات الماء او الفدان

ثم يأتي اللحام والحداد والنجار والبيطار والسكاف يأخذون حقهم من الخنطة حسب الاتفاق والشرط بينهم . ثم الحلاق والحمامي يأخذان حقهما بحسب « الرزوس » اي الاشخاص الذين يخلقون رؤوسهم وذقونهم ويستحمون من العائلة، ذكوراً واناثاً . فهؤلاء جميعهم يأخذون حقوقهم من الخنطة عن السنة بكاملها . فيعطيه الفلاح عن قلب طيب وكرم نفس . بل كانوا يعطونهم علاوة على ما يحق لهم

ثم يأتي بعدهم رجل من قبل الشيخ اي المختار الذي ينتمي الفلاح اليه، فيأخذ من البيدر ما يفرض على كل فلاح مثله بنسبة ما له من ساعات الماء او الفدان، وهي حصة الشيخ من « المشيخة » اي مرتبه السنوي . وكذلك يأخذ من الشعير لعلف خيل ضيوف البلد ما يصيبه من ذلك . لان المشايخ كانوا يجمعون في ذلك الوقت شعيراً من الفلاحين في مستودع خاص . فاذا حل ضيوف على المشايخ او الفلاحين، او جاءهم خيالة الحكومة او جباة اموالها اخذوا علفاً لحيوهم من ذلك المستودع المسمى « شونة » او « حاصل »

ثم يأتي الصغار صبية وفتيات، فيجمعون في « حروجهم » اي في مقدم ثوبهم ما يعطونهم من الخنطة او الشعير . ويركضون فرحين ليشتروا به قضاة او بطيخا او خياراً وقتاً وما شابه ذلك من الفواكه التي يستلذونها . ويسمون ذلك « شرية » . ثم يتوارد فقراء البلدة والشحاذون من الاعراب والنور وغيرهم من الغرباء الفقراء فيعطونهم بسخاء . ويعطون ايضاً من غلالهم « لمشايخ » الطرق اصحاب السناجق والاعلام، بسخاء وكرم، احتراماً لمراكزهم الدينية

## نقل الغنول

وبعد ذلك ياخذ الشاب ينقلون الحنطة على بقرته في الدار، في عدول تسع من ١٢٠ الى ١٥٠ كيلوغراماً . فعنده . يصل الشاب الى الدار ياخذ العدل على ظهره،



جاءلاً فله الى اسفل،  
مبهاياً بقرته ونشاطه  
وثقل حمله . ويدخل  
الغرفة المعدة لجمع  
الغلال . فتأتي  
امراة او ولد ويحل  
رباط في العدل  
يفرغه وهو على

ظهره . فيأخذه الشاب برشاقة وسرعة ويرجع به ليملاؤه ثانية . وهكذا يفعل غيره  
من الشباب حتى ينقلوا الغلة بكاملها الى الدار

وكذلك ينقلون التبن في « سرايج » ( جمع سريجة ) لا يقل وزن الواحدة  
منها عن الثمانين كيلوغراماً . فيملاها اثنان جيداً ويرفعانها الى ظهر البغل ويسندوها  
احدهما حتى يبلغ الدار فيجد على الباب مصطبة او صندوق من خشب . فيسند عليه  
السريجة ويبعد البغل جانبا ويأتي هو تحت السريجة فيحملها على ظهره ويضعها بين  
على سلم خشبية لها درجات عديدة قد لا تقل عن الخمس عشرة او العشرين، مقتحراً  
بمقدرته مبهاياً بصعوده صعوداً خطراً . فيصل الى السطح حيث فوهة التبن . فيفرغها  
ويقذف التبن برجليه الى التبن، ويعود ليأتي بغيرها . وهكذا حتى ينقل جميع البيدر  
من حبوب وتبن وقص و « عوز » . اي الزغبرة الرقيقة من التبن . والنساء يسبقن  
فيجمعن كلاً من هذه الانواع على حدة . ويحفظن القصل خاصة، بعدما ينقينه  
من الحب والحصى، فيستعملنه وقيداً، ويستعملن « العوز » لتطيين البيوت والسطوح  
وعند الظهر يأتي الفلاح الى بيته، مستحجباً معه جميع الذين ساعدوه في البيدر .  
فيتغدّون من البرغل واللحم والمخبز الرائب وغيرها . وينصرفون شاكرين قائلين :  
« عقبال كل سنة » . فيجيبهم اهل البيت : « وانتم سالمين . تسلم اياديكم »



## صنع البرغل

ومتى انتهى الشغل خارج الدار تشرع بعض نساء البيت في تطيين السطوح وتبييضها « بالحواري » والبعض الآخر يصوّلن الحنطة السقي . فتملأ المرأة طستاً كبيراً من النحاس ماءً، وتأخذ في الغربال الضيق الثقوب كمية من الحنطة وتنطسه في الطست وتهزه هزاً خفيفاً، فتطفو الحنطة ويرسب الحصى والتراب والرمل في أسفل الوعاء . فتلتقط المرأة الحصى بملقعة من الخشب وتضعها بجانبها . وتضع الحنطة في محل آخر فتنقلها الصبايا على الفور الى السطوح وتفرشها هناك لتجف جيداً في الشمس . ومتى جفت يجمعونها ويذخرونها للطحن حتى نهاية السنة

### سلس البرغل<sup>١</sup>

واما القمح الذي يسلقونه « برغلاً » فيأخذونه من المصوّل رأساً الى « الجميلة » اي الخلقين . وهي مرجل كبير من النحاس يكون في الغالب لأحد الاوقاف او لأرملة تأخذ اجرتهم ممن يسلق فيه البرغل، عن كل عشرة امداد من القمح « ثنية » من البرغل الغير المجروش . ويبنون للجميلة موقداً من اللبن في ساحة متوسطة من الحي ليسلق اهلهم برغلهم فيها

فتدعو المرأة جاراتها واقرباءها واصحابها . فتأتي الصبايا قائلات : « عابركه سلاقكم » . فيجيبها اهل السلق : « حلت البركه » او « النوبة حلت البركه » او « هلق حلت البركه » . ويعنون « بالنوبة » و « هلق » الآن . ويذهب قسم منهم لطلب الماء من النهر، وقسم ينقل الحنطة من البيت الى الخلقين الذي يسع من الثمانية الى الثمانية عشر مدّاً، اي ما بين ١٣٥ و ٢٦٠ كيلوغراماً . وينقلن الحنطة على رؤوسهن في قفص او اطباق نحاسية كبيرة . وتشعل احداهن النار تحت الخلقين وترمي فيها وقيداً من الشيع والقصل مدة نحو ساعتين حتى ينشف الماء او يكاد، وينفخ القمح، فيضيفون اليه من الماء ما يلزم حتى تنضج الحنطة جيداً فيطحن

(١) لم اجد لكلمة البرغل اصلاً عربياً . فيلوح لي انها مستخذة من كشمي « برغلي »، اي حنطة غابت في الماء حتى سلت فتحوّلت الى برغل

حينئذٍ الوقيد ويتركبن القمح يغلي رويداً فوق تلك النار الهادئة « ويتهدى » كما يقولون

وتجلس النساء حول الخلقين ومعهن الصبايا يتحدثن بالاحاديث التي تدور حول الخطبة للصبيّة العزباء ، وسؤال المخطوبة عن حياتها مع خطيبها ، وعما بلغ اليه « مصروفه » اي انفاقه عليها، وعما وصلها من « حق رقبته » اي من نقدها، وعن قرب ميعاد زفافها، وعن حياتها مع حماتها ومحبته لها . ولا تخلو جملة من احاديثهن من التحويلات والبسالات، مثل « يخزي العين » و « ما شاء الله » وغيرها مما يرد العين الشريرة عن الخطيبة والخطيب . وعلى كل امرأة تمر في تلك الساعة ان تقول : « يخزي العين، يخزي العين، عايدكم سلاقمكم ، ما شاء الله من عما يسلق، الصلاة عالني » . وهذا فرض واجب، والويل لمن لا يقوم بادائه

ويكثر مرور الشباب من هناك وقتئذٍ فتكلفهم النساء ان يلقبوا ما في « الجميلة » رأساً على عقب بالمنشل الذي يسونه « مشلاة » او « مشلي » وهو عصا بطول متر ونصف تقريباً، وفي طرفها قطعة من نحاس مستديرة لها ثقب . وكثيراً ما يجلس الشبان بينهم لاداء هذه الخدمة . واذا كان بين الجالسات صبايا يأتي الشاب مدفوعاً باميهاله الغريزية، ويتنظر نضوج الحنطة الذي يطلب ما لا يقل



برغموت القمح من الجميلة

عن اربع او خمس ساعات ، فيتحدث في اثائها الى من ميل قلبه اليها ، ليخبر عن كتب صحتها ونشاطها وشيئا من اخلاقها وصفاتها  
وعندما تعلن الخبريات منهن نضوج الحنطة تأتي البنات باطباقهن ، ويتسابق الشبان حينئذ بعضهم الى السطوح وبعضهم الى « المشالة » . فتأتي الفتاة بطبقها وتضعه على دعامة من ابن مرفوعة الى جانب الموقدة عن يسار الشاب . فيعرف هذا « بمشالته » من الحنطة المسلوقة ويضع في الطبق ما تقدم الفتاة على حمده ، ويساعدها على رفعه الى رأسها . فتحمله وتضعه به سلما من الخشب ذات ١٥ او ٢٠ درجة . ويكون الشاب الثاني واقفا في اعلى السلم على السطح ، فيأخذ الطبق عن رأسها بين يديه ، ويذهب به الى السطح ويفرغه كومة واحدة ويعيده الى الصبينة ، فتذهب وتأتي بغيره . ويكون غيرها من الفتيات قد اتت بطبقها . فيظنون هكذا بين اخذ وعطاء . واحاديث ودية وفكاهية الى ان ينفد ما في الخلقين . فيذهب حينئذ قسم من البنات لجلب الحنطة من البيت وقسم لجلب الماء من النهر . فاذا كان ذلك ليلا رافقهن شابات او ثلاثة الى النهر حتى لا يخفن . ويكررون العمل السابق كله حتى تسلق العيلة كفايتها

حينئذ ينعون الحضور من الذهاب الى بيوتهم ويأخذونهم الى البيت حيث يقدمون لهم القمح المسلوق وعليه السكر الناعم والدبس ، وقلب الجوز وبزر القنب المحمص ، ويقدمون الخبز والحب والعنب والتين والزيتون . فيأكلون جميعا . ثم يذهب كل واحد الى بيته قائلا : « عقبال كل سنة » . فيجيبه اهل البيت « وانتم سالمين . الله يسلم دياتكم »

وبعد قليل تصعد صاحبة البيت الى السطوح وتفرق كومة القمح المسلوق وتفرشها على السطح كله . وتثار على تحريكه كل يوم في الصباح والظهر وعند العصر ، فيقلب ، وتجمعه خطوطا . ويسمون هذا العمل « تثوير »

### تبيض البرغل

وبعد خمسة ايام او ستة ، يصعدون الماء الى السطوح صباحا ويتركونه في الشمس الى الظهر فيسخن . ويجمعون القمح المسلوق في اطباق ثم يصبون الماء فوقه . وتجعل النساء تفركه بأيديها حتى يتبلل وتنفضل قشوره عن لبه . ويعدن فيفرشونه على

السطح ثانيةً ويتركه يومين او ثلاثة ايام . ويسمون هذا العمل « تنميشاً »، وهو يساعد على ازالة القشرة الرقيقة عن البرغل . وبعد ما يجف جيداً يتزلنه الى البيت من « روزنة » اي كوة في السقف معدة لهذه الغاية

### جرش البرغل

وفي اليوم التالي تذهب المرأة او ترسل احدى بناتها تدعو النساء والصبايا الى الجرش . وتكون قد اعدت من ثلاثة الى خمسة « جواريش » في غرفة كبيرة الى جانب البرغل . فتضع تحت كل « جاروشة » قطعة من القماش او الجلد تقوي بها الارض من الرحي، وبقرها طبقة من نحاس مملوءاً قحاً مسلوفاً . فما يأتي اول الليل حتى تتوارد النساء والبنات والشبان قائلين : « عالبركه جرشكم . يجزي العين ثلاثاً » فيجيبهم اهل البيت ببشاشة : « اهلا وسهلا . النوبه حلت البركه »، مادّين صوتهم في لفظة « البركه »، « تفضلوا، تفضلوا » . فيجلس كل ثلاثة اشخاص حول « جاروشة » : اما شاب وفتاتان، او فتاة وشابان . وقل ان يوجد حول الجاروشة ثلاثة من جنس واحد، ما لم يكن الشبان من حي بعيد عن الحي الذي يصير فيه الجرش . فيقعد الواحد منهم ويطوي رجله اليسرى ويمد رجله اليمنى، او بالعكس، فيحتضن الجاروشة، وكذلك الآخرون، فتصبح الجاروشة بينهم وهم حولها كالسوار حول المعصم . ويقبضون على راندها ويديرونها ويناط امر القاء القمح السالم في حلقومها بمن هو قريب الى الطبق ويحسن العمل . ويأخذ الثلاثة يديرونها ويغنون الاغاني المطربة، كالموليا والدلعونا والعتابا وهيكالو، وما يكون جديداً ورائجاً من الاغاني . ومعظمها تغزل وعتاب ومدح ووصف وحماس وفخر الخ . وكل من الحضور يغني على ليلاه

وهكذا يبقى كل ثلاثة حول « جاروشتهم » يغنون ويتحدثون ويتغازلون ويتداعبون، وباقي الشباب والصبايا جالسون في ناحية من الغرفة ينتظرون فراغ جاروشة لكي يستولوا عليها فيجرشوا كما جرش غيرهم، ثم يذهبوا الى جرش ثانٍ وثالث ورابع، قياماً بالواجب او تسليفاً، لان الجرش سلفة ووفاء . على ان الفتاة لا تأتي الى جرش لم يدعها اهلها اليه، خلافا للشباب فانه مباح له ان يدخل الى اي جرش كان . وفي اغلب الاحيان يتسابق الجارشون الى افراغ طبقهم « وطبه » على

دروس غيرهم من الجارشين المقصرين

اما النساء، فيأخذن البرغل المجروش من حول الجواريش ويغربلنه بغربال مخصوص في زاوية من زوايا الغرفة، ويعدن الحبوب السامة التي لم تجرش بعد الى طبق الجارشين ويسمون هذه الحبوب المرتجعة « سرادة »

ومتى انتهى جرش كل ما عندهم من البرغل يأتون بالعب وبالتين والبطيخ والجن مع الخبز الى الذين ثبتوا في العمل الى الآخر، فيأكلون ويذهب كل الى بيته . ما عدا بعض الشبان الذين يذهبون الى بيت آخر لا يزال اهله يجرشون . وكثير منهم كانوا يبقون في الجرش الى ساعة متأخرة من الليل . وبعدما يأكلون « السهرية » يذهبون الى دورهم ويستصبحون حالا دوابهم، فيسضون الى الحقل ويبدرون الحنطة او الشعير ويردون عليها القراب ويسمون هذا العمل « رداد »، ثم يرجعون قبل الظهر الى بيوتهم فيتغدون وينامون الى ما بعد العصر . ثم يفتقدون دوابهم وعدة فلاحتهم فيصلحون ما يلزم اصلاحه ويذهبون مساء الى طريق « الملايات »

« وطريق الملايات » هذا هو طريق اللواتي يملأن الماء من الصبايا او اللواتي



طريق الملايات

يردن الماء مساء .  
فكنت ترى على  
هذا الطريق الصبايا  
حاملات جرارهن  
على رؤوسهن  
يتبخترن في مشيتهن  
ويقتخرن بقوامهن  
وجاهلن دون ان  
يسكن الجرة  
بأيديهن . ولكل  
منهن حذن يبادلها

النظرات والاحاديث البرينة . وعند مساء يرجع الشاب الى بيته، فيطعم دوابه ويتعشى هو ايضا ويسرع الى البيت الذي يكون فيه الجرش

ونحكي عن احد الشبان انه صعد يوماً الى سطح عال فرأى اغلب سطوح  
بلدته مغطاة بالبرغل الغير المحروش . فقال في نفسه مغتبطاً « نأنا نحن الشباب »  
« اي هنيئاً لنا، لاننا سنجرش كل هذا البرغل »

واذكر على سبيل التفككة ما كان يفعل الشاب الذي لم يرقه الجرش على احد  
الجواريش لسبب ما، وقد تقيّد به في بادئ الامر . فقد كان يأخذ يرفع الجاروشة  
اعلياً برائدها، عن رفيقتها، وهي دائرة، فيسقط البرغل صحيحاً غير محروش، فيقصر  
نوقت بهذا العمل وينتهي الطبق سريعاً قبل اوانه . فيذهب الشاب الى فرقة  
اخرى او الى بيت آخر حيث يجد الاشخاص الذين تلذّذوا معاشرتهم بالأكثر، بعدما  
ينفض ما علق بثيابه وسراويله من جرشة البرغل وطحين السميد

### اغاني الجرش

#### اغاني « دلعونا »

(اللازمة)

الله وامان الله يا دعونا      ربي ظلمكم يا لظلمتونا  
ويعيدونها بعد الادوار التالية :

قومي يا بنيّه والمسا اغرب	يا أم السوالف يا جناح غراب
غزلان وردت عالقن تشرب	وين الشامى اللي يصيدونه
بنيّه يا بنيّه وين ها القعدي	مضت ليالي وحلت الوعدي
حضي السواره بالرهن عندي	لما الثوب اللي تلبسينه
قالت والله ما برهن ثوبي	وحياة الي ما طول الغبي
تحلف بابوها بنت الكلبي	صاير مقام الناس يزورونه
جنتي تحطم هيا ما هيا	حطت بقلبي أنتعشر رذنيه
قلبي يجبك يا لتدمريه	بجدر العرين ومفرق سنونه
جنتي تحطم من عالسطوح	شبه الثريا بالسما تلوح

## صنع البرغل

قلي يحبك يا بعد روعي	ويا مني قلي ويا نور عيونا
جتي تحطّم من ورا الباك	بنيه ظغيره تحب العلاك
قومي يا بنيه انا واياك	خلي البرغل لاهله يجرشونه
جتي تحطّم من ورا الصندوق	بيضه غروره والصدر مدقوق
دخلك يا حي عليّ تفرق	وارمي علامه غصن زيتونا
جتي تحطّم من ورا الراي	كوت ضميري كي العطائي
يمه يا يمه لفون جياي	لفي عشيري تعوا هنونا
بنيه يا بنيه لمن حبيتي	لبو الحطاطه وشروال اثريتي
ندرا عليّ أن جيتي لبيتي	لذبحلك كبش باربع قرونا
جتي تحطّم من قفا بيتا	بدمع عيني الفرش بليتا
هيّ جتني وانا جيتا	طقوا يا لعدا يا التبغضونا
مرّت عليّ تقلي دخيلك	بنيه ظغيره وماي من جيلك
واصبر عليّ حتى احكيلك	على اللي جراي مبارح واليومما
جتي تحطّم والاسم ديبه	والكحل بعينه مجضي عجيبه
وان كان يا بنيه دارك قريبه	لانصب ما بيني وبينك تيلفونا

## اغاني « موليا »

اللازمة

هيّات يا بو زلف عيني يا موليا	يشرب حصانك هنا ولو عكر الميا
ويعيدونها بعد الادوار التالية :	
من يوم شال الظن فارقت ابو جديله	والحيل مني انقطع والثوب ما شيله
لعللك يا قلب بالفين تعليله	حتى يغيب القمر وتشع الثريا
من يوم شال الظن اكلي وشري نوح	هليت دمع ودما شالت سفينة نوح

دخیلکم یا خلق کادت تروح الروح  
 لروح بیت العرب واقعد حدا اطنابه  
 والباخذک ریمتی بالسيف قصابه  
 ولف الرمانی بالمحبه وهو خالی  
 دشرت کل الخلق وهویت ابو الخال  
 یا دار یوم الرحیل ما ودعونی لیش  
 دورت شرقي التزل غربي التزل مامش  
 لروح للمصبغه واصبع انا ثوی  
 یحرم علی الفرح والدق بالنوبه  
 مکتوب منکم لفی عالین والراس  
 دنیاک مثل الدرّج ناس تعلی ناس  
 مکتوب منکم لفی یا خوی نقرا به  
 باکر یفیض النهر بالک تجي قرا به  
 مطعون یا اهل الهوی باول هبوب الحیف  
 وان کنت راعي هوی ومدورن الکیف  
 واثین جني قرن لاحن ورا الصیاط  
 کنهن سلايل بدو مسعد یا هالرباط  
 سهم النفذ بالقلب ما ظن احد یشفیه  
 مالی رجا یا خلق وانا رجای فیہ  
 ایوب لما ابتلی واحد وانا الثاني  
 تشمیل نار الخلیل من بعض نیرانی  
 سهم النفذ بالقلب من لخط ولفاتی  
 دخیلکم یا خلق لا تطمروا رفاقی  
 واندهوا حبوبتی تقعد حوالیا  
 واقول بیت العرب یهدم علی صحابه  
 وادعی دمومه نهر تجري کما المیه  
 ظنیت حالی ملکته صبحت عالحالی  
 وقذمت بشوف النظر بس التفت لیا  
 لبکی واهل الدمع وبطرف ردنی مش  
 ابو جعود اربعه من عینه لیا  
 واقول یا مصبغه عافراق محبوی  
 وما دام حی عزب وبطل انا بنیه  
 یا خوی درب الجهل لقلوبنا مآسی  
 ومصیبتک یا ولد قبلک جرت بی  
 من دمع عینی للمی جواد وقرا به  
 خایف علیک تفرق وتروح بالمیه  
 منلی دراعه یا ولّو قول شبط السیف  
 ارکیلته عالفه ومن ایدها هی  
 یمن ثبات بعقل ومرتبه ظباط  
 وضحه کحیلة مهی وساره لحیفه  
 الا حیب القلب هذاک یعرف فیہ  
 هذاک یشفي جروحاً حطها بی  
 ویعقوب لمن حزن من بعض احزانی  
 ومثیت نوح النبی بدموع عینی  
 وایش ینفع کثر الندم بعد الذی فات  
 قبل ان تجي ریمتی وتندب حوالی



## صنع البرغل

سهم النفس بالقلب من حيناً مرت ومن آتيا يا خلق لي الحيا مرت  
ضاق الغد بالنظر والارض بي مارت وصبحت دون الخلق مجنون وبلي  
مرضان بحبكم وانتم خبر ما من وانا الذي من ظفر في دينكم ما من  
يا هيه يا اهل الفضل دخليكم ما من يتوسطن بيننا بلكي تحي لي  
مرضان بحبكم وانتم بليتوني والناز بضامري اشبه بالايوني  
يا هيه يا اهل الفضل من فضلكم توني منها نجبر يشفي من علة لي

## فرق البرغل

في اليوم التالي للجرش تقوم النساء لفرق البرغل وتنويعه اشكالاً . فيجلين الغرايل المتنوعة اللازمة، وتستلم كل من المدعوات غربالاً . فتغرب الاولى من كومة البرغل بغربالها الناعم وتهزه، فينزل منه على الارض طحين البرغل المسمى في اصطلاحهم « طحين سميد » . وهم يستعملونه عادة « لواتة » اي دقيقاً يذرونه على الحوان المختص بالعجين لئلا يلصق به، او يطعمون منه دجاجهم، وقد يلتونه بشيء من الدبس ويتحفون به اولادهم . ويسمون هذه الاكلة « بيسة »

وتعطي المرأة ما بقي في غربالها لرفيقتها، فتهزه هذه فينزل منه ما يسمونه « المنيشة » . وهذه تطعم للدجاج ايضاً، او يقايضون بها على عنب المعرة عندما ينفد العنب عندهم

وتعطي الثانية ما بقي في غربالها لرفيقتها الثالثة، فتهزه هذه ايضاً فينزل منه ما يسمونه « ابو آمنة » . وهذا يُخلط بشيء من الدقيق وحبوب القنب والبصل وحبوب الرمان الحامض ويُخبز خبزاً لذيذاً يؤكل غالباً بدبس، ويعده الصبيات طعاماً فاخراً لانهم قلما يصنعون منه

وتعطي الثالثة ما فضل عندها لرفيقتها الرابعة، فتهزه هذه فينزل منه ما يسمونه « الصرورة »، وهي تستعمل حساء اذيداً كما اشرنا قبلاً

وتعطي ما بقي لرفيقتها الخامسة فتهزه، فينزل منه ما يسمونه البرغل « الرفيع » الذي يستعمل لصنع الكبة الشرقية

وتعطي هذه لرفيقتها السادسة الباقي فتهزه، فينزل منه « البرغل الدوري » الذي يُطبخ بسمن أو بلحم، وهو المعول عليه في مآكل الفلاحين كما اشرنا سابقاً. ويبقى في غربالها البرغل « الغليظ » ومنه تُطبخ « المجدة » الشهيرة بين المآكل الشرقية فيأخذن كل نوع من البرغل على حدة الى محل يهب فيه الهواء جيداً ويرفعنه في وعاء بايديهن وهن واقفات، ثم يفرغنه في الهواء قليلاً قليلاً، فيتساقط البرغل على الارض فوق بساط مفروش لذلك، ويقذف الهواء القشرة الرقيقة الى مكان بعيد. وكلما فرغن من « نسف » نوع يضعنه في خليته او « كوارته »

## السطاح

كان الناس في القلمون يجرون في اعمالهم الزراعية على الحساب الشرقي اليولي كسانز أهل البلاد، ولا يزالون كذلك حتى الآن. فلا يقصون شعور مواشيهم ولا يجزون صوف اغنامهم قبل حلول عيد الحضر اي القديس جاورجيوس ( ٢٣ نيسان ش و ٦ ايار غ ) . ولا يقطفون ثمار كرومهم قبل حلول عيد رفع الصليب ( ١٤ ايلول ش و ٢٧ ايلول غ ) . وبما ان بلدة النبك كانت تُصاب بالصقيع في معظم السنين، فلا يكاد يأتي اليوم العشرون من ايلول على الحساب الغربي حتى كان اهالي البلدة يهبون كباراً وصغاراً، رجالاً ونساء، الى الكروم، لاقتطاف غنهم، نضج ام لم ينضج، ليططحوه زيبياً. فيقومون باكراً ويحملون دوابهم ماء القلي المغلي، واطباقاً من النحاس، وطناجر ومقالي وملاعق، وخبزا وجبناً وبصللاً وسمناً وبرغلاً، وقففاً وصناديق من الخشب وغير ذلك، ويذهبون الى كرومهم. ويشرعون في قطف العنب بعناية واهتمام، محترسين الا ينتثر من العناقيد حبواً على الارض. لان الذي يترك وراءه من حب العنب لا يسلم من التعنيف. ثم يجمعون ما يقطفونه كوماً بجانب الجفان، ويستمررون في القطف حتى الظهيرة اذ يشتد الحر فيحملون اكوام العنب الى حيث اقاموا طستاً كبيراً ملاًوه من ماء القلي الذي مُزج بقليل من زيت الزيتون حتى صار ابيض كاللبن. فيجلس وراء الطست شخص يغطس العنب تغطياً

كذلك في هذا ماء وينبذ كل ورقة من اوراق الكرمة الظاهرة من خلال العنب  
لاي تخلص الزيت . ثم ينتقل العاقد بعد ذي شعبتين خوفاً على يديه من ماء  
القلي الكاوي . ويبعث به الى شخص آخر فيصفه هذا على رطل محببة قد  
أمدت هذه الغاية . فيضعون عاقد الى جانب الآخر حتى يتم سطح العنب المتطوف  
ويتركونه معروضاً لاشعة الشمس



بعد سطاح

واذا كان كرمهم صغيراً فيقطعون ثمره وينقلونها الى كرم اكبر منه ويسطاحونها  
هناك . وكلما اتهموا من كرم تحوّلوا الى غيره . وإذا أكملوه في اليوم الثاني او  
الثالث . وقد يظل بعضهم عشرة ايام وخمسة عشر يوماً مشغولاً بسطاح كرومه .  
ويطبخون كل يوم في الكروم . وقد يدعوا بعضهم اقربهم واصحابهم لتناول  
العش معهم هناك

ويضفون هذه الايام في الاقراخ وجمعات التلوه والسرور . وقد ترى البلدة

(١) ويقطفون ايضا العنب النامي في اراضي الجبان ويتركوه حوفاً معرضاً لشمس برهة ، ثم  
يأخذونه الى بيوتهم ويغسلونه مغطى بالورق بعيداً عن تأثير اقواء وانوار بقدر الامكان ، ليتمتعوا  
بكمه في الشتاء . ويحترقون ايضا هذه الغصن يكون في كل منها ثلاثة او اربعة عناقيد جيدة  
فيتمتعون من طرفها انساني صلب ويمتصونها عناقيدها سبع او « ارف » اندي يصفون  
عليه النضج والصواني انحية الزائدة عليه طين نغرة المفروشة ويغسلونها هكذا حتى  
تجف الشتاء

خاوية خالية، الامن الشيوخ والعواجز الذين لا يتقدرون على الذهاب الى الكروم . وترى الكروم غصة بالاهالي . وكثير منهم كانوا ينقسمون قسمين : قسم يظل في القطاف والسطاح، وقسم يذهب الى جمع ما سطح قبلاً . وتراهم يتسابقون في ذلك جمه المسبقة، كأنهم ينهبون العنب نهباً، خوفاً عليه من الصقيع الذي كثيراً ما يقع حول عيد الصليب فيفسد العنب ويضيع موسم الفلاح منه .

## التدريس

بعد «لم» الزبيب بشهر، عندما يحف جيداً، بحسب المثل السائر عند الفلاحين : « يتس ودبس »، يختارون منه كل حبة سمينة وتامة النضج ويجمعون منها ما بين العشرين والخمسين رطلاً لمؤناتهم الشتوية . ثم يأخذون ما تبقى لديهم الى المعصرة « ليمصوه » بواسطة « المدر » . وهو حجر ضخم يدور حول محور، يديره بغل يشد الى خشبة متصلة بالحجر المذكور، فيسحق ما تحته من الزبيب المنشور بينه قليل من الحواري التي يطحنون بها جدران بيوتهم، لاعتقادهم ان هذا القواب يذهب بما في الزبيب من الحموضة . ويحطون من الزبيب المسحق هكذا « كومة » اي كتلة كبيرة يحفظونها في زاوية من المعصرة ويكتبون عليها باصبعهم اسم صاحبها . وبعد مضي شهرين، يكون صاحب «الكومة» قد استحضر من البيرة الشيخ الضروري . فيفتح شهر كانون المشهور عندهم بان ماءه يحلل كل ما في « التدريس » اي الزبيب المسحق من حلاوة، ويبدأ بعملية التدريس كما يأتي :

يذهب الرجل الى المعصرة صباحاً . ويجعل يفت من تلك الكومة بالقدم قطعاً صغيرة . وتجذ في المعصرة احواضاً صغيرة يتألف كل منها من ثلاثة قدور خرفية بشكل نصف كرة مثبتة على بناء مرتفع مجوف ومثقوبة في سفليها، ومرتبعة الواحدة بازاء الاخرى . وفي اسفل البناء وتحت كل قدرٍ قدرٌ اخرى تأثلها مثبتة في الارض ايضاً لكنها غير مثقوبة، وبينها وبين الاولى نحو نصف متر، ليجمع فيها « الجلاب » اي شراب الزبيب . فيأتي صاحب الدبس بقطع من قنيت الزبيب، ويضعه في القدر العليا بعد ما يسد الثقب . ويضع في اسفله قطعة من الشيخ يسمونها

« عرنة » تُثقل بحجر ويصب فوق الفتيت ماء قراحاً حتى تئلى القدر ويمضي . ثم يأتي صباح اليوم الثاني ويفتح « صمام » اي ثقب القدر الاولى فيجري ماؤها الى القدر السفلى . ويضع من الفتيت الجديد في القدر الثانية . ثم يأخذ « الجلاب » الذي نزل من الاولى ويصبه في القدر الثانية . ويسد « صمام » الاولى ويسكب فوق فتيته ماء جديداً ويتركه الى اليوم الثالث . فيفتح فيه صمام القدرين معاً، ويضع في القدر الثالثة فتيتاً جديداً، ناقلاً « جلاب » القدر الثانية الى الثالثة وشراب الاولى الى الثانية . ثم يصب ماء قراحاً على فتيت الاولى . وفي اليوم الرابع يفتح الثلاثة معاً . ويأخذ « جلاب » القدر الثالثة الى الخلقين للطبخ، بعد ان علق به حلوة « فتانت » القدور الثلاثة

ويكل امر الوقيد تحت الخلقين الى شخص آخر من عيلته ويعود هو فيفعل كما فعل قبلاً . ويرفع من القدر الاولى الذي نفدت حلواته او كادت ويلقيه خارجاً فوق « الجزينة » اي النفاية . ويكون الدبأس قد شرع يضرب « الجلاب » الذي في الخلقين بمسواط من خشب . ويدوم على ذلك نحو ساعة حتى ينضج جيداً . فينقله حينئذ بقادوس الى طناجر معدة له، فتنقله النساء على رؤوسهن الى الدار . وهذه الطبخة الاولى تدعى عندهم « حلوية » . وقد يبقى قليل من الدبس في الخلقين، بإشارة من صاحبه . فيذكي النار تحته ويحركه بالمسواط حتى يصبح شديداً . ويصب عليه « جلاباً » بارداً فيجمد ويقسو . وهو ما يسمونه « الشربة » . وبعد ما يعرض صاحب الدبس من هذا الدبس الجامد على الشيوخ الجالسين حول النار يتدفأون، يأخذ ما بقي لاولاده الصغار كهدية التدريس، فيفرحون بها كثيراً . وهكذا دواليك الى ان يأتي على آخر ما سُحق من الزبيب . حينئذ يقول الفلاح : « نبال من زرع العفير ودبس، وجلب من حطب الجرد وكردس، وخطب ابنه وعرس » .

ويظل الشيوخ والعاجزون جالسين حول النار « يسولفون » اي يتسامرون، وكل منهم يقص على الحضور قصة سالفة يثبتها ويبرهن عليها بتواريخ واهية مثل سنة « طوشة النصارى » او « الطوشة » او سنة التلجة الكبيرة او سنة الجراد او سنة القلاء او سنة الوباء او سنة « نغده »، وهو محل وقع فيه قتال بين الحكومة والاهالي، الى ما هنالك من تواريخ وقصص وهمية واهية، حتى اذان الظهر فينصرفون

## الخطبة والزواج

### عبارات المجاملة والتمويجات في الاما دبت

من عادات سكان هذه البلاد المجاملة، كمعظم اهل الشرق، بعبارات لها صيغتها الخاصة وطابعها الخاص يتبادلونها في افراحهم واحزانهم وفي جميع اطوار حياتهم

فاذا التقى اثنان يتبادلان التحيّة باسمين . ثم يسأل كل منهما الآخر بادب ولطف واخلاص عن صحته واشغاله واولاده وآله، مكثراً من الادعية والتعنيات ليحفظ له الله صحته ويطيل ايامه ويمد بجله حتى يفرح بزواج اولاده . ويبايع في ذلك النساء اللاتي يرفعن اكف الضراعة الى الله ليعي الابناء اذى العين الشريرة ويعتبرون فرضاً محتوماً على كل انسان، عندما يقابل احداً في الطريق او يدخل عليه وهو في عمله البيتي او الخارجي، ان يبادره بقوله : « يخزي العين . ما شاء الله . حوطتك بالله من عيني وعين خلق الله ، او بملائكته او انبيائه ورسله واوليائه، وبسورة يس، وبسم الله، وبسم المسيح وبسم الصليب، والعذراء مريم، او مار مطانيوس، او الخضر الاخضر » يعني مار جرجس . ويكثر من هذه التحويلات خيفة من العين الشريرة واذاها . وكانوا يعزون كل مرض او وعكة خفيفة او ثقيلة تعري الشبان او الصبايا والاولاد الصغار او ما عندهم من المواشي حتى الاشجار، الى عيون الناس، حتى الى عيونهم انفسهم . فيقولون للولد الصغير : « حوطتك بالله من عين امك وابوك » . ويتخذون الوسائط اللازمة، مثل سرقة قطعة من البسة من يشكون فيه انه دخل عليهم او وقع نظره على احد اولادهم او احدى دوابهم، فيبغرون المصاب بدخان تلك القطعة فيشفي . ويلبسون من يخافون عليه من العين الشريرة بعض اشياء : كالحُرزة الزرقاء، والشبّة، وقطعة صغيرة من شجر الميس، وجوزة صغيرة، وناب الذئب، وقرون الحية، وعقصة، وما شابه ذلك، لكي يردوا عنه العين المؤذية

وللنساء في احاديثهن جمل وعبارات مألوفة بينهن يعرنها اهمية كبيرة فن

اهمل شيئاً منها أتى ذنباً لا يُغتفر . فعلى الواحدة اذا نظّفت في اثناء حديثها كلمة « البيض » مثلاً، ان تشفعها حالاً بقولها « ما تشوفي الفيض » . او اذا ذكرت « الدق » او الهم او الغم او الكي، ان تشفعها بمثل هذه الاقوال : « ما تندقي »، « وما تنهمي »، و « ما تنغمي » و « ما ينكوي لك قلب على غالي » وكذلك في الكلام عن الارز : « ما تشوفي الرزبة » . وكذلك قولهن « بلا قافية »، و « بلا معنى »، و « بلا مؤاخذه » و « بلا ظفره » . وقولهن : « من غير شر » و « بعيد عنك » و « تكرم عن طاريه » و « اجلّك الله » و « حاشي نعمتك » و « ما يندكر معه » و « ياخذ عمره » و « كش برّه سبع طرق » و « الله لا يقدر » و « الله لا يسمح » . وغير ذلك من العبارات والاصطلاحات، وكلها تدور حول الصحة والرزق وان تكون ديارهم زاهرة بالافراح والمسرات

### مفردات الخطبة والزواج

ولا تكون هذه الافراح الا بتخطيب الاولاد وزواجهم، وعلى الخصوص الذكور منهم، ولا سيما اذا لم يكن في الاسرة غير صبي وحيد . فيصبح امر الاسراع « بفرحته » اي يزوجه واجباً على والديه، وان لم يزل بعد صغيراً لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره . فيصبح هم الوالدين الوحيد، وهم اقربائه واصحابه ومعارفه، زواجه بأسرع ما يمكن حتى يأتي والديه بكنته تساعدان في البيت . فلا يراه احد الا يحثه على الاسراع في الزواج بينه والداه في قيد الحياة، لكي يتم لهما الفرح والغبطة والسعادة والحبور، لان امنية الوالدين في هذه الحياة انما هي تزويج اولادهما وبديهي ان تتنبه عواطف الصبي المراهق وتستيقظ افكاره لدى هذا الحث المتواصل والترغيب الملح الذي لا يفتأ له سامعاً اينما ذهب وحيثما حل، فيصبح ولا شغل يشغله سوى سعيه لانتخاب فتاة تشطره اعباء الحياة، ويضحى وقد وقعت من نفسه فتاة، ويغدو وقد اقلع عنها الى غيرها، ويمسي وقد هفا قلبه الى سواهما . ويقول في نفسه : هذه ضالتي المنشودة، وهذه « فرحتي » المقصودة . ولا يزال على هذه الحال، يتعرض لهذه ويتصدى لتلك ويتودّد الى اخرى، ولا يدع « سائحة » ولا « بارحة » تمر بدون ان يستفيد منها ولو بمداعبة او بنظرة . فاذا صادفهن في الطريق، واردات الماء او صادرات عنه، حاملات جرارهن على رؤوسهن، ينظرون في مشيتهن

ويتباهين بدلاهن ومهارتهن في حفظ توازن الجراد على الرأس بدون ان يستعنّ لذلك بأيديهن، وجد لنفسه مسوغاً للتصدي اليهن . فيطلب ان يراققهن رغبة في قضاء برهة يتحدث فيها اليهن . ولا يفوته مثل هذا الطلب عندما تكون الفتيات في البساتين والكروم، يقمن ببعض الاعمال . فيأتي اليهن الشاب ويوزرهن ويبدل هنّ المساعدة مخففاً عنهنّ العناء، غير طالب اجراً عن ذلك سوى رضى اولئك الحسان ومودتهنّ، متجنباً ان تمس عواطفهنّ، حريصاً على ان يكون سلوكه بازاناً شريفاً ليس فيه امتهان له او لهنّ . ولا يئمه هذا الحرص ان يسرح ويمرح معهنّ ضمن دائرة الادب ويبادلهنّ اثناء المداعبات البريئة بعض عبارات التصبب والوداد

واذا دعا داعي الفرح تراه يهب مسرعاً، اذ يتسنى له في مثل هذه الظروف ان يتقرب الى عروس محبته . فيتبادلان هناك خلصة النظرات والابتسامات ويتجاذبان بعض اطراف الحديث اذا استطاعا ان يتبعدا عن انظار الرشاة الفضوليين . ولا يزالان بين اخذ وعطاء حتى تتوثق بينهما اواصر الود والألفة، ويتم التفاهم بين روحين وجدت احدهما في الاخرى وحدةً في النزعة والميول . ولا يزال الاتفاق ينمو ويكبر حتى تظهر النفسان المتحابتان للعيان، وتقرجا لتقدما قرابين الحب، وتحرقا بخور الاخلاص، وتبرما عهداً قاطعة بحفظ الامانة والمودة، والسهر عليها وديعة ثمينة يحوطانها بجميع اصناف العناية، ويبذلان لها الاقسام بسخاء، لثقتها بان هذه الاقسام سوف يسعيان الى تحقيقها

فتتألبت الجموع في الافراح، وأرقت عليها ملائكة السرور، ولعبت بالرؤوس خمرتها، وانصرف كلٌّ يبحث عن سلوى يجلو بها همه، فراح البعض يرقصون، والبعض يضربون الدف ويروحون، وآخرون يدبكون على صوت المزمار او الشبابة، متكاتفين يدفع بعضهم بعضاً بالمناكب، يرقصون بخطى متزنة متوازية بقوة وحياة ونشاط، حينئذ يصفو الجو للعزّاب وتشتبك الفتيات في هذه الدبكة . فتأخذ كل واحدة منهن يد اخيها او قريبها او خطيبها او من ترى فيه عريس احلامها . وعندما يتماسك الشبان والشابات بالايدي، ويرقصون ويقفزون متلاصقةً اكثافهم يتبادل المتحابون المداعبات البريئة وعبارات التودد خلصة وهم في مأمن من الرشاة

وقد ذكرنا غير هذه المواسم لتوطيد العلائق بين المتحابين، كسلقى البرغل وجرشه . لان الناس كانوا في تلك الايام يعيشون في نوع من الاشتراكية المدوحة . فلا يقع



حادث في احد البيوت بدون ان يتوافد اليه الجيران والاصدقاء، فيساعدوا اهل البيت في قضاء حاجاتهم . فيجتمع هناك عدد من شبان البلدة وشاباتهما، الامر الذي يزيد في شغف المتحابين ولا يلبث ان يتسرب الى ذويهم خبر تلك المودة المتوقعة واكثر ما تبدو هذه الاشارات على الفتى المراهق، حداثة عهده في الحب وجهله حسن التصرف فيه . فتلاحظ عليه ذلك امه، واذا هو لم يفانحها به بادرت به بالاستفهام عن حالة قلبه وشجته ليمضي في هذا السبيل . ولا يكاد يلمس من والدته هذا الرضى وهذا التشجيع حتى يندفع الى مذاكرتها بما جرى له . فتحملة الى والده فرحة طروبة، وترف اليه بشرى تحمل الى قلبه الغبطة فيصفق لها ويهلل، ويهم بالاشتراك مع زوجته في انتخاب عروس لولده، مستعيناً على ذلك بقربانه واخصانه واصحابه، الى ان يتفقوا جميعاً ويقر رأيهم على فتاة يرون فيها الكفاية والاهلية لان تشارك ولدهم في حياته وتساعدهم على القيام بمهام البيت واشغله

فيجعل العريس منذئذ يختلف مع والدته الى بيت الفتاة، ليدرس اخلاقها ويقف على صفاتها ويتحقق حسن صحتها ويختبر نشاطها واهتمامها ببيتها وطريقة «حوستها» اي ادارتها فيه، لان لهذا الامر اهمية كبرى، لاسيما وان اهل بيت حميها يرون فيها عوناً لهم على تطيين البيوت والسطوح ودهنها بالحواري ودق الكبة ولف اليبرق وصنع الخبز، الى ما هنالك من الاشغال البيتية والزراعية ايضاً، كالخصاد والقطاف والسطاح وفرك الكشك وسلق البرغل الخ . . . فتساعد تلك الزيارات على توثيق الصلات ورفع الكلفة بين الاسرتين . فتندفع النساء في المجاملات الى ابعد حد، وينتشر الخبر بين الناس، ويصبح حديثهم اليومي

ويدعو ابو الفتاة اخوته من جهته ويبسط لهم الامر، متمساً بذلك واجباً مقدساً يتحتم عليه قضاؤه مع آله وانسابه . وكأنه بذلك يطلب اليهم السماح بأن تُعرف ابنته الى من يطلب يدها . وهو يحسب استشارته هذه حقاً لآخوته وابناء عمه، فقد يكون بينهم من يرغب في الاقتران بابنته اذ له فيها اخى الاول . فليس على ابياها والحالة هذه الا الاذعان لهذه الرغبة والذبول عندها . فيحمل ابنته على قبول ازواج بابن عمها، رغبت فيه ام لم ترغب، ما لم يرض ابن عمها بأن تكون اخت الطالب او ابنة عمه خطيبة له بدلاً من ابنة عمه، فتعرف تلك اليه مرغمة راضخة لأمر والديها ولا يكون لها في اختيار رفيق حياتها اي نصيب . واذا كان ابنا.

عم الفتاة المطلوبة غير قادرين على الخطبة في ذلك الحين او يتمنون عنها لاحد  
الاسباب فيتنحون عن هذا الميدان برضى وانتظام لئلا يكونوا عثرة في سبيل ابنة  
عمهم فيعرقلوا مساعي والديها لإسعادها . فيقر رأي اهل الفتاة حينئذ على ان  
يعطوا ابنتهم لمن يطلبها . فيشيع في البلد بن فلانة اعطى قولاً بابنته فلانة الى  
فلان ابن فلان

### التمشية

بعد الاتفاق بين اهل الخطيبين على موعد معين وعلى عدد الرجال الذين سيطلبون  
الفتاة للشب، يستدعي ابو العريس اقرباءه الى بيته ويطلعهم على رغبته ويستشيرهم  
في الامر . فيعيّنون منهم وفداً مؤلفاً من شيوخهم المتقدمين في السن واصحاب  
المكانة في الاسرة، ويرسلون الى بيت اهل الفتاة « فيمشون » عليها، اي يطلبون  
يدها رسمياً من اهلها . ويسمون هذه الليلة « ليلة حس المقل »  
فيذهب هذا الوفد الى بيت الفتاة ويطلبها من ابها . فيعطيهم هذا قولاً،  
بشرط ان يذهبوا ويأخذوا قولاً من اعمامها واخوالها، جرياً على العادة المألوفة .  
فيقوم الوفد في اليوم التالي الى البيوت المشار اليها ويأخذون قولاً من اربابها بالرضى  
والقبول . وتقدم لهم « النقولات » من قضاة وزيب وتين وجوز وغير ذلك من  
الفواكه علامة الرضى . ويودعون حامدين شاكرين مشين على حفاوة انساب الفتاة  
وكرمهم وصدق طوبيتهم . ويقرر اهل المتحابين موعد الخطبة الرسمية

- 
- (١) يلاحظون في تحديد هذا العدد حالة اهل الفتاة وسعة دارهم وما لديهم من المال .  
ولكثرة الرجال الطالبين يد الفتاة أهمية في عين الناس
- (٢) لا اعلم لماذا سُميت هذه الليلة بهذا الاسم، مع اني بذلت جهوداً كثيرة في البحث عن  
ذلك . والذي اظنه اخصم كانوا قديماً يقدمون في تلك الليلة للخاطبين بيضاً مقفياً بالسمن فبما كونه  
غامسين لغتهم بالمقل حتى يأتوا على آخره ويلجسوا المقل ايضاً لطيب الاكلة . او اخصم  
كانوا يشترطون على الخطيب بان يلجس المقل وهي ساخنة محمية . فان اقبل على ذلك بجرأة  
راق في عيوضهم وكان في نظرهم بطلاً شجاعاً . حتى اذا اقدم على العمل منعه عن ذلك واعطوه  
قولاً رسمياً عن استحقاق منه وبكل رضى . وهذا امتحان لشجاعته وجرأته وعفته لخطيبته،  
وهذه كان الشاب يفخر بها قديماً كما يفخر الشاب اليوم بملمه واطفه

## الخطبة والزواج

### الخطبة

في اليوم المعين يدعو ابو العريس الرئيس الروحي والاقارب والاصحاب ومشايخ البلد واعيانها، الى تناول العشاء عنده والاحتفال بعقد خطبة ابنه الرسمية . فتتوافد الناس الى داره قبل الغروب زوافات زوافات، ويجلسون في ردهة من ردهاتها . وهي عادة غرنة كبيرة مفروشة بالسجاد والبسط ومرصوفة على جوانبها بالفرش والوسائد . وفي احدى زواياها موقد وفوقه مدخنة وعليها سراج من فخار ينار بزيت الخروع الذي كانوا يستخرجونه من اراضيهم . وفي كل حائط من حيطانها سراج مثله على «مرجة» من خشب يستنيرون بضوئه، وكلما ضعف نوره اصلحوه بأن يفركوا الفتيلة باصابعهم ويروموا ما فسد منها . وكانوا يستعملون ككتبيه لاصلاح السراج هذه الكسمة المبتذلة «مخطوا هالسراج» . وفي الموقد نارٌ وعليها اباريق القهوة والشاي الحلبي . فيصطلون متعاقبين افواجا، يشربون القهوة ويدخنون التبغ والتبناك . وعندما يكمل عدد المدعوين تبسط السُط على الارض وتوضع عليها «مناسف» البرغل . فيجرون على ما ذكر في باب الولائم، متبعين آداب السفرة . فلجلوس الرجل حول السفرة اصطلاح، ولمسك الملعقة اصطلاح . ولا يجوز لاي كان ان يخل بهذه الاصطلاحات، التي يقدسونها ويحافظون عليها كثيراً وينتقدون من يخالفها اشد الانتقاد جهاراً، بقولهم «هذا حرام وعيب» . وينسبون اليه الكفر والاحاد . واذا وجدوا شيئاً من فئات الخبز بالارض يسرعون الى التقاطه ويقبلونه ويرفعونه الى رأسهم ثلاث مرات ثم يأكلونه . ويأخذون في تناول الطعام من الاطباق الكثيرة المشتركة فيما بينهم، بينما يقوم بخدمتهم اثنان او ثلاثة من اهل البيت وانسابهم يقدمون لهم ما يحتاجون اليه من الماء ويحملون الى المائدة يدل ما قد نفذ من اشكالها

وبعد العشاء يعودون الى ما كانوا عليه من شرب القهوة والشاي والدخان «بالأركينة» و«السييل» بحسب شهوة كل منهم . ثم يستأنفون حديثهم في مواضيع شتى حتى ينتهي بهم الكلام الى موضوع الخطبة . فيتقدم ابو العريس

(١) واني لا ازال اذكر عظمي وانا صغير، اذ كان يقطع الرغبة بسكينه ليأكله . فكنت مع رفائي نستعجن عمله هذا كثيراً ونعده كفرًا

ويعطي الرئيس الروحي غازياً او غازيين وشلة حربية سوداء . ثم يذهبون جميعاً رجالاً ونساءً الى بيت ابي العروس . فيخف اهلها وذووها لاستقبال الخاطبين بكل بشاشة وترحيب، ويحلونهم صدور مجالسهم، ويأثفون في الترحيب والاحتفاء بهم ويقدمون لهم القهوة والشاي . ويقدم اخو العريس او ابن عمه التبغ لمن « يشرب السيل »، والتبناك لمن « يشرب الاركيلة » . وكان شاربو « الاركيلة » يجلسون بعضهم الى جانب بعض يشتركون في الشرب منها متعاقبين، اذ لم تكن « الاراكيل » وافرة في ذلك العهد، وكان كثير منهم يحملون « اراكيلهم » من بيوتهم ليتفردوا في استعمالها . فيدور الحديث على ما توحيه الظروف الحاضرة، ثم يتطرقون الى حالة القس وحالة المطر والمزروعات والمواشي، وينصرفون الى التحدث عن حادث مهم كالقتل اغتيالا او اثناء غارة من قبل عرب البادية او حادث نهب او سلب ولا يزال المدعوون في مثل هذه الاحاديث حتى تحل الفرصة المناسبة . فيلتفت الرئيس الروحي الى ابي العروس وذويها ويلقي عليهم التحية المأوفة هكذا : « الله يمسككم بالخير يا جماعة الخير . جئنا اليكم خاطبين راغبين ان ننسب منكم . فلا تردونا خائبين . ونحن نطلب ابنتكم فلانة الى ولدنا فلان ابن فلان . عقبال الافراح عندكم جميعاً » . فيقول ابو العروس : « اهلاً وسهلاً بكم جميعاً على عدد ما مشيتو وجيتو . واذا لم تسعكم البيوت تسعكم القلوب . الا ان هذا الامر ليس بيدي، وهو منوط بعمها ابي فلان، وخالها ابي فلان، وجارتا ابي فلان، وصديقنا ابي فلان » . ويشير بيده قائلاً : « انهم هم اولو الامر والنهي » . فيجيبه الشيخ او الرئيس الروحي : « بارك الله فيك يا ابا فلان . عقبال فرحة اولادك » . ويلتفت الى من اشير اليهم من اقارب الخطيبة ويلقي عليهم التحية ويقول : « جئناكم خاطبين راغبين . عقبال الافراح عندكم جميع » . فيجيبونه :

(١) كان من دأب عرب الصفا واللجا وغيرهم غزو هذه المنطقة ونهب مواشيها، كما اثرنا سابقاً . فكانوا يقطعون الطرق ويتعرضون لسالكها ويسلبونهم ويقتلون من يقاومهم . بل كانوا يندفعون في كثير من الاحيان الى اقتحام القرى المنفردة ونهب ما تصل اليه ايديهم منها . ما لم يكن لهم « خوة » على البلد . و « الخوة » هي اتحاد بعض الاشخاص من ذوي النفوذ والمكانة بين عرب البادية اخاً للبلد ليمنع عنهم التعديات ويرجع اليهم النهوب مقابل مبلغ من النقود وشيء من الملابس كعباءة سعدونية وغيرها وكمية من اللب سنوياً . فيأتي الاخ الى بيت الشيخ، وهذا يفرضها على اهالي البلد ويحصلها منهم ويسلمها الى الاخ المذكور سكام . رض

« وعندهم ان شاء الله . اهلاً وسهلاً . كلنا قدامكم وبين اياديكم وتحت امركم . » فيستدرك احد اعمامها ذلك ، ويقول مخاطباً اهل الخطيب : « ليس من مانع في ذلك ولكن ... ( وهنا يأخذون في الفكاهة والمزاح ) ... ولكن اخا الخطيبة وابن عمها مسافران، واخاها الصغير عسكري في بلاد اليمن، والاصغر منه وابن عمها الثاني مع الماشية في مشتاهها، واخاها الكبير مسافر بجبهات الموصل، ولا بد لنا من مشورتهم وسماع آرائهم . وانا نرى من المناسب ان تُرجأ الخطبة حتى يوم مجيئهم فنعرض عليهم ذلك، ونخبركم بما يقولون » . فيقترح احدهم على الحضور ارسال كتاب مع رسول الى اخوتها في سفرهم المزعوم، يسألون فيه عن رأيهم . ويعقب ذلك سكوت برهة قليلة . فيقول واحد من موكب العريس يبدؤ . وسكينة : « ايش عليه »، يعني بذلك : لا بأس، ارسلوا ساعياً لمن تشاؤون وشاوروا من تريدون فاننا نحن ههنا قاعدون . اننا قد فلقنا وزرعنا ودبّسنا ولم يعد اي شغل يشغلنا . « وايش عليه » لو ظلمنا عندكم نمضي آخر هالشتوية بضياقتكم ، نتسلى مع بعضنا بعض وننبسط من كرمكم ونقابل وجوهكم هالحلوه . راح نلاقي احسن منكم واحسن من بيتكم ؟ » فيجيبه واحد من ذوي العروس : « نحن لا نرى في بقائكم عندنا شي . يزعجنا . وتنسنى لو تبقون عندنا طيلة العمر . فاهلاً بكم وسهلاً . واكننا لا نعطي ابنتنا لمن تطلبونها له، لانه لا يزال صغير السن لا قدرة له على الفلاحة والزراعة ولا يستطيع « القياض » بالمرء، ولا في مقدوره اسقاء الكروم في ليالي الشتاء الباردة، وليس له الخبرة والمقدرة الكافية لكي يكون عوناً لبيت حيه على قضاء اشغالهم . فلا بأس علينا اذا اجلنا خطبته ريثما يشتد ساعده ويبلغ الشباب فنعطيه ابنتنا بكل طيبة خاطر ان شاء الله . ولم هذه العجلة، فهي من الشيطان، ولا يزال الخطيب فتىً والخطيبة صبية »

وبعد الاخذ والرد واشتداد المحاوره والجدال والمزاح بينهم، وبعد ما يصل الخبر للعريس وهو في داره ان اهل العروس يانعون في اجراء الخطبة الآن ويطلبون تأجيلها الى ان يأتي اخوها الكبير من سفره، فتضطرب افكاره ويحسب الف حساب اذ يبلغونه ذلك بطريقة جدية، يتدخل الشيخ في الامر قائلاً : « الله يمسيكم بالخير يا جماعة . فليصل كل على نبيه ويمسح وجهه بالرحمن . كل ما وضعتموه لنا من الشروط ففعل الله وعليّ قضاؤها . وانا كفيل الغائبين بالرضى والقبول . واقطع

نكم على نفسي عهداً باقناعهم . اما مسألة صغر سن الخطيب فاني اضمن ايضاً بان سوف يعوّض عما يفوته من قضاء حاجات بيت حميه اضاعاً عندما يكبر . فاقولكم يا جماعة بهذا الحل ؟ » ويكون الرئيس الروحي قد اظهر لزوم ختم هذه الفكاهة وهذا المزاح . فيقول ذوو العروس : « نحن قبلنا كفالة الشيخ واعطينا ابنتنا لطالبها ان كد الله اعطاه . اذ ما هو الا ولد من اولادنا . واذا لم يكن لدينا عروس تزفها اليه فان من الواجب علينا ان نجد له فتاة تليق به » . فيجيبهم الشيخ : « بارك الله فيكم ! فانتم جميعاً » قدّها واكبر » . قدّرنا الله على مكافآتكم »

فاذا كان اهل الفرح من المسلمين ارسل الإمام اثنين يسألان الخطيبة الى من تريد ان تكل امرها، ويعقد الخطبة او الكتاب حسب الشرع والعادة المألوفة . واذا كانوا من المسيحيين فيصطحب الكاهن اثنين من الحضور الى الغرفة التي جلست فيها الخطيبة واترباها . فيسألها امام الشاهدين هل تريد فلاناً خطيباً لها . فتجيبه بجماء وخجل بالرضى والقبول، بإشارة لا تكاد ترى، كأن تهز رأسها او تومئ بعينها دلالة على رضاها . فيعود ويعقد الخطبة حسب العادة، بعد ما يعطي لابي الخطيبة الغازين والشملة الحريرية « المقصة » وينتهي الامر

ويقول المدعوون لابي العريس : « جعله الله مباركاً . عقبال الفرحة الكبيرة »، اي الزواج . ولابي العروس : « عقبال فرحة اولادك » . وترغرد النساء و « يُرود » الشبان . وتكون النساء قد هيأن انواعاً من الضيافات ، فتمد السُط ويرصف عليها الارز واللبن والحبز وغير ذلك مما في البيت من الدبس والزيتون ، فيأكل المدعوون . ثم يشربون القهوة ويعودون الى بيت العريس فرحين مرحين . فيأتيهم الشبان بالتراويد، والنساء بالزغاريد والاهازيج . فيتفرق الشبان فرقاً كل اربعة او خمسة يهزجون ويروّدون هكذا :

كم	راس	قطعنا	وكم	جسه	رميناها
بالهوج		والمسج		وضرب	السيف خضناها
نحننا		ونحننا		من	سود اللحي نحننا
نحننا		الصقوره		ولو	قُضت جوانحننا

## الخطبة والزواج

لا تركب ألا ثنيته	أما رباعي الخائف
مسكين داعي الردية	قلبه من الموت خائف
لآتي من الهم مهموم	ولآتي بأسرار بايخ
اضحك ولو كنت مغموم	ولو كان في الجراح
حمرة من الخيل يا هو	وجلاها من قطيفه
ركابها فلان يا هو	يشبه الزيتي خليفه
لاها بلبس الطرايش يا هو	ولاها بدق القهاوي
هذا رصاص مر يا هو	يختار فيه المداوي
بارودنا فجعجج الدير يا هو	صاحوا المذارى عفاهم
صبياننا تفرج الهم يا هو	جابوا القلايع ورهم
يا نسر يا شارب الراس	مالك على الجوع قوة
لو طلت الخيل بالليل	عليك باهل الروه
جوز المليهه	نصب خيمه وعلاها
جوز الشيعه	هرب عالشام وخلاها
عينيك يا ناقل العود	وحدك ولا لك مشارك
والعمر له حد محدود	دوس المنايا وعارك
يا مير ملحم	ويا شيخ الحاديه
يا قبة النصر	فوق الشام مبنيه
قلعة بعلبك	بعون الله ملكناها
بالهوج والموج	وضرب السيف اخذناها
نحنا النصارف	ومزنا على الطارف
ما يتزل الوسط	الا النذل والخائف
يا هر كله رحتوا مداعيس	جتكم عواج الطواقي
خيالنا بالف خيال يا هو	والما يصدق يلاقي

## الخطبة

المهر                      مهري                      وانا بعرف طبايعه  
والسيف                      سيفي                      على رقاب الرجايل

غيره

لا تاخذونا بكثرتكم وقتلنا      كثير من الحب تطحنها الطواحين

وكذلك ترغرد النساء. ويفنين هكذا :

أيها يا فرحة اللي الي عامين بنظرها      أيها وسأت رب السما ان يكملها  
أيها وتكملت يا علي يا ابن الكرام      أيها وتكملت بعناية ربنا العالي

لولو لو نيش ( وتعاد هذه بعد كل من الادوار التالية )

أيها سروري سروري صبحت اليوم سرور      أيها لا ادري من الله لدري حلت في نومي  
الحمد لله هالشهوه قضيناها      الحمد لله اللي عشت لليوم

أيها اخوتي اثنين ويا غزي بالاثنين      أيها واحد على الساقيه واحد على العيني  
ندرأ علي وان جوتت الاثنين      لدق طبل النور وارقص بكيني

أيها فلان يا اسمر ويا علبة السكر      أيها يا من ربط مهرته في شجرة المنبر  
يا ما عيرونا بنات الترك يا اسمر      كل المحبين ليلة فرحتك نحضر

أيها لمن هالباب الكبير العالي      أيها لآبو فلان دباح الحبال  
لمن هالفرس الاصيله الواقفة      لآبو فلان دواس الليالي

أيها نحنا ونحننا ومن سود اللحي نحنا      أيها نحنا نكيد الاعادي اين ما رحنا  
ما قلت لك يا فلان يا سيفنا نحنا      دوس الاعادي غم دبأحنا نحنا

أيها عليه ابو فلان عالعمدان رافعها      أيها يا ريحة البن والقهوة مطالعها  
لا تذكر البخل يا غزي ويا سندي      عادات بيك قبل منك مطالعها

أيها معجن ابو فلان ثمان ترطال رزانه      أيها يا بشة الشام ما نقلت قماشاته  
يا سفرة اللي مدها بدياته      اكل الاماره ولشع الخبز عاداته

أيها رجائنا هوبرت نسواننا غنت      أيها وراياتنا البيض من راس الجبل طأت  
ليت التي شافت هالشباب وما سمّت      تقبر صباها وبعد الشمس ما طلت



- ايها سفرة ابو فلان ثقيله ما بتنشالي  
 " سبع صنّاع ما شالوا حلقها
- ايها نحن بني عم عصبه ما بنفترق  
 " الي يجبننا يزل لسا حننا
- ايها نحن بني عم من حقا ونحقيق  
 " جيوبنا من المال خششت
- ايها نحن بني عم ما مال الهوا ملنا  
 " سن سيفك يا فلان وتكني
- ايها فلان يا مفتاح سوق الغرب  
 " ما قلت لك يا فلان يا قوي القلب
- ايها انا يا ناس ما عزي بمالي  
 " انا عزي بفلان لو ندهته
- ايها فلان يا ذهب في كفة الميزان  
 " الي راح للوالي وحكى بحقك حرام
- ايها فلان لا تقول نسيك  
 " انت الذي فضلك علينا كلنا
- ايها ابو فلان يا فنجان فرفوري  
 " لمن ركب عالكحيله وقال لها دوري
- ايها نحن بني عم عصبه والتجينا ليك  
 " وان ردت شرقتنا وان ردت غربنا
- ايها ما قال فلان قوم لنشوف يا خالي  
 " وان كسبت الخيل من حظي ومن فالي
- ايها ما قال فلان قوم لنشوف يا ابن اخي  
 " وان كسبت الخيل من حظي ومن بختي
- ايها معودة عا صحن الرز والضاني  
 " من المنزل الي باب الخزاني
- ايها لو جرى الدم عالعودان والورق  
 " واللي بيغضنا بنار الجمر يحترق
- ايها وسيوفنا من ذهب دق المطاريق  
 " ويا نهرة رجالنا بتنشف الريق
- ايها نحنا جميع الطوايف شاكره منا  
 " وحياة عمرك ولا تنسى حدا منا
- ايها يا شمع منك ويا ضو القمر عالدرب  
 " اقتل واضرب وانصب مشنقه عالدرب
- ايها عزي بالعمام والرجال  
 " سخي الكف ابو زيد الهلالي
- ايها يا مواجه السلطنه يا مرافق الحكم  
 " تقبده حريره وتلبس اسود الرهبان
- ايها انت المبدى يا عزيز يا غالي  
 " من يوم كنا في القماط صفار
- ايها يا جوخ احمر عالشباك منشور  
 " وحياة عمرك اعطي للجمع دستور
- ايها انت اكابر وهز الرمح بين ايديك  
 " انت السكاكين ونحن اللحم بين ايديك
- ايها وتزين الخيل من فضه ومن مالي  
 " وان خسرت الخيل كله فداك يا خالي
- ايها وتزين الخيل بالرشمه وبالرخت  
 " وان خسرت الخيل كله فداك يا ابن اخي

ايها فلان يا ثوب الحريري      ايها وسيع الكم احلى ما يصير  
 « ما احلى وقتته في باب داره      « يأمُر عاكبير وعالصغير  
 ايها فلان يا سبع السرايا      ايها دخلت الشام رملت الصبايا  
 « سيفك هالطويل الله يديه      « على رقاب العدى يهري المنايا  
 ايها فلان يا جودي وموجودي      ايها دارك عمار ودار الضد مهدود  
 « يا بساط احمر وفي المذول ممدود      « تحته المحرم وفوقه منسف المود  
 ايها تقولوا فلان مات ما مات      ايها خلف خلايف مثل زهر النبات  
 « خلف فلان الله ينصره      « وخلف فلان لمد السماط  
 ايها بيت فلان يا ميه وتسعين      ايها يا نازلين على بعلبك وسرعين  
 « يا نازلين على بعلبك وبا امرا      « يا داعسين على فرش اللاطين  
 ايها لا تحسبونا فنينا ما فنينا      ايها رجال العز منا سالمينا  
 « اذا سلم منا وحيد      « وحيدنا عدال الاربعينا  
 ايها لا تحسبونا لاجل المال دايما      ايها لا ندل ولا نشمت حدا فينا  
 « وان هو ان الله يا فلان ونجينا      « نخلف ابونا ويرجع عزنا لينا

ويتغنون بغير ذلك من الاغاني، وكلها حماسية وفخر ومديح، ينشدونها في  
 الافراح والاعراس اكراماً لفلان وابي فلان والشيخ الفلاني الخ

ويظلون هكذا الى ساعة متأخرة من الليل يرقصون ويمرحون . ثم يودعون اهل  
 العريس متعنين للخطيبين السعادة والهنا، داعين لها بتمام مهمتها على خير قائدين :  
 « عقبال الفرحة الكبيرة » . فلا يخلو البيت من الناس حتى يهب العريس مسرعاً،  
 بعد نفاد صبره، الى بيت العروس، حاملاً لها منديلاً كبيراً مملو، من الاجاص  
 الشتوي والملكي او العثاني والجوز والتين والزبيب . ويقبل عند وصوله رأس  
 حماته . وهذه فريضة يسمونها « بوسة الراس » . ويجدد السهرة مع العروس وآلها فرحين  
 مسرورين . ويرجع في آخر الليل الى بيته وقد امتلأ قلبه غبطة وسروراً ولذة وجوراً  
 ومنذ ما يعقد للخطيبين يصبح مفروضاً على العريس ان يقضي السهرة كل يوم  
 عند عروسه، ويجرم عليه قضاء السهرة في غير بيت حميه الا عند الضرورة الماسة

## بدر الخطبة

في اليوم الذي يلي الخطبة كانت العروس تذهب باكراً الى مورد الماء فتتلا جرتها وتأتي بها الى بيت حميها . فيستقبلونها بالترحيب والاكرام، ويتحفونها بقطعة من النقود الرائجة اذ ذلك، تنفق مع حالتهم، مثل « القنس » وقيمته ٢٢ قرشاً، والريال ابو عامود ( ٢٢ قرشاً ) ايضاً، والزهر اوي ( ١٠ قروش )، ونصفه وربعه، والغازي ( وهذا من الذهب يساوي ٣٠ او ٤٠ قرشاً )، وحذاء اي « بابوجاً اصفر » . ويسمون هذه الهدية « عبرة الدار »، اي زيارة العروس الاولى لبيت حميها . ويبقونها عندهم ذاك النهار فتعاونهم على دق الكبة . ويدعون اهلها الى تناول العشاء . وقضاء السهرة . فيجتمع فيها الاقارب والاصحاب ويقضونها بين الرقص والغناء والضرب على الدف والنقارات والنفخ في الزمار والشبابة . ويقابلهم بالمثل اهل العروس بعد ايام قليلة، فيدعونهم الى تناول العشاء . عندهم . ويأخذ الناس يتواردون الى بيت العريس للمباركة بالخطبة . فيأتون عيالاً عيالاً قائلين : « مباركة الخطبة . عقبال فرحة الكبيرة » وهم يقدمون القهوة والقضامة والزبيب والجوز والتين وغيرها من النقول ثم ينصرف العريس الى شراء الجهاز له ولعروسه . فيبتدى بشراء كمية من القطن لا تقل عن العشرة ارطال . ويأتون بالنداف، ويستعينون بالنساء . للف القطن المندوف « فتايل » على قطع دقيقة من الخشب . ويجمعون كل عشر فتايل يعقصونها عُقْصاً تسمى الواحدة منهن « كوكة » ويبينونها للغزل والحياكة . وتشرع ام العروس في غزل القطن بمنزلها . فتصنع منه « شاميط » تحولها بناتها الى شلل فواسير وقلما كان يخلو بيت من الدولاب او النول وسائر آلات الحياكة والغزل . فيحكون خاماً او يكلفون احداً حياكته مقابل اجرة طفيفة . فيأخذ من يحوك الذراع نصف قرش . ويصنعون من هذا القطن اشكالاً من الاقشة : فنه ما يكون من القطن الخالص، ومنه من « المدقف » او « المحوشى » . والاغنيا . يحوكون قماشاً من القز الخالص . ثم يصبغون من قماش القطن ما يلزمهم باللون الازرق ليصنعوا

(١) كانوا يجلبون خاية الحرير، وهي القز، مغزولاً ويصنعون منها المدقف والمحوشى . فالمدقف يكون اقلاماً من النوعين . والمحوشى تكون فيه حواشي الخام من القز ووسطه من القطن

منه الالبسة الخارجية، كالسراويل المطرزة والاجالك والصايات والصداري للرجال، والفساطين وغيرها للنساء . ويرتدون هذه الالبسة اثناء اشغالهم الزراعية والبيئية، وفي اسفارهم وفي ايامهم العادية . وانما كانوا يطرزون قمصان النساء بالحرير الاحمر والاصفر والازرق والاخضر على صدورهما واكمامها . ويعملون من الفرش واللحف عدداً يختلف بين الثلاثة والخمسة، وكثيراً من المرافق والوسائد

وكانت الخطبة تدوم من السنتين الى العشر، يكون العريس مكلفاً اثناءها ان يقدم للعروس لباس رأسها واحذيتها مهما طالت المدة . وكان عليه ان يقدم لها في الاعياد والمواسم الهدايا التالية : فلا يحل عيد القديسة بربارة مثلاً عند المسيحيين او عيد من اعياد المسلمين، حتى تهب ام العريس الى دعوة اصحابها واقاربها من النساء . فيوافينها وكل منهن تحمل زوجاً من الجوارب او منديلاً او شملة حريرية، وهي تأخذ ايضاً شيئاً من ذلك، فيقدمن تلك القطع هدايا للعروس في بيتها . ويأخذن معهنّ صحيفة مملوءة من القمح المسلوق قد نُثر عليها من قلب الجوز والزبيب وحب الرمان والقنب . ويتغدين في بيت العروس ثم ينفرط عقدهن . وكان على العريس ان يقدم للعروس، كلما ذهبت الى الحمام، اجرتة وقطعة من الصابون . واما العروس فعليها ان تملأ جرةً او جرتين من الماء كل يوم لبيت حميها، وان تساعدن في اعمالهم البيئية في اوقاتها . وعلى الحماة ان تنظر الى صهرها نظرها الى اولادها، بل ان تخصصه بشيء من المأكّل الطيبة، مثل « مشوية » ( وهي قرص من الكبة المشوية ) كلما دقت الكبة في بيتها، او برغيف من « المخطوط » وغيرهما مما سبق ذكره

### الجهاز

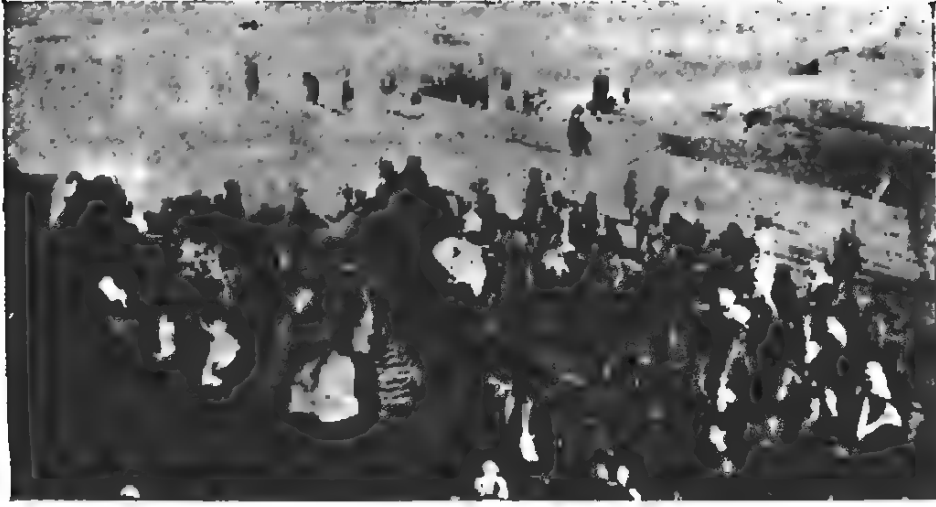
وعندما يتم عمل كل الالبسة يرسل اهل العريس وفدًا من قبلهم الى بيت العروس، ليستخبروهم هل تموا المطلوب فيسافروا لطلب الجهاز، وهل نشأ عندهم مانع ليزيلوه . ويتفقون على يوم يسافرون فيه الى الشام لشراء ما يلزمهم مما لا يمكن الحصول عليه في النبك او في جوارها : كالصندوق الذي هو من خشب الجوز المحفور او المصدّف، والمرآة، وادوات زينة العروس كالازهار الصناعية والاسيداج والحمة والطيب والرباد، والبدرات الثقيلة، والحنا والشموع الخ . فتتول العروس وامها والعريس وامه واخته، الى دمشق مع الجمّالة، راكبين ظهور الدواب

## الخطبة والزواج

وهي الطريقة الوحيدة للسفر في ذلك العهد . ويرافقهم اليها احد اقربائهم اصحابهم من ذوي الخبرة في شراء هذه الحاجات . وكان سفرهم هذا يدوم يومين كاملين ذهاباً ومثلها اياباً . فيظلون في الشام نحو اربعة او خمسة ايام يتتاعون فيها الاشياء اللازمة لهم، من جوخ وحرير وغيرها من البسة العريس والعروس الخارجية ممّا يتفق مع حالة العريس المادية . فاذا تم لهم ما يريدون شراءه قفلوا راجعين الى بلدتهم بعد ان يبنثوا ذويهم عن يوم رجوعهم . ويكون اهل العريس قد اعدوا العدة لاستقبال موكب الجهاز الآتي من الشام . فيدعون جميع الاهالي دعوة رسمية الى تناول طعام العشاء عندهم واستقبال الجهاز

### موكب مدافاة الجرباز

يدعو اهل العريس اهالي البلد . فيخرجون كلهم، يتقدمهم الخيالة بنجيلهم المطهمة ورماحهم وسيوفهم، وهولاء يكونون من مشايخ البلد ووجوهها واعيانها . ويؤلف الرجال والشبان فرقاً عديدة، ووراءهم فرقة النساء . فرقة تسير على ضرب الطبل، والثانية على نقر الدف، والثالثة تحدد حذاء بدويّاً، والرابعة من الشبان حاملو البنادق ذوات القذاحات والصوآتات، يطلقون بها البارود الذي اتى به اهل العريس بكثرة . وهولاء يسرون وراء الخيالة، ويسير وراءهم باقي الفرق يهزجون ويرقصون ويحدون . والنساء وراء الجميع يزفّنهنَّ « يَسْعَجْنَ » اي يرقصن ويثبنَّ بسرعة ويزغردن لهذه المراكب، وكأنهنَّ بذلك يحمنها للذود عن حياضهنَّ عندما تهاجمهنَّ الخيالة . فيجعل هولاء يطارد بعضهم بعضاً، ثم يكرّون على هذه المراكب كأنهم يشنون الغارة عليها، فيقابلهم حاملو « البواريد » باطلاق النار بين ارجل خيلهم، فيرتدون عنهم على اعقابهم خاسنين بلا جدوى . ويعيدون الكرة عليهم ثانية متحمسين اكثر مما قبل، فيقابلهم الشبان باطلاق النار ويردونهم خاسرين . هذا بينا الفرق المذكورة، الرجال بجدهاتهم واهازيجهم، والنساء يزغاريدهنَّ، تريدنَّ حماسة ونشاطاً ويظل الموكب سائراً حتى يلتقي بالجهاز ومن معه خارج البلد . فتري العروس واخت العريس في هودج على ظهر جمل مزين بالبندود « والسفائف » الملونة والسموط « المشنّلة » بالحرز والطرر من الشعر والصوف الملون والاجراس والجلالجل . تزغرد الفتاتان وتحمنان الخيالة وحملة « البواريد » معاً فيرجع الموكب سائراً على هذا



موكب ملاقاتة الجهاز

النحو حتى يصل الى البلدة، حيث النساء مجتمعات فوق السطوح وفي النوافذ، يزغردن ويلقين على الموكب الجوز والتين والزبيب والقضامة، حتى يصل الى دار العريس، فتستقبلهم هناك النساء بالزغاريد والاهازيج ايضاً. ويستمر الشبان على اطلاق البارود فيها . واذا كان لها « فسحة » اي عرس فسيحة تأخذ الخيالة تلعب بالروماح على ظهور الخيل ضمن الدار، كأن ذلك يزيد اهلها فخراً وشرقاً ويكسبهم عزاء، وهم يرون في ذلك سبيلاً لاطهار مودتهم ومحبتهم للعريس وآله . ولا يلبثون ان يتحولوا عن لعب الخيل واطلاق البارود والحداء الى الرقص والدبكة والسحجة حتى يأزف موعد طعام العشاء.

فتبسط السُّطُ وتوضع عليها انواع المأككل . فيأكل الحضور اياً كان عددهم . ويعود الناس الى ما كانوا عليه من رقص ودبكة وضرب على الطبل والدف، ينشدون الاغاني والاهازيج والمعنى . وينعزل بعض الشبان في غرفة يقومون فيها ببعض الالعب الرياضية، فيقارون هناك في المصارعة والمغالبة ورفع الاثقال . ويستمررون على العابهم هذه حتى آخر السهرة . وينصرفون مع الجمع وليس في نفس الغالب شيء من الفخر ولا في نفس المفلوب شيء من الحقد والبغض . فلا ينظر الغالب الى المفلوب باحتقار ولا يضم المفلوب للغالب شيئاً . غير ان من تتم له الغلبة على اقرانه يصبح في نظر اهالي البلد جميعاً ذا مكانة ويشار اليه بالبنان حتى بين المفلوبين انفسهم.

وفي اليوم التالي تتوافد الناس الى بيت العريس يباركون لهم بالجهاز . فتحمل اليهم كل امرأة ثمني بيضات تقدم اليهم برسم المباركة . فيقدم اهل العريس للمباركين زبيباً وتيناً وجوزاً وقضامة في صحاف من نحاس يوضع من كل نوع منها صحيفة امام شخصين او ثلاثة . ويقدمون لهم القهوة العربية والشاي الحلي . ويكون يوم وصول الجهاز الى بيت العريس فاتحةً لسلسلة من «التعالييل» او الليالي الراقصة الساهرة، يقيمونها كل ليلة مدة شهر على الاقل وتمتد احياناً حتى يوم افتتاح العرس وفي هذه الاثناء يرسل اهل العريس الجهاز الى بيت العروس لكي يتموا خياطته، فيكلون ذلك الى امرأة تحسن الخياطة في البلدة . فتي صار كل شيء جاهزاً تنبئ ام العروس بيت حميها بذلك، وتدعوهم الى حضور صر الجهاز مع غيرهم من الاقارب والاصحاب . ويكون ذلك اشارة الى بيت العريس بلزوم الشروع في اقامة العرس . فتذهب ام العريس، تصحبها بعض نسيبتها وغيرهن الى بيت العروس لحضور صر الجهاز

### صر الجهاز

تدخل نساء اهل العريس الى غرفة قد نُصِّد فيها الجهاز . فتجلس ام العروس في وسطها واضعة بجانبها الالبسة «بُشْجَا» ( جمع بُعْجَة اي صرة ) . فتأخذ واحدة منها وتضع ما فيها من الالبسة جانباً . وتبسط الصرة على الارض امامها وتتناول قطعة من البسة العريس وتقول مثلاً : هذا شروال الجوخ للعريس . وتصير تعدد كل قطعة في الصرة، من اكبر ما فيها مثل الشروال الى اصغر قطعة مثل كيس التبنالك والتبغ حتى احذاء . وتصورها قائلة : « هذه بدلة العرس عقبال بدلة عرسناكم » وتأتي بغيرها، ويكون فيها كالأولى اقصة وسراويل واللبسة داخلية، فتقول كما فعلت قبلاً ما عدا انها لا تقول هذا شروال جوخ بل هذا «قنباز» عصامي او قنباز حرير «ألاجا» او حامدية . وترتهم ايها، ثم تصرها . وتأتي بغيرها، الى ان تريم خمس بدلات للعريس او ثلاثاً . وبعد ذلك تريم بدلة «الصدة» اي «الجلوة» للعروس، ثم غيرها . وتصير ثلاث او اربع بدلات للعروس . وترتهم

(١) لاصم سيحتاجون اليها في ايام العرس . فيجتمع عندهم منها ما ينيف على الالف يضة يدمونها كلها في ايام العرس مقلية بالسمن مع الكشك

القمصان والسرراويل الداخلية العديدة للعروسين . وهكذا تعرض على الحضور كل الجهاز، حتى « الاجربة والطواقي والتكك » . واخيراً تريهم « سلم اللباقة » وهو مؤلف من بضعة « كباسات »، اي كمكة من فضلات الاقمشة تضعها المرأة تحت الجرة عندما ترد الماء، وبضعة جيوب متصل بعضها ببعض مؤلفة من اقشة مختلفة الالوان توضع فيها المشط والصابونة والكشتبان، وبمثل هذه الاشياء، اي بتركيبها وتحريمها وتطريزها تظهر العروس لباقتها . واخيراً تُري الحضور بدلة ابي العريس . وهي سروال من الجوخ معه باقى الالبسة الداخلية، او قنباذ من الحرير، او شنتيان من الخام البلدي المطرزة ارجله بالحرير الملون وتصورها على مرأى من الحضور . وتختتم ام العروس بقولها : « عقبال الافراح عند الجميع » . ثم تقدم لهنّ الصحف المملوءة من انواع النقول . فيأكلن ويعدن الى منازلهن شاكرات حامدات

### العرس

كان محتمواً على من يعمل العرس في ذلك العهد ان يجعل مواعده بين كانون اول وشباط . لان الناس يكونون اوانثذر قد فرغوا من جميع اشغالهم الزراعية ومن تأمين ما يحتاجون اليه من المؤونة لقضاء فصل الشتاء، فيمسي البيت زائحراً بالاشياء التي يجب ان تبذل في الاعراس، ويكون في استطاعة الناس ان يشتركوا في الافراح التي تقام في البلد، بدون ان يستهدفوا لضياع شيء من اشغالهم . فيكون العرس حافلاً بالاهل والاقارب والاصحاب وسائر اهل البلد، من مسيحيين ومسلمين، وكلّ منهم يشعر بما يجب عليه ليحافظ على اتقان افراح هذا العرس . ولما كانت جبال القلمون في تلك الايام لا تزال سائدة فيها السذاجة والبساطة، وابوابها مغلقة بوجه كل تمدن حديث، ظلّ اهلها محافظين على عوائدهم القديمة لا يعرفون واسطة للفرح والانبساط الا الاعراس . فيهبون للتمتع بأفراحها بشوق وصدق واخلاص . فيشمل الفرع عامة الاهالي، كأن العرس لكل واحد منهم . ولم تكن الاعراس بالامر الهين الذي يُقضى في وقت يسير، بل كانت تستغرق مدة من الزمان لاتنقص عن الشهر، تقضى ما بين مذاكرات ومداولات واستعدادات للافراح المقبلة على الشكل الآتي :



## المشورة الصغيرة

تبدأ المذاكرة بين اهل العروسين قبل العرس بعشرة ايام . فيعينون موعده .  
فيدعو ابو العريس عندئذ اهلـه واقرباءه الاخـصاء ليلاً، ويخبرهم بتقرير موعد العرس،  
ويستشيرهم ليري هل يجب ان يعملوا العرس كبيراً ام صغيراً . فاذا قر رأيهم على  
ان يكون كبيراً اغتنموا هذه الفرصة ليصالحوا كل من كان معهم على شيء . من  
الشقاق والنفور، لكي يشترك جميع اهل البلد في الافراح . ويعينون يوماً يدعى  
فيه مشايخ البلد ووجهاتها والاقارب والاصحاب للمشورة الكبيرة

## المشورة الكبيرة

تتوارد الناس صباح اليوم المعين الى بيت العريس بدعوة منه . ويجلسون في  
غرفة كبيرة قام في زاويتها موقد قد صُفّت عليه اباريق القهوة والشاي الحلبي، كما  
ذكرنا قبلاً . وبعد ما يكمل عدد الجمهور وتدار عليهم القهوة والشاي مراراً،  
يسأل الشيخ الوجه بينهم ابا العريس قائلاً : « يا ابا فلان، الله يصبّحك بالخير .  
دعوتنا لمثل ذلك العامر وها نحن قد لبينا دعوتك فماذا تريد منا ؟ »

فيجيبه ابو العريس : « اهلاً وسهلاً بكم . شرفتونا والنوبة حلت البركة .  
بدنا نسّير هالصبي ( ويعني بذلك انه يريد ان يزوج ابنه ) . عقبال الافراح  
عندكم جميعاً . والرجل لا يقدر على القيام بامر ما بدون اهلـه . واريـد ان تقدّونا  
برأيكم ليم هذا الشيء . بعرفتكم ورضاكم جميعاً . لان الافراح لا تتم الا باهلها  
( ويشير بيده الى الحضور ) . وانا بدونكم لا اقدر على شيء . »

فيجيبه الحضور : « كلنا قدّامك ونخدمتك يا ابا فلان . وانت صاحب الفضل  
على الجميع . وما يصعب عليك يهون علينا ان شاء الله . » فيجيبهم : « بارك الله  
فيكم . وان شاء الله نكافئكم بيوم الافراح عندكم »

فيسأله الشيخ : « هل تريد ان تعمل عرساً كبيراً ام صغيراً ؟ » فيجيبه : « انا  
تحت امركم . ولكننا انا وامه مشتهين ومتشوقين ان نقيم فرحةً كبيرة في ديارنا  
قبل موتنا » . فيقول الحضور : « نحن حاضرين والشر غائب . ابشر بكل ما  
تتمنى وتريد »

## المشورة الكبيرة

٩٣

ثم يسألونه هل يريد ان يدعو احداً من القرى المجاورة . فاذا اجابهم بالاجاب عيّنوا شخصين او ثلاثة منهم لدعوة اهل القرى وارسلوهم على الفور . ويعينون ايضاً يوماً لجلب الحطب والشيخ، وموعد دعوة العرس العامة . ويكلفون لجنة من اهل العرس مع والده لاختذ خاطر الخزانى في البلد . ومن العادات التي كانت جارية حينئذ انه اذا توفي احد من الاهالي ايام العرس، فعلى اهل العرس ان يقوموا بتعزيتهم ويشاركوهم في حزنهم . وعلى اهل المتوفى ان يوفدوا الى بيت العرس من يشجعهم على المضي في عرسهم بقوله لهم : « ان افراحكم سبقت احزاننا . فالعرس ولدنا . والمتوفى ولدنا . فيروا بافراحكم على بركات الله . فهو يتممها على خير وينجينا مما هو اعظم »

ويتعهد المشايخ بأن يحافظوا على الامن والسكينة اثناء العرس ويجولوا دون وقوع مشاجرات بين شباب الحارات . فكثيراً ما كان يحدث مثل هذه الخلافات لبعض ضغائن او لتهات صبيانية لا اهمية لها

وتنتهي هذه الشورى ويصير وقت الغداء فيمد السباط على الارض في وسط الغرفة وعليه الطعام، وهو من البرغل المطبوخ بالسمن مع اللحم، ومن الكشك المصّلع باللحم والسمن، والارز المطبوخ بالحليب، والبيض المقلّي ومعه الكشك المحبول، والزيتون والدبس والحلاوة الطحينية والجبن . فيتناول الحضور طعام الغداء ويشربون القهوة ثم يذهب كل الى اشغاله . ويذهب كل من المكلفين الدعوة لحضور العرس والاخذ بالخاطر وغير ذلك لقضاء العمل المفروض عليه

وتذهب ايضاً ام العرس وام العروس لاختذ خاطر النساء الحزينات، ودعوة بعض العيال الى حضور العرس . ومن ذلك الوقت ياخذ الشباب في استعارة البسة العرس ممن يوجد لديه منها، وهم المتزوجون في السنة الفاتنة او التي قبلها . وتستعير الصبايا ايضاً « المصاغ » والالبسة اللازمة لمن . وفي النهار نفسه تأتي النساء القريبات الى بيت العرس . فيخبزن الخبز الضروري لللازم للعرس، وهو لا يقل عن اربعة او خمسة امداد من الطحين . ويساعدن اهل العرس على قضاء حاجاتهم، مهيئات زادا لمن يذهب لجلب الحطب والشيخ، مؤونة يوم كامل، وهي حلاوة من الطحين المحمص بالسمن مع الدبس . فيأتي الشبان بعد العشاء ويأخذون زادهم كل على انفراد

## جلب النبع

يذهب الشباب بعد نصف الليل الى الجبال الشرقية حاملين بنادقهم خوفاً من غارات البدو عليهم أولاً، ثم لكي يستعملوها عند رجوعهم من الجبال باقامة « العراضة » عند دخولهم البلد . ويرجعون في عصر النهار التالي، بالشيخ والخطب فيسبق واحد منهم حاملاً منه ورافعاً عليه علماً ابيض او احمر ويأخذه الى بيت العروس . فتعطيه هذه طاقية من البياض المطرز بالحريز الابيض تطريزاً دقيقاً جميلاً . قد امتاز به اهل النبك وجوارها، وهي مما يلبسه الشاب تحت الكوفية والعقال . ويخبر الناس بقرب وصول « الخطابة والشيخة » . فيخرج الخيالة بنجلهم ورمحهم، والشبان بعراضاتهم، يضربون الطبول، ويهزجون ويحدون حذاء العرب، والنساء يزقطن يضربن الدف ويرقصن سحجاً وزغردن . ويسير الجميع بموكب حافل الى خارج البلد للقاء الخطابة . ويرجعون جميعاً بعراضة ولعب خيل واطلاق البارود، حتى يبلغوا البلدة حيث تكون النساء على السطوح وفي النوافذ يزغردن ويرمين على الموكب القضاة والزبيب . فعندما يصلون الى دار العريس يدخلون الخطب والشيخ الى البيت، ويرسلون الى بيت « الشيخ » اي المختار حملاً من الخطب وحملاً من الشيخ . ويرسل الخيالة خيلهم الى بيوتهم ويلتحقون بباقي الشباب فيشاركونهم في الدبكة والرقص حتى الغروب .

حينئذ يقف واحد بباب الدار يمنع الناس من الخروج قبل العشاء . فيأكلون ويعودون الى الدبكة والسحجة و« التعليلة » . واخيراً ينصرف الشبان الى المعركة والمقابلة، بينما الرجال يستمرون على انشاد المعنى والزجل والعتابا حتى آخر الليل . ويكون هذا النهار موعد الحمام الاول للعروس، ويسمونه « الحمام الكدائي » وفي اثناة ينصرف المكلفون ان يدعوا الاهالي جميعاً الى حضور العرس، وقد قضوا مهمتهم . ويكلف اهل العرس لفيماً من اقاربهم ليهتموا بتهيئة الطعام والقيام بخدمة المدعوين على المائدة في حفلات العرس . وهؤلاء يطلق عليهم اسم « الخواسين » . واذا اتفق ان احد المسلمين أقام عرسه في ايام الصيام عند المسيحيين فعليه ان يهني لهم من المأكول ما لا يفسد عليهم صيامهم . وكذلك اذا اتفق عرس احد المسيحيين في شهر رمضان فعلى صاحب العرس، ان يهني طعام الفطور اي العشاء للمسلمين في

وقته تمام، اي عند المغرب، لكي لا يجعل لهم سبباً ليتخلفوا عن حضور العرس، ولئلا يبقى لاحد من اهالي البلدة عذر لعدم الاشتراك في الافراح العامة. ذلك انهم كانوا يعتبرون العرس ناقصاً اذا لم يشترك فيه جميع اهل البلدة، ما عدا الخزانى (اي الذين فقدوا قريباً احد اقربائهم)

### الذبائح

وفي اليوم التالي تصبح دار العريس شبيهة بمطعم، وبدار للافراح وللدبكة والرقص، ويحفل للالعاب الرياضية. وتصير كعبة للاهالي يجب على كل منهم ان يؤمها ويعرض نفسه لمساعدة اهل العرس ومشاركتهم في افعالهم كما يشاركونهم في افراحهم. ويستثنى من ذلك المتقدمون في السن من الوجهاء والبعيدي النسب. وعلى اهل العرس ان يجعلوه مستكمل الشروط حاوياً جميع انواع الفرح موافقاً لامال الجميع، مسلمين ومسيحيين، رجالاً ونساء، كباراً وصغاراً، ولا سيما اذا كانوا من الشيوخ اي المختارين او الاعيان او الوجهاء المثريين

فتدري في دار العرس الفسيحة اناساً يرقصون، وغيرهم يدبكون، وآخرين يسحبون، وشباناً يتبارون في الألعاب الرياضية: مثل قذف الحجر، والنط، والمطالبة، ورفع الانتقال، وقذف البرتقال، وغيرها. وترى الصبيان يلعبون بالكباب والحوز و«الداحل» اي الكرات، والبنت الصغار يلعبن بالحرز و«الحشطبة» الحصى وغيرها. وترى بين الشبان واحداً مشغولاً باختيار خطيبته له، وآخر يختبر صفات خطيبته، وغيره لا شغل له سوى الانتقاد وملاحظة خطيبته او شقيقته او ابنة عمه او ابنة خاله لئلا تفرط احداهن في علاقاتها الحرة. وترى هنا بائع البرتقال، وهناك بائع القضامة، وهناك عطاراً وغيره من الباعة. حتى انك لترى الاولاد الصغار يعدون بلينات يلعبون العاباً متنوعة في تلك الدار وفي ما يجاورها

وفي صباح هذا النهار تُذبح الذبائح في الدار نفسها، على اطلاق البارود و«التراويد» والزغاريد. ويهيأ الطعام عند اهل كل من العروسين. لان النساء والبنات جميعاً ياكلن في بيت العروس ما عدا نساء وبنات اهل العريس. وتذهب النساء اللواتي يدعوهن اهل العريس مع امه وخالته وعمته الى بيت العروس ليأخذن مع الصبايا بناتهن الى الحمام الثاني «الصحيح» باذن من ذويها. وعندما يصل

موكبهن الى الحمام تقف امرأة من اخطاء بيت العريس في مدخل الحمام حامله الصابون، فتعطي لكل واحدة منهن قطعة يبلغ وزنها نصف اوقية، وتعطي العروس اربع قطع تزن الواحدة اوقية. وعند الظهر يرد الطعام الى الحمام من بيت العريس ومن بيت العروس، لها ولكل من معها، مع ان كل واحدة من المستحبات تأتي بطعامها من بيت اهلها او من بيت خطيبها

وتأخذ النساء والبنات في تحميم العروس ويغنين لها من هذه الاغاني :

شعرك طويل احب النوم في ظله	احلف بين الشتاء والصيف ما حله
راح ابوك الى الباشا وبينته	شعرة من البيض تسوى عسكرك كله
شعرك سناسل ذهب يحتر الوهان	ما بين شعرة وشعرة ينبت الريحان
يسلم ابوك بغزه هالرفيع الشان	تبي الاصيله علي شانه بكل زمان
يا عروسه يا بيضه ويا غضه	يا سمكة البحر تسبح في حوض فضه
كم قدموا ناس الى بيك ولم يرضى	بالله اصلحوا بيننا لا عاشت البغضه
يا عروسه ما احلى معانيك	انت زهب خاص جنس العيب ما فيك
انت اصيله وكل الناس تشهد لك	يا جنة الخلد نبال الخطي فيك
يا عروسه ويا ام الميون السود	يا بنت امير العرب يال مالكيش وجود
وان كان مردتي على بيك ويا عروس	ويقول يا مرجبا ها كل شي موجود
بيضه وحمرة وكرة مال حط لها	والطير لو كان باعلى الجرحط لها
هرة اخوك على كفي بنقلها	دشرت شغلي وجيت اليوم اغسلها
ورد العرايس عند العصر بيندي	يا بلبل الصبح عالاغصان بيهدي
احكيك يا نور العين ما تردي	وحياة ابوك واخوك تحفظي ودتي

وتظل النساء يغنين لها من هذه الاغاني والاهازيج والثرغاريد الى ان يتم تحميمها

الفراء

عندما يقرب الظهر يتوارد الرجال والشبان افواجا الى بيت العريس لتناول

الغدا . فستقبلهم اربع نساء يقفن قريباً من مدخل الدار، يزغردن ويغنين لكل من الداخلين اغنية توافق مقامه

فيغنين للطيران مثلاً :

ايها قلوستك وزريه ايها وخاتمك وقبه  
 ٥ بترجاك يا سيدنا ٥ تبارك عارعيه  
 لولو لوليش ( وتعاد بعد كل من الادوار التالية )

ايها سيدنا مبعوث ليك مبعوث ليك ايها وبعث البطرك يسلم عليك  
 ٥ باعتلك بدله على طونك ٥ على طرفها صلبان تلبق عليك  
 ايها سيدنا لبعثك البطركيه ايها ما احلى وقفك بباب الملوكيه  
 ما احلى وقفك وقرابة اناجيلك ٥ يا ليت امك جابت مثلك ميه

واذا كان الداخل من الائمة او من مشايخ الطرق والرؤساء الروحانيين من المسلمين فتقول المزغردات :

ايها شيخ فلان يا شيخ البلاد ايها سيفك مسقط بوسط الحرب بينادي  
 ٥ كل المشايخ لابو فلان تشهده ٥ يا سور عكا حاوي جميع البلاد  
 ايها نحن بني جد والشيخ على جدنا ايها نحن قبب العاليه ما في حدا يهدنا  
 ٥ نحن اسود الكاسره ما حدا يردنا ٥ نحن الشيخ الحاكمه ما في حدا قدنا  
 ايها شيخ فلان هالبلاد بلادك ايها انت السمرمر والعدو جرادك  
 ناديت لك يا شيخ الله ينصرك ٥ يا سبع حامي سهلك وبلادك

واذا كان من المختير المشايخ تقول له المزغردة :

ايها شيخ فلان جاك الحكم من استنبول ايها مع (قبه جي) ترك مصرور في ورق مصقول  
 والي بتدعي على عسكريك مكسور ٥ تقدر صباها ولا يرحم لها مقبور

واذا كان من مشايخ المسيحيين تقول له :

ايها شيخ فلان ويا شيخ النصره ايها قبضة سيوفهم فضه كساره  
 صيغ سيوفهم وانعم عليهم ٥ هما مكسبك ما هم خساره

ايها شيخ فلان يا سياجنا ايها يا ناصب الميزان يا حقاني  
 " في غيابكم تبقى البلاد مخيفة " في حضوركم تبقى البلاد بامان  
 واذا كان من موظفي الحكومة فتقول له :

ايها فلان يا سبع الرايا ايها دخلت الشام وملت الصبايا  
 " سيفك هالطويل الله يديعه " على رقاب العدا يهري المنيا  
 واذا كان من اولاد المشايخ الشباب فتقول :

ايها فلان واخوه ايها يا لولو لضوء  
 " ويا تمر عراقي " ومن بغداد جلبوه

واذا كان من الوجوه والاعيان تقول :

ايها لمن هالباب الكبير العالي ايها لابر فلان دباح الحيال  
 " انت الذي فضلك علينا كلنا " من يوم كنا بالقماط صغار

وهكذا يغنين لكل من الشيوخ او الشبان او الحكام ما يليق به وما يعرفونه  
 من هذه الاغاني . فنها مديح ومنها فخر ومنها حماسة وتعديد مناقب صحيحة او  
 غير صحيحة، اكنها مجاملات يتبادلونها في مثل هذه الاوقات . فهذا سبع السرايا  
 او سبع القاب، وذاك خيال الزرقا، او الحره، وفلان سيفه ورمحه مشرعان، والآخر  
 كرمه معروف وسفرته ممدودة ومنسفه كبير . فيدخل الرجل طروباً مترنحاً معتقداً  
 بصحة ما قالت النساء عنه . فيقول لمن : " يسلم تتكم ( اي يسلم فكم ) .  
 عقبال فرحة اولادكم والعزبان عندكم " . ثم تدخل الغرفة التي يأكل فيها الرجال  
 ثلاث نساء ويأخذن يغنين لهم من الاغاني المختصة بهذا الوقت، وهي ترحيب وتشجيع  
 على الاكل واظهار لكرم صاحب العرس، كالأغاني التالية :

ايها صحتين وصحّه	ايها وازبع عوافي مها
" واللي ماتقول لكم صحّه	" جوزها يدبجها لولوليش
ايها سفرتنا يا ام الشراشيبي	ايها كلما نقصتي زبيدي
شوباش يا سفرتنا	" ما عليك الا الاجاويد لولوليش

ويمزجن الفكاهة بالترحيب فيقلن :

ايها تقاتلت انا وحماتي      ايها ضربتني في الرقبه  
 " تقعدوا يا جماعه      " ولا تترقوا الزبديه لولوليش  
 ايها اهلا وسهلا      ايها وبعينكم هالكعلا  
 " ويا نخله طويله      " في باب داركم هالاعلى لولوليش

ويكون الطعام حيثخذ من البيض المقلي بالسمن . وقد صب عليه الكشك  
 المحبول بالما، وهو يشبه اللبن الحائر . ومن اليقطين المطبوخ باللحم المفروم والحصى  
 والبصل وحامض السمك . ومن الارز بالدبس والارز بالحليب والجن والزيتون .  
 يتوارد الرجال زرافات زرافات الى غرفة الطعام ياكلون مما بسط في وسطها على  
 « شراشف » ( سُط ) . واذا نفذ نوع من الطعام اسرع احد القائمين بالخدمة الى  
 تأمين حاجة الضيوف منه قائلاً : « هاتوا احمر » ، فيبادروه بالارز مطبوخاً بالدبس .  
 واذا نفذ القرع نادى قائلاً : « هاتوا حامض » . واذا نفذ الارز بالحليب هتف  
 قائلاً : « هاتوا ايض » . وهكذا الى ان يتغدى الجمهور كله . وفي هذه الاثناء  
 تكون الدبكات قائمة على قدم وساق . ويشترك فيها الرجال والنساء والشباب  
 والشابات، فرقاً تتبارى لتعزيز دبكتها او رقصتها او سحبتها

### مدفأة الضيوف

وبينما هم على ذلك يأتيهم من يخبرهم بأن اهل القرية الفلانية المدعون جاؤوا  
 الى العرس . فتعلو التراويد والزغاريد . ويخرج جميع من في الدار من رجال ونساء  
 لملاقاتهم الى خارج البلدة، بعراضاتهم وزقائهم، يحدون الحذاء الحماسي ويهزجون  
 بالترحيب ويطلقون البارود ويلعبون على الخيل حتى يلتقوا مع عراضة الضيوف  
 وزفتهم . فيرجعون بهم ويدعو كل من الرجال المستقبلين بعض الضيوف الى بيته .  
 ويأخذ منه عربوناً على ذلك منديلاً او عباءة لئلا يخلف في وعده ويستضيف سواه .  
 وينثنون ادراجهم الى البلدة كما جاؤوا منها الى ان يصلوا الى بيت العريس .  
 فيتركون الهدايا من السمن والحنطة وذبائح الغنم والماعز والخطب في بيت العريس،  
 ويذهب كل منهم مع الذي « استعرضه » اي دعاه ليحل ضيفاً في بيته وينام عنده



تخفيفاً عن بيت العريس . على ان طعام الجميع يكون من بيت العريس ظهراً ومساءً .  
وهكذا يستقبلون المدعوين من باقي القرى حتى يحين وقت جلب العروس من الحمام

### جلب العروس من الحمام

كان الشبان يؤلفون عراضة ويذهبون الى الحمام بعراضتهم هذه جلب العروس .  
وحينئذ تكتسب الخطيبة صفة العروس الحقيقية لانهم يلبسونها عندما تخرج من  
الحمام ازراً ايضاً ويجبرون وجهها بتنديل شفاف، وتمشي الى جانبيها نساء وامامهن  
الشبان بعراضتهم والبنات بزقتهن ، ويسيرون موكباً الى دار العروس . فيرجع  
الشبان الى دار العريس ، وتدخل النساء والبنات مع العروس الى داراهلها، فيدبكن  
وهن ينشدن الاغاني التي توافق الدبكة الهادية مثل :

قرلون كَمْ السالف لغيرها ما والف  
بدي حلو وبدي مُرّ وبدي حامض لفاني  
لما العشيده واجمعوا الخلان يا نار قلبي والهوى رماني  
يا اسمران الاسون ليش الجفا يا عيوني

وتعدّد واحدة منهنّ على كل اغنية ما تحفظه من نظم الادباء . واذا كانت  
من اللواتي ينظمن فننظم شيئاً قليلاً حتى يسترحن، ثم يغيرون الدبكة الى اخرى  
مستعجلة تدعو الى الوثب والنط والقفز والحركة السريعة فيغنين عليها هكذا :

يا أم الخطّة حطيتي بقلبي نار  
ايش كلنك يا زين لوح الميجنا  
ورد خد المحسنه من قلبه غير انا  
يا دوس عالبيدر يا شبيب يا مفندر  
حليوه وين كنت اليوم عيونك شرده للنوم

يسحبون فيغنون

يا شايل الصندوق من قاعته ردوا على الصندوق صناعته  
برهوم وايشلك عندنا حوران والنقره لنا

شايل السيف مع جوز الردائي  
حنا الحروب وتريد الحرويسه  
يا نجمة البراقه والقمر طل بساقه

وعند ذلك يتسلل بعض الشبان ذوي النفوذ الى ما بين النساء، هذا بحجة تفهة  
وذاك بعذر وام فيدبكون معهن خلصة ويرجعون الى بيت العريس . ويظلون على  
هذا المنوال حتى يتعشى رجال بيت العروس، وهم قلائل، فيكونون مثلاً عمها وخالها  
وابنائهم وبعض الانساب والاخصاء . فتتصرف النساء والبنات الى تناول عشاهن  
مع العروس ثم يدخلن واياها الى غرفة يؤلفون فيها « تعليلة » فيرقصن رقصاً عربياً،  
ازواجاً وافراداً، ينتظرن محبي بيت العريس بالحناء.

اما في بيت العريس فينصرف الشبان، بعضهم للدبكة والبعض الاخر للسحجة .  
ويأخذ المدعوون يتوافدون الى بيت العريس ليتناولوا طعام العشاء . فتقدم السُّطُط  
ويُيسط عليها الطعام . فيتقدم الرؤساء الروحانيون والضيوف والشيخ والوجهاء الى  
غرفة الطعام حيث تكون النساء مزغردات كما في اثناء الغداء . ثم يليهم الشبان والنساء  
والصبايا والاولاد . واخيراً يصرخ رجل من اهل العريس باعلى صوته قائلاً مرتين  
او ثلاثاً : « الذي باقي بلا عشاء ياهو يأتي للعشاء » . ثم يعود ويصرخ مرتين او  
اكثراً : « العيش يا جوعان » . وعندما يفرغ الرجال من تناول طعامهم يجلسون  
في غرفة خاصة بهم يشربون القهوة والدخان ويتجادبون اطراف الحديث ويتذاكرون  
في ارسال الحناء الى بيت العروس كالعادة، بينما الشبان يسترسلون في دبكاتهم  
ورقصاتهم الى ان يعلن ميعاد ارسال الحناء.

### اخذ الحناء

ولا يكاد يُعلن ذلك حتى يتجمع الشباب فرقاً، ينشدون التراويذ، وترغد  
النساء ويعطو الضوضاء . ويدخل شاب الى غرفة الرجال قائلاً : « الذي يخف عليه  
يتفضل لاخذ الحناء للعروس معنا » . فيذهب من يشاء من الرجال وتكون الحناء  
مجبولة موضوعة في وعاء من نحاس، مزينة بالشموع والاجاص الملصقي او الشتوي .  
فيسيرون، وقد حملت امامهم المشاعل والانوار، وفي مقدمتهم الضيوف ومشايخ البلد  
ووجهائهم ووراءهم الشباب بعراضاتهم يحدون ويهزجون . وتأقي النساء والبنات

بعدهم بزفتهم، بينما المشايخ يحافظون على الامن والسكينة خوفاً من وقوع حادث بين الشباب. وعند وصولهم بقرب دار العروس يخف اهلها، رجالاً ونساء، لاستقبال موكب الحناء بالزغاريد والاغاني والترحيب. فتدخل النساء غرفة خاصة بهن والرجال غرفة اخرى كبيرة مختصة بهن. وتدار القهوة والشاي، ويقدم للحضور التبغ والتبناك. اما النساء فيحطن بالعروس يغنين لها ويرقصن. وتجلس بقربها والدة العريس وعمته وخالته وتأخذ ام العريس منشدة :

يا كُنْتِي يا كُنْة الزينه	سبحان الله هَلِي وصلك لينا
حلفت ما لبستك الا حريرينا	من عند عمك ان كان الشبر بألفينا
ثم طلت من القصر ريحة ندها قايح	تشبه غزال الذي من مرقده رايح
امرق على الورد لآقي الورد لك لايح	ياصيت بيك ومثل العنبر الفايح
او اصابعك طوال والحنأ عليهم عال	يا اخت فلان يا لتسوي خزاين مال
وحياة بيتك وهالينشاف فيه الحال	يسوي لحكم القضاء وكل شي ييجوي مال
او يا عروسه ريتها مباركها حنأ	يا لبي سبيتي الحواري الساكنه الجنه
يا لبي سبيتي الحواري في بها حسنك	وجبين مثل البدر يا ناس جنننا
او نحنا بنات العرب ما نركب الا خيل	وسيوفنا مستقطه وكماننا للدليل
عدو بيك يدق بوابنا بالليل	نُرْمَل حريمه ندوسه في نعال الحيل
او يا عروسه ويا تفاح مليسي	انا جلبتك من ارض الشام على كيبي
ندراً عليّ وان جلست مجاليسي	لنقطك بالذهب ليفرغ الكيس
او بنت الاكابر ويا بنت الاجاويد	عا باب بيك الخدامين وعبيد
من شان عينك تراني اليوم فرحانه	وكرمال بيتك لحنك انا بايدي
او يا ما مشينا ورا الكحلله ومثينا	يا ما مشينا وذق النعل باجريننا
يا ما مشينا ورا بيك ويوعدنا	هذه الاكابر بيصبح وعدهم ديننا

وغير ذلك من الاغاني المختصة بوقت الحناء. وتظل نساء بيت العريس يغنين مقدار ساعة من الزمن، وهن جالسات الى جانبها، بينما باقي النساء والبنات يدبكن

بين الشباب في صحن الدار . وهذه ساعة يغتنمها الشبان والبنات فيدبكون معا  
مضين هكذا :

مكسب هالساعة مكسب واكسبوها يا شباب

حتى يستلم الرجال بدلات العريس وطقم الحمام مع قطعة من الصابون المطيب  
تقدمه العروس الى العريس ولقائف الحناء . ويرجع موكب بيت العريس كما جاء  
بعراضاته وزفاته الى البيت

### هنا العريس الكدابة

بعد وصول الموكب الى بيت العريس بقليل يجتمع الشبان حول العريس، حاملين  
الحناء المجلولة وشعوع العريس ومرودين، بينما النساء يزغردن . ويتقدمون مع العريس  
الى اوجه ضيف من الضيوف، مبالغة في اكرامه واعتباره . فيأخذ الضيف من  
الحناء بقدر الجوزة بين اصابعه، ويضعها في كف العريس ويطبّقها عليها ويلفها بمنديل  
لثاً سطحياً قائلاً : « الله يتمها على خير » . فيتحولون عنه الى الضيوف الباقين،  
فالى رجال البلد بحسب وجاهتهم، فالى الشبان ذوي المكانة بينهم او الذين هم من  
غير حيهم . وترى حينئذ جميع الذين في الغرفة فرقاً « يروّدون » وهذه حفلة  
الحناء « الكدابة »، اي الرمزية

وكانوا يعتبرون هذه المراسيم واجبة ضرورية جداً لا بد منها لارضاء الناس  
كلهم . لان الحناء الحقيقية تتأخر الى ما بعد حمام العريس . واذا اتفق ان يهملوا  
تقديم العريس بين يدي واحد من الحضور الوجهاء في البلد، فانه يخرج من العرس  
حالاً غاضباً ناقماً، ويضطر اهل العرس الى مرضاته . ففي الغد يذهب العريس  
مصطحباً معه وفداً من الوجهاء الى بيت الغاضب ليستعطف خاطره، ويرجعون به  
بعراضة فخمة جداً . ويعملون ذلك لتلا يشوب العرس شائبة . وهكذا في كل  
من مراسيم العرس

### حمام العريس

بعد برهة قليلة يرسل بيت العريس وفداً يدعو من يريد من رجال العروس  
للاستحمام مع العريس . ثم يأخذه الشباب في موكب حافل بالعروض والهدايا

الحامسي المشع بالافتخار والاهازيح الحربية المملوءة تهديداً ووعيداً كما سيأتي بيانه .  
وهي منقولة عن عربان البادية او عن جبل الدروز والبعض من نظمهم . فيبدأون  
هكذا :

سيروا على ما قدر الله	والصكاتبه وبك يصير
وان هون الله ندبحه	ونفتت طبول الوزير
يا نازلاً تل الكتيبة	يا شين قول لي وايش بلاك
خايف على روحك تروح	وحريتك تقعد بلاك
يا قاعدًا واثر عالق	والكون دشرتك وراك
يا ام الوحيد ابكي عليه	والموت ما شيم حدا
وان كان ما بكيتي عليه	لا بد ما تبكي غدا
يا شتر بيعوا خيلكم	جتكم شلافنا ورماح
ردوا اليارق عاليمين	وخذوا الاعادي بالصياح
يا راعي الشلف العريض	خدلك عمود وخلها
شلفاتنا دق المعجم	ومخضيه بدمها
من شافها ما قدر ينام	كل النهار يهها
يا حاضراً سوق المنايا	عيأ على اللي ما بيع
والعز بظهور السبايا	والعمر عند الله وديع
يا فيصل ربك ضيعوك	واسري على ضوالقمر
لو تمسلم باللي خدوك	لباسة الجوخ الحمر
يا حبه حنا ما درينا	والعذر يا عيون المها
حنا على الباشا غزينا	ومن اجلك عفتنا الحيا
يا ما حلي ركب الخيول	يا ما حلي هذب السهول
يا ما حلي لا ترحلوا	يا ما حلي جاكم نذير

لذلك كان يرافقهم المشايخ الى الحمام خوفاً من وقوع مشاجرة يؤذي اليها ما

يكون بين الشبان من ضائق واحقاد سابقة تتولد من اهازيجهم وحدائهم لايقاظها . وكثيراً ما كان يحدث من المشاجرات بالرغم مما يبذله المشايخ والرجال العقلاء من جهد لحفظ السكينة والسلام

ولا يكادون يدخلون الحمام حتى يتسابق الشبان الى غسل العريس وتنظيفه . ويقدم اوانئذ اولاد المشايخ والوجهاء البرتقال للعريس وللشبان ايضاً، تأييداً لزعامتهم واطهاراً لكرمهم وحنافتهم بالعريس . وحينما ينتهي الشبان من غسل العريس والاستحمام يحمل احد اولاد المشايخ الدف ويقف بمدخل الحمام . واول من يتقدم اليه العريس يضع له في الدف « زهراوي » او نصفه او رבעه بحسب حالته المادية . وكذلك الشبان، يضع كل منهم ما تسمح به نفسه من النقود الرائجة . فهذا يدفع قرشاً، وذاك نصفه، وذلك رבעه، حتى يدفع كل من اغتسل . ويكون ذلك مثل « نقوط » للحمام لا دخل له بالاجرة . لان العريس يكون مستأجراً للحمام « من باب » كما يقولون، لاستحمام العروس وموكبها والعريس وموكبه، بمقدار ريال او ريالين مجيدين نقداً، يقدم معها سريجتين او ثلاث من التبن للوقيد

ثم يرحلون الحمام بعراضاتهم الى الدار فيستقبلهم اهلها بالزغاريد والاهازيج، وحالاً تمد السُط وييسط عليها الطعام . فيأكلون ويستريحون قليلاً، ثم يعلنون حناء العريس الصحيحة

### حناء العريس الصحيحة

يجتمع الشباب وهم يرددون ويهزجون . وتأتي النساء مزغردات، تتقدمهن والدة العريس واخواته وعماته وخالاته واقرباؤه . فيأخذون يغنون له الاغاني المختصة بحناء العريس، مثل هذه :

يا عريساً ومد الكف وتحني      وحياة عميرك ولا تخرج حدا منا  
وحياة عميري وما يجرخ حدا منكم      ياسيف بيبي على رقاب العدى غنى

فعندما تذكر المغنية اسم ابيه ترغرد النساء جميعهن : لولولوليش

ويأخذ الشباب يرددون مع النساء ما يغنين به، والمغنية تكرر اللازمة وتقول بدلاً من « سيف بيبي » « سيف عمي » و « سيف خالي » و « سيف ابو فلان »

و« سيف الشيخ فلان» على رقاب العدا غنى. ثم يبدلون اللازمة بغيرها فتقول المغنية :

يا عرساً ويا دباح الحيالِ      وامرق بجنيك على وردٍ وريحانِ  
امرق بجنيك عا راس العين واسقيها      وان كان ما في علق بيك يكفيها

ويأخذ الشاب يرددون اللازمة كم في المرة الاولى، والمغنية تعدد الشطر الاخير وتقول «عمك يكفيها» و« خالك يكفيها» و« الشيخ فلان وابو فلان يكفيها» حتى يذكروا جميع الاقارب والاصحاب والوجهاء الغائبين والحاضرين . ثم يستبدلون اللازمة بهذه :

ايش هالكفوف اللي تليق لها الحنا      وايش هالعيون الغزال ما تستحي منا  
سن سيفك يا فلان واتكني      لا عاش عدوك ولا مال القريب منا  
ويذكرون اسماء الذين اشترنا اليهم من الاقارب والاصحاب والمحبين وغيرهم، حتى تتم حناء العريس

فيأخذ الشبان ايضاً الحناء. وحينئذ يُعرف الشبان الذين يكونون من شباب العريس وحاشيته . فالذي يتحنى منهم فهو من الحاشية ويسمونه « عزام » . والعزام هو الذي يترنن في صباح اليوم الثاني ويوكل اليه مع رفقائه امر دعوة الاهالي الى حضور حفلة الحلاقة والتليسة والغداء والعشاء. وجلب العروس . وعلى « العزامين » ايضاً ان يحافظوا على العريس مخافة ان يختطفه الذين لا يتحنون ولا يترننون . وهولاء يطلق عليهم اسم « البرشان » ( جمع ابرش ) . وهم لا يزالون يحاولون اختطافه في الفترة التي تمتد من انتهاء الحناء الى ان يلبس بدلة العرس، فيمتنع عنهم اختطافه ويتاح لهم ان يختطفوا عقاله فقط . فاذا تمكنوا من خطف العريس او عقاله لا يرجعونه الا مقابل ذبيحة او هدية او ما يقابل ثمن الذبيحة . ويظل هذا الامر متحاً لهم حتى يتم دخوله على عروسه . وكثيراً ما كانوا يتمسكون من اختطاف عقاله فيضطر شباب العريس الى اقتدائه بما ذكر . ولذلك يفرض على العزامين ان لا يفرقوا عريسهم بته وان يناموا حوله متلاصقين في تلك الليلة

### حناء العروس

بينما يكون العريس وشبابه في الحمام تهتم النساء والبنات بحناء العروس . فتجتمع البنات حولها ويأخذن يربطن اصابعها بخيطان من القطن، او يرسمن على يديها ورداً

و «عروقا» ورسوماً بديعةً يندوبُ الشع العلي، لكي يحثينها فوق هذه الرسوم .  
فإذا ازالوا عن يديها هذه الرسوم تظهر الحناء بديعة جداً . ويغنين لها الاغاني  
المختصة بجنائها كهذه :

اصابعك طوال والحناء عليهم عال يا اخت فلان يا لتسوي خراين مال  
وحياة بيك وهالينشاف فيه الحال يسوى لحكم القضا ولكل ما في رجال  
واذا كانت العروس سمراء تقول المغنية :

ما احلى السر لو وقفوا بباب الدار والنقش في كفك غنى بيوت شعار  
هاتوا اللبن والعسل لتقطع الاسعار حصة من العسل تسوى من اللبن قنطار  
ما قال السر نحن حسنا فينا سود الحواجب مع العينين يكفيننا  
نحن خواتك يا فلان غلينا يا تعس من باعنا يا سعد شارينا  
ما قال السر نحن الخوخ في عناقه يا ريقنا السكري يا سعد من داقه  
قولوا لجوز الشنعة يبرد خلاقه قولوا لجوز المليحة سبحان خلاقه  
قالت السر نحن خوخين بعود والشب اللي يرانا ما يحبه قعود  
وحياة ذاك النبي هل بالسما موجود والسر حلون لو كانوا عبيد وسود  
ما قال ابن لنتن ايش بك معاديني لانت من ثقلي ولائك من موازيني  
روح يا تتن يا بو الدخاخيني انا انا البن مشروب السلاطين

ويغنين لها من هذه الاغاني ومما يوافق المقام حتى تتم حناؤها . وتتجنى البنات  
كلهن والنساء والصبايا حتى اللواتي لم يبقَ فيهن شيء من الفتوة يتحنين ويحملن  
معهن حنأً لاولادهن الصغار . ولا يزلن على ذلك حتى آخر الليل . فتذهب النساء  
الى بيوتهن ويظل اكثر البنات حول العروس، وينمن معها في غرفة واحدة الى الصباح

### يوم الهوج والموج

في صباح اليوم التالي تذبح الذبائح على اصوات التراويد و « ضج » البارود  
والزغاريد . ويأتي شبان العريس بعد ما يتزينون ويلبسون احسن ما لديهم او  
يستعيرونه من اقربائهم واصحابهم . وكان المسيحيون في تلك الايام يعينون للاكليل



يوم الاحد . فبعد ما تُذبح الذبائح يأخذون العريس الى الكنيسة بلباسه الذي يختاره رثاً عتيقاً<sup>١</sup> ثم توافيه العروس بوكبها . وبعد القداس يعقد لها الكاهن الاكليل . ويرجع العريس الى بيته مع الشبان، والعروس الى بيتها مع البنات

### « الغزامين »

ينقسم شباب العريس فرقاً يسونها « غزّامين او غزّامة<sup>٢</sup> »، لدعوة اهل الحارات وجميع سكان البلدة الى الغداء، وحلاقة العريس واللباسه لباس العرس وجلب الفرسات، وتصويل الرز، والعشاء، وجلب العروس

### دعوة اهل الحارات

فعندما تدخل فرقة منهم احد البيوت تدعو اهله الى ما ذكر، فيقدم لهم اهل البيت شيئاً من الزبيب والجوز والتين والبرتقال والاجاص او غيره مما يوجد لديهم، فيمسي منها مع كل واحد من « الغزّامين » كمية غير يسيرة وفي هذه الاثناء يجلسون العريس على منصة عالية في صدر الغرفة . ويقف حوله اربعة او خمسة من الشبان حاملين السيوف والقامات والعصي يحافظون عليه . هذا و « التعليلة » قائمة والناس يتواردون ليهنئوا العريس بالحناء . وبعد « التعليلة » يعقد الشبان والرجال معاً في صحن الدار دبكة حافلة . فيجلس المشايخ والضيوف والوجهاء والاعيان في محل مرتفع « يتفرجون » على هذه الدبكة العامرة . ويقف القوّالون والادباء في وسط الحلقة، فيتبارون وينظمون الزجل بداهة<sup>٣</sup>، وكل منهم يقتخر بنفسه ونظمه ويأقي باحسن ما عنده من النظم

ومن لوازم هذه الدبكة الهدو والسكينة، لينمكن الحضور من سماع الادباء وتفهم اقوالهم والاصفاء الى براعتهم وفنهم . فتراهم يبدؤون بمديح الضيوف والمشايخ والوجهاء، ويأخذون في الاطّباب بكرم صاحب العرس والعريس وانداء الله بحفظهما وتهنئة العروسين وما شابه ذلك . ثم يشرعون في الاغاني الفكاهية

(١) كان العريس قبل مباشرته العرس يلبس اعتق ما عنده من الالبسة وهو يعني بذلك ان يظهر باللبسة العرس أكثر جمجة واناقة

(٢) نسبة الى العزبة، وهي في لغة العوام بمعنى الدعوة او الوليمة

والنكات، فيأرجح بعضهم بعضاً ويلقي احدهم على الآخر احجبي وانغزاً يسمونها



دبكة الشباب في قرية احفر في الفلمون

«على مرصود».

والناس يهرعون

الى حضور هذه

الدبكة النادرة

للتفرج وللمع

تلك الاقوال التي

لا يزالون يذكرون

بعضها حتى الآن.

فيقولون : قد

قال فلان كذا،

وقال فلان كذا،

واجابه فلان كذا

(١) مثال ذلك انهم يذكرون عن شاب كان من القوالين البارعين جداً، وكان قد ورث القول عن ابيه. فاتفق له ان اجتمع هو وابوه في دبكة واحدة. فأخذوا ينظان، وكانت اللازمة هكذا:

حول يا نجم الصادي حول وان كان نك راده (اي ارادة)

هوى الاسمر حني وسكنى مير ملادي

فقال الشاب متفتناً الى ابيه :

اعتري يا ارض اعترى حتى توف كيني وعزي

انا رضعتك من بري ومشيئت دادي دادي

وبعدما رد الناس اللازمة صرخ الوالد متفتناً الى القوم وقال :

هالآديب من اين حابوه يخرب بيت الي ربوه

جحا اكبر من ابوه وانا اصغر مولادي (اي من اولادي)

مسر الناس وابتهجوا . ويذكرون ايضاً عن اديب مشهور كان قد اصيب منذ خمسين سنة

ورجع في يده . فبعد ان عاج نفسه بما كان شاعراً من وصدت ونقدت عجايزية بسيطة بدون

حدوى، قصد الشام وتزل ضيفاً على شريكه في التجارة . وكان شريكه من ذوي المكانة وله

فيها صديقان طيبان يزوران كل صباح فيشربان القهوة والنارجيلة كن كانت العادة المأوفة بينهم،

وهما اندكتور ابراهيم . شاقه والدكتور تانيل ييك . فلما رأياه عسى هذه الحال اخذ الاثنان

بصباه بقدر ما كانا يعرفان . ومرت على ذلك برهة طوية، من ٥٠ الى ٥٥ يوماً، بدون ان

يرى العليل شيئاً من النجاح والتحسن . فجزن ويئس وترك الدار مساء يوم احد وذهب يفرج

وبعد هنيهة تعود فرق العزامين الى دار العريس . فيلاقيهم الادباء بالترحيب والمدح والتحميس، نظماً على اللازمة التي يكونون بادئين بها مثل :

يا دار مناك هالجود	قالت من ابا وجدود
دام الله عزك يا دار	كل شي لك يبقى موجود
او دهري وعري في خان	بعد ان كنت اقنص غزلان
بعت الباز وقلبي جاز	وعنت الضيعه والسكان
او وان كان زرعك ماحل	عليش تريد رواحل
خيتك ما خلاش مطرح	دايرها جرد وساحل
او يا صايد الاحجال	من صوت حيي جالي

عن نفسه في مكان يُدعى «الصوفانية»، حيث كان شبان القلمون اهل النبك ويبرود ودرعطيه وقاره ومعاولا يجتمعون ويقيمون دبكة في مساء الاحاد والاعياد . وكان يومئذ عيد الخضر فاخذ يدبك معهم، وقال :

لولا مشاقه وتنبل ييك	ما كان صار بايدي هيك
بدي اُحرق بوهاد وهاد	وبكره بكر على فنديك (١)

فردد الشباب اللازمة . واعادها وكررها مرتين او ثلاثاً وقال :

لولا تنبل ومشاقه	ما تعوقت هالعاقه
الحكمة بدھا لباقة	ما هي شغل تراب وكريك
ثم قال :	هلي يا دموعي وزيدي
حضر الاخضر يا سيدي	من اللي عطلوا ابدي
	تشفيني انا بين ايديك

واخذ بعداً عليها مثل هذه الاقوال حتى آخر الدبكة . وفي اليوم التالي او الذي بعده جاء الدكتوران كمعادتها صباحاً الى بيت مضيئه، وهما عالمان بما نظم وقال في حقها . واخذا يعاتبانه على ما جرى منه . فاجابها على الفور : اني قلت هكذا :

لولا هيك وهيك وهيك	ما كان صار بايدي هيك
انا داخل على مشاقه	وواقع على تنبل ييك

فضحكا وسراً من ظرفه ونكتته البديعية

وهكذا كانوا يقيمون الدبكات في الاعراس والافراح، واحياناً في الاعياد، وجميعهم بما وباتظاما ويتلذذون بسامعها وحضورها

(١) وهو الدكتور فنديك في بيروت

او	يا مددق الدرعان	كاس المزار اسقاني
او	يا راوي فضل وقيلس	تفصيلك ما ظن نجيس
	واللي قوله ما بيعجب	كيفما باع يبيع رخيص
او	هيهات دهري والزمان يعودا	لن عنات الوتر عالودا
	هيهات دهري والزمان يداني	لن عن وتار عالميدان
	ياحسرتي كيف قصر واميداني	ركبو المهازور كبوني العوده
مرصود	دهر العالم كله راح	كرمك صح لعصر الراح
بلا نقط	لولا صلح اولاد الكار	ما العالم للعامل راح
او	باب بيواب بيابين	بقفل بمفاتيح جداد
	باب بيواب بيابين	بعنتر عبس بشدادين
	بشدادين بعنتر عبس	بعبين بعنتر شداد
او	شربت البحر ونشفته	بحلف عين ما شفته
	ومشيت بارضه حافي	ولا بلبل روس شفا في
او	الخصر ييمرق من الدمليج	ما ييحمل ثقل الزنار
	يا رفاقي لن ييموج	اسرع من بابور النار
او	داري زمانك داري	الدنيا بدها مداريها
	لا بد الزمان يعود	المي تجري بمجارها
او	يا ريمة اللي باول الغزلان	ترعى النفل والعشب والريحان
او	بدي خد وبدي ند	وبدي ورد استنبولي

ومن غير هذه « اللزمات » . فيأخذ « الغزامين » يقدمون للادباء مما جمعه  
من البيوت . فيستمر الادباء على مديحهم تارة وتحسيسهم اخرى . واحياناً يخصصون  
اناساً منهم باسمائهم ويعددون مناقبهم ويتمنون لهم الخير، وان يحظى كل من  
الغزامين العزب بعروس تليق به . واذا كان متزوجاً « يطعمه الله صبي » . واذا  
كان له حماة غير متفق معها فيدعون لله بقصف عمرها . وهكذا تكون تمنياتهم

وادعيتهم كلها ضمن دائرة نظمهم الرّجلي بداهة، ليقدم لهم كل واحد شيئاً كما ذكرنا . والذي لا يعطيهم يقشّبونه ويهجونه ويصمونهم بتهم ما أنزل الله بها من سلطان، ويغلظون له القول ويسخرون منه كثيراً . وقل من يسلم من شرهم ما لم يعطيهم شيئاً مما معه . فيقولون للذي يعطيهم على هذه اللازمة :

يَالْ مَتْلِسْ يَالْ عَزَام	يَالْ قايس حالك بالخيّط
يَالْ مَتْلِسْ يَالْ عَزَام	ريته يسلم هالهندام
وين آل ما فت مكرم	ويصير لك في البلد صيت
تكون مكرم ومغزّز	وعن قريب بتجوز
وفي حياتك تتلذّذ	وتشع ترين وتمشط

واذا تردّد احد الغزّامين في العطاء او تمنع فيقولون له :

يَالْ مَتْلِسْ يَالْ عَزَام	تضربلك في هالهندام
وفلان بدّه حمام	درّبّه دغري على قليط <sup>١</sup>
فلان حمام بدّه	يجعله يلحق جدّه
عالفطيسه لهدّه	وياكل تشليخ وتميط

وهكذا حتى يأخذوا من جميع الغزّامين

### مهرقة العريس

وتدوم هذه الدبكة مقدار ساعتين او ثلاث، الى ان يحين اوان حلّقة العريس . فيرود الشباب، ويطلقون البارود، اعلاناً لحلّقة العريس، وترغرد النساء . ويرسلون وفداً الى بيت العروس يدعون البنات الى الحفلة . ويجلبون المناشف . فيجلسونه على كرسي او مقعد عالٍ اقاموه في فسحة الدار، وحوله الشباب والرجال والنساء ينقرون على الدف ويرقصون امامه . ويشرع الحلاق في حلق ذقنه . فيأتي والده مع والدته وهي « مززّة » ( متمنطقة ) فوق منديلها، وهذه عندهم علامة منتهى الفرح . فيرقصان امامه . ثم يرقص اخوته واخواته وعماته وخالاته وجميع

(١) قليط خر بدمشق تصب فيه مجاريرها القذرة وكل اوساخها

قربته وانسبته من رجل ونساء، كان ذلك فرض "واجب" عليهم او كأنه نذر ليس  
 هم منصوص من وقائمه . ولا يزالون الى الان، عندما يسقي شاب رجلاً او امرأة  
 يقول له الشارب : « ان شاء الله اسقيك وانت مصمود »، او « وانت تحلق »، او  
 « ارقص في يوم عرسك »

ثم يرثي وفد من بنات اهل العروس يزغردون للعريس ويعنين له مثل هذه الاغاني :

يا عريساً تحت في الجوز حلقوسك      واولاد عمك على الشهيد يشدوا لك  
 بسوك فزوة السمور على طونك      من عند بيتك وما راحوا استعاروا لك

وبعض الحلاق يخلق له تزغرد البنات والنساء ويرمين عليه الجوز والزبيب والتين  
 ورقضمة، واحياناً الملابس . والشباب كذلك يتبارون في رشق البرتقال على الجمهور  
 اكترهم، للعريس

فل هذا الى اواخر القرن الغابر . فابدلوه بما يلي : يأتي الشاب حاملاً عشرين  
 او ثلاثين برتقالة، او منديلاً مملواً من الملابس وفستق العيد والبنق والقضامة  
 الملبسة وما يشبه ذلك من

النقل . فيفرغه على « صدر »  
 اي طبق نحاسي كبير موضوع  
 داخل الحلقة لهذه الغاية .  
 ونأتي النساء كذلك ويضعن  
 ما يجمان من « النقل » او



دبكة صيرة نسبين



دبكة نساء  
 في حر بلس

« النقولات » عليه . واخيراً يوزعون ما أُجمع على الحضور . ويظل البنات والنساء والشباب يرقصون بالسيوف امام العريس حتى ينتهي الحلاق من عمله . فيعطونه اجرته ويتحفونه بطاقيّة من طواقي العريس « اكرامية » له

### جلب الفرشات

بعد ذلك يذهب الرجال والشبان بعراضاتهم والنساء بزقتهن الى بيت العروس . فتقدّم لهم القهوة والشاي والاكرام . وبعدما يجلسون قليلاً يستلمون الفرشات ويحتفلونها على ظهور الجمل او البغال المزينة بالاجراس والبنود و « الطرر » المشكلة، ويرجعون بها الى بيت العريس كما جاؤوا . ويكون اهل العريس قد هياؤا الغداء، فيدخل الناس الى غرفة الطعام ويتناولونه كما وصفنا قبلاً . ثم يرجعون الى الدبكة او الى السحجة والتعليقة، والرجال المتقدمون في السن يعودون الى غرفتهم ليشربوا القهوة والدخان حتى ينتهي جميع من في العرس من تناول الطعام، فيعلنون حلول ميعاد لباس العريس ويعتنون المحل المدة لالباسه : في بيت عمه او خاله او احد اقاربه الوجهاء المثريين وذوي المكانة الرفيعة بينهم

### اللباس العريس

ياخذون العريس بعراضة فخمة و « زفة » عامرة الى المحل المعين . فيستقبلهم اهله رجالاً ونساء بالترحيب والزغاريد . ويجلس الرجال في غرفة من الدار يشربون القهوة والشاي، ويدخل العريس الى غرفة ثانية مع بضعة شبان من اصحابه الاخصاء . وبعض النساء الكاملات للغناء اكراماً للعريس . فيلبسونه بدلة العرس على صوت التراويد والزغاريد . وهي سروال من الجوخ الكحلي او الازرق ذو تكة حريرية حمراء او خضراء ذات « طرر » مطرزة بالخيوط الفضية والذهبية، وصدرية مخرّجة بالحريز، وعليها « زرد » من الفضة معلقة به ازرار من الفضة المزركشة بحجم حبة البندق، و « كبران » من الجوخ، وكبود مفتك، وكوفيّة حريرية، وعقال على رأسه ويزنونه بشالة عجمية او بزناز حريري . ويلبسونه الاجربة العجمية . ويضعون في

زئاره خنجرأ<sup>١</sup> . واهيانأ كانوا يلبسونه طربوشأ مغربأ ذا طرة غليظة زرقا . يلقون فوقه شملة حريرية مقصبة ويلبسونه جزمة حمراء ذات طرة زرقا . او صرماية حمراء .

### نصوب الارز

ثم يركبونه فرسأ . ويقف شبان العريس حوله والى جانبيه حاملين السيوف والقامات يحافظون عليه، والمراضات والزفات قائمة امامه ووراءه، وصوت البارود يدوي فيملأ الفضاء، والخيالة تلمب بالرماح والسيوف على ظهور خيلها، والنساء يزغردن سائرات ويسحجن وراءهم

وبعضهن يحمل اطباق الارز على رؤوسهن الى النهر الجاري خارج البلدة بجانب الغفري . فيشرعن في تصويله اي غسيله، بينما اخیالة يلعبون بالجريد وحملة البواريد ينصبون هدفاً يسمونه « نيشان » ويتبارون في اصابته بالرصاص على بعد مئة متر . والشبان يدبكون والبنات يسحجن متعاقبات . فتى تم تصويل الارز يأخذ اخیالة حظهم من لعب الخيل والجريد، والبواردية من اصابة النيشان . ثم يعودون ادراجهم ويطوفون في شوارع البلدة كما جازوا . فتلقي عليهم النساء من النوافذ والسطوح القضاة والزييب الخ فيصلون الى دار العريس قبل الغياب، فيواصلون هناك الدبكة والسحجة والرقص . ويكون اهل بيت العروس قد شرعوا في تزئين العروس وتجميلها على النحو الآتي :

### تزئين العروس وتجميلها

للتجميل والتزئين نساء معروفات في البلدة تُسمى الواحدة منهن مُعدلة، ويسمون التجميل تعديلاً . فيدعون مزينة أو اثنتين فتأخذان العروس الى دار قريبة من دار اهلها، ومعهما من صويجباتها ثلاث او اربع حاملات جميع ما يلزم

(١) هذه البدلة كان يحصل عليها الرجل مرة واحدة في حياته، ويطول عمرها كثيراً حتى تبقى محفوظة لايام شيخوخته، ولا يلبسها الشاب الا مدة عرسه وفي ايام الاعراس وبعض ايام اخرى تدعو اليها الضرورة . واما الاجربة فكانت غير معروفة عند الكثيرين منهم . وقد سمعت من شاب في الثلاثين من عمره انه سمع من جده انه لم يلبس الاجربة بجماته الا مرة واحدة، يوم عرسه فقط



من ادوات الزينة والبهجة والتبرج والتجميل المألوف في ذلك الوقت . ويأخذون فوق الحاجة من الحلى و«المصاغ» النسائي من عند اهل العروس ومن البنات الموجودات في العرس، لان ذلك مباح لهن فلا يمانع فيه احد

فيظللن وجهها بالابيض (الاسيداج)، وخديها وذقنها وشفتيها بالاحمر، بمقدار زائد عن المألوف . ويضعن قطعاً مستديرة من الورق المقضب في منتصف الاحمر، وينقطن نقطاً سوداء حول هذه القطع المقصبة . ويضعن من هذه النقط السوداء ايضاً صفّاً او صفين متحاذيين ممّا بين الحاجبين الى آخر الجبين الاعلى . ويرششن على وجهها من مسحوق ذهبي لماع برّاق يسمونه « بهرجان » . ويعصن اعلى جبينها بعصبة بيضاء، علقت بها رباعي ذهبية صفّاً على عرض الجبين . وفوقها شملة حريرية مقصبة سوداء او خمرية اللون، مناط في وسطها « الناطور »، فتغطي هذه العصبة



البيضاء. ما عدا «كناراً» منها رفيعاً علّق فيه الرباعي. ويلبسنها الحلق المشنل بالفوازي مرفوعاً الى الرأس بسلسلة، كما ذكرنا. ويلبسنها القراني الذهبية والكردان والصنوبرة، ويضعن

عروسان وحولها اترابها في اخفر

على رأسها اكليلاً من الورود الصناعية، وفي وسطه ريشة او ريشتان من الريش المخصوص بالعرايس . وفي اواخر القرن الفابر عُرف عند الاهالي « الشكّل »، فصاروا يلبسون العروس شكلين او ثلاثة، ويلبسونها الاساور في يديها والخلخال في رجليها، والحزام في انفها، وعدة خواتم في يديها، وزناراً او زنارين من الفضة . ويميئنها « للصمدة » اي الجلوة . وتذهب النساء والبنات لتناول العشاء ويرجعن وكلهن شوق الى جلوة العروس

جلوة العروس

تجلس النساء العروس على صندوق مرتفع عالٍ في صدر اكبر غرفة من دار  
ابيهما، او من دار احد جيرانهم اذا كانت دار ابيهما صغيرة . ويقف عن جانبيهما  
بنتان تسميان « اشينات »، تحمل كل واحدة منهن شمعة طويلة تضيء على وجه  
العروس . وتأخذ النساء يغنين لها الاغاني المختصة بالجلوة كما يأتي :

ايها جلستك يا عروسه جلسة البنات والنقش في كفك زققتله غنى  
« حظ القدم عاقدتم ما سمعت له رنه ياريت بطن الحملك مسكنه الجنة

لولو لوليش ( وتعاد بعد كل من الادوار التالية )

ايها نحن البنات نحن فلفل الغالي مكتوب عاجبيننا ما ناخذ نذال  
« ما ناخذ الا الشجاع صاحب الناموس والنذل ما ناخذه لو زادنا مال  
ايها يا عريساً ولا تندم على المال حواجب عروستك كأنها هلال  
« حواجب عروستك قوسين محنيته تسوى اهل حارتك نسوان ورجال  
ايها بيضه وحمرا وتفطر حب رمان والنقش في كفك ارنب وغزلان  
« وحياة بيك لا تشري بفنجان الا بكاس الذهب منقوش سلطاني  
ايها نحن البنات ما هو نقدنا هين ما نلبس الا الحرير الاطلس اللين  
« نحن لما نلبس ونترين نخلي شيب العزب يرهن ويتدين  
ايها يا ما مشينا ورا الكحلا ومشينا يا ما مشينا ودق النعل برجلينا  
« يا ما مشينا ورا بيك ويوعدا وعد الاكابر يبصبح عندهم دينا

من هنا يبدأ بالغناء على المردود . وكلما ذكر احد من اقرباء العروس  
ترغرد النساء .

الله يحيي بلاد الربتك يا زين شوف كيف درماك الهوى من بلادكم لاوين  
ان كان مررت على بيك ويا عروس ويقول بالله أقعديلك عندنا يومين

يا عروسه ما احلى معانيك  
انت اصيله وكل الدس شهداك  
شعرك طويل احب النوم في ظله  
راح ابوك الى الباشا وبين له  
تدلت ويا بنت الدلال  
تدلت واخذت مثل بيك  
جلستك يا عروسة جلسة الستات  
ناساً يقولوا قتل ناساً يقولوا مات  
يا لواقفه عاجلي والسيف يجليك  
وسالت رب السما يحفظ لنا ابيك  
يا تركمان على المنهل وكيف راحوا  
كرومال ابوك انا لصير فلاحه  
يا زارع الورد بالاحواض يا عايق  
يا بوعيون الشهل والمبسم الشايق  
انت ذهب خاص جنس العيب ما فيك  
يا جنة الخلد نال الخطي فيك  
احلف بين الشتا والصيف ما حله  
شعرة من البيض تسوى عسكرك كله  
تدلت وما اخذت ندال  
ويا لولو مع المرجان غالي  
يا يوسف الحسن إله (له) في خدك غمزات  
وناساً يقولوا قطع جسر الحديد وقات  
سالت رب السما العالي يهنيك  
ينصر رجاله على قوم تعاديك  
ترعى المراعي وعند السر ما باحوا  
والحق ضعون الاصيل وين ما راحوا  
لمن زرعت على خدك طلع رايق  
فيقتني عاجله ما كنت انا فايق

وتأخذ معظم نساء البلدة يتواردن زرافات زرافات لرؤيسة العروس والتمتع  
بنظرتها، كأن هذا الامر واجب مقدس لا يجوز ان تحرم منه واحدة من النساء  
كبيرة كانت ام صغيرة . وعلى كل منهن ان تقوم به ولو تجشمت في سبيله كثير  
من التعب والعناء . ولا يخشين في ذلك لومة لائم . فترى المرأة، ولها من العمر  
ما يزيد عن الستين سنة والسبعين ايضاً ، حاملة بإحدى يديها عكازها وبالثانية  
فانوسها، حانية ظهرها آتية من شرقي البلد الى غربيها، واحياناً كثيرة تحت المطر  
والثلج، لكي تقوم بهذا الامر المقدس . وخوفاً من ان يفوتها هذا المنظر او  
« الفرجة » كما يسمونها، تدخل الواحدة مع رفيقاتها، واذا كان بينهن من يحسز  
الفناء فتزاحم الناس حتى تصل الى قرب العروس، فتغني لها هكذا :

يا سمكة البحر امشي وتقلي رجلك  
وان سألت عن الاكابر انظري اهلك  
امشي شويه وشويه لا يبان حجلك  
انت اصيله وكل الناس شهداك

يا ست فلانة ويا ام العيون السود يا بنت امير العرب يال ما لكيش وجود  
وان مررت على بيك ويا عروس ويقول يا مرجبا ها كل شي موجود  
وتأخذ تعدد : وان مررت على بيك، وعلى اخوك، وعلى عمك، وخالك،  
وفلان الخ وكلما ذكرت اسماً من هؤلاء ترغرد النساء الواقفات حولها . وهكذا  
يأتي غيرها وتغني لها ما تجود به قريحتها قائلة :

يا ورد يا ورد عالاغصان ميال ايش هالتر يا تلالي في سما العالي  
خصرك رقيق وشوفوا ما انسه الليل عاشان بيك وميلي يا ضنى حالي  
يا عروسة ويا نجمة وغراده اذا رحلتي ومن يضوي على الحاره  
وان مررت على بيك استعرضك واصبح جهازك على الدربين سياره  
وتأتي غيرها وتقول :

يا عروسة ويا جنة بتنعصر ويا صحن قشطة مرشوش فوقها سكر  
والي معي مال ياخذ مثلك واكثر وال ما معي مال عا حسنك بيتعصر  
شيلي رويسك ويا مرفوعة الراس لا عيب فيك ومهما قالت الناس  
شيلي رويسك الى بيك وقولي له نحن ذهب خاص واما غيرنا نحاس

ولا يمر على هذا قليل حتى تمتلي العرفة من النساء والبنات من اهل العروس  
والمتفرجات، الى درجة لا يكاد يصدقها العقل . فقد كان يكثر الازدحام في  
مثل هذه الليلة حتى يضيق معها جو العرفة بالهواء الضروري لتنفس تلك الجموع .  
فلاتلبث السرج والمصابيح التي يستديرون بها ان تنطفئ لقلة الاوكسجين الذي  
استهلكته مئات الصدور ائرافرة في هذه العرفة مهما كبرت . فاذا اقامت واحدة  
منهن مقدار دقيقتين داخل العرفة تخرج والعرق يتصبب منها بغزارة، لانك اذا  
دنوت الى بابها لا تجد فراغاً يسع واحدة، وترى البخار والروائح الكريهة خارجة  
كأنها من مدخنة

وكذلك في بيت العريس يتوارد الناس عند المساء للعشاء وللنقوط . فيقف



المناسف مملوءة بالارز وفوقه قطع اوجه  
مهيئة للزكلى ويرى الى جانبها صندوق  
مرصع لثياب العرس

رجلان بجانب باب غرفة الطعام، يحملان  
بيديهما صينية نحاسية كبيرة . فيتعشى  
الرجل ويدفع زهراونيا او نصفه ويخرج .  
وهكذا يفعل كل من في العرس حتى  
ينتهي العشاء . وكذلك يفعلون في  
بيت العروس . وهذا النقوط يأخذه  
ابو العريس . وكذلك نقوط بيت العروس  
لايتها . ويسمونه نقوط العرس . وكثيراً  
ما كان يبلغ نقوط بيت العريس الثلاثة  
والاربعة آلاف قرش

ثم يجتمع الشبان في غرفة العريس  
ويقومون بتعليق حافلة جداً . وعندما  
تبلغ الساعة الثالثة بعد الغروب يأخذ  
العريس شابين من اكثر رفقائه وفاء له

ويذهب خلصة الى بيت العروس حيث يراها من الباب وهي « مصمودة » واقفة  
على المنصة . ويقوم بواجب عليه وهو ان « يستكثر بخير » بيت حميه ويقبل رأس  
حماته ويشكرها، ويرجع ادراجها الى ما بين الشباب . حينئذ يعلنون جلب العروس .  
فتود الشباب وتزغرد النساء، ويتهايئون للذهاب

### جلب العروس

تتقدم العراضات وجهها القوم مع الضيوف والمشايع، والمشعل امامهم، الى بيت  
العروس . ويدخلون الى غرفة الرجال باهية وافتخار . وتدخل النساء الى غرفة  
العروس يغنين لها اغاني الجلوة . ويجلونها على السيف، فيضعون على حده شعوط  
عسلىة صغيرة، وتمسك بطرفيه الشديتان، وتأخذ نساء بيت العريس يغنين لها  
الاغاني الآتية على نغمها الخاص :

اهلك كبار وبسطهم ممدوده  
حتى تظلى ظهورن مشدوده

تمايلي بنت السخا والجود  
الله يديلك ابوك بظهر



## عراضة

وياخذن يكررن اسم يديم لنا اخوك، وعمك، وخالك، وفلان، وابو فلان، الخ  
والنساء تردد اللازمة وترغرد كلما ذكر اسم احد المذكورين . وتتحول المغنية الى  
غيرها فتقول :

يا عروسة بلبي المحطفي      دبلي عيونك ولا تعطي قفا  
وان مررت على ابوك يا عروس      يدبلك ميتين كبش معلقا

ويكررن ايضا وان مررت على اخوك، وعمك، وخالك الخ . ويتحولن الى  
غيرها . فتقول المغنية :

قلوا      اغنيته      اهلك      حديدية  
يا ورد ما حالك      قضاك      على      نيه  
يا مرحبا طلوا من الاردن      سود اللحي      وهرشمين الخيل  
يا مرحبا لو كان ابوك معهم      يشبه امير      بخدمته عبيد

ويفعلن كما سبق، وينقلن الى اغنية اخرى فتقول المغنية :

في نص هاخذه تربى غزيلي      واخذ احمر والعيون كجلي  
ما قلت لك بحياة بيك ميتي      انصف هالبستان ارعي وقلي  
ثم      كيف نجليك ويا علوغي      يا شعاع الشمس يا ضو القمر  
كيف اجليك وبنتك ما حضر      يواجه الحكام ويعطينا امر

واخيراً يقلن :

نخّ الجمل قومي انزلي يا نايفه      واخيل تعبت والمناصب واقفه

قالت ما بئزل ولا اعلى الجمل      حتى يجي بي كبير الطايفه

وتأخذ تعد : حتى يجي عمي، وخالي، وفلان كبير الطايفه

وتأخذ العروس في البكاء منذ ابتداء الجلوة . وبعض النساء يضربن الارض بأرجلهن ضرباً مضبوطاً يوافق هذا النغم . والبعض منهن يصقطن بأيديهن ويرددن اللازمة . والعروس تتأيل كالغصن وهنّ يعددن مناقبها ومناقب اهلها من كرم وجاه وغر قائلات :

يا واقفة بالجلي والسيف يجليكَ      سألت رب السما العالي يهنيكَ  
وسألت رب السما يحفظ لنا بيك      وينصر رجاله على قوم تعاديكَ

خصرك رقيق تلوّني يا عريق الآس      والعين سوده طويلة والشعر بسباس  
وان كان مودت على بيك استعرضك      ويقول هذا غزالي عاد لي يا ناس

يا زهر يا زهر فوق النهر يا غالي      يا زهر عالي علينا والثلث غالي  
ما قال خيكَ ونحن سباع في غابه      نحن سباع وما نخشى سوى العالي<sup>١</sup>

خشف النظرته يا خشفه باول العان      والتم خاتم ذهب وشفاف مرجان  
وحياة خيكَ يا خشفه والتغزيته      لنصب لك بالفلا شادر وصيوان<sup>٢</sup>

حسنك ضناني ويا حسنا دخیل الله      ودخیل عيسى معه موسى كلم الله  
بالله يا ناس قولوا كلصكم قولوا      يا عنق حسنا انا حوطته بالله<sup>٣</sup>

ايش هالثر يا آل تلالي في سما عالي      شبه القمر لو اعتلى ابن ثن ليال  
يا خصر فلانه شوفوا ما انسبه للميل      عاشان بيك قيلي يا ضني حالي

ورده وورده وضمة ورد عاشفاك      يا طول جبل المرس شعرك على كتافك  
وأن مررتي على بيك ويا عروس      طقطق فناجين العجم حين الذي شافك<sup>٤</sup>

(١) هذا قيل لعروس اسمها زهره والناظم اخوها

(٢) وهذا قيل لعروس اسمها خشفه والناظم اخوها

(٣) وهذا لعروس اسمها حسنا والناظم واحد

(٤) وهذا نظمه المذكور اعلاه لابنة خاله واسمها ورده

ايش هالعروس بنت قوم الخيرين مشمره وتومي باليمين  
 قالت للضعون اضعن ليمي واهلي عالضيوف معودين  
 لا تبكي يا نور العين لا تبكي مانك غريبه ولا بيتك مغربك  
 انا لضمك لصدري وانتجب وابكي واقول فرقة بنيتي يا ما اصعبك

واذا كان للعروس اخ شماس فيقولون لها :

يا عروسه ويا اخت الشاميس والدير يرهج وتندق النواقيس  
 والدير يرهج الى خيتك وفوتاته وان شا الله بعد مدّة يصير قسيس

هذا والشباب يدبكون في صحن الدار ويسحجون، والرجال يشربون القهوة والشاي ويدخنون التبغ والتبناك . وبعد ما يرتاحون قليلاً يطرحون امر اخذ العروس على بساط البحث، ويأخذون في الفكاهة والمزاح . فيضعون امام اهل العريس العراقيل والمعجزات . ويشترطون عليهم شروطاً شديدة ما اتزل الله بها من سلطان . ويطلبون منهم اعمالاً غير ممكنة كما في يوم الخطبة حتى يخرجوا موقوفهم . فيبعث الله لهم من يحل هذا المشكل بطريقة وهمية او بوعدها، فيسمح لهم بالعروس . فيطلبون من والدها تنزيلها عن عرشها المزعوم . فيككل الامر الى اخيها الاكبر او عمها، فينزلها هذا وهي تبكي . وهنا يعترض « الحواط » اي خادم البلدة الواقف في باب الغرفة منعاً لدخول احد الشبان اليها . فلا يدهمهم يخرجون بالعروس حتى يعطوه حقه . فيأتي واحد من قبل بيت العريس وينقذه زهراوي او اثنين . ويأتون بها الى الغرفة حيث ابوها مع الرجال فتودعه مقبلة يديه، وايدي والدتها واخوتها وأخواتها، وايدي اعمامها واخوالها، وهي تنتحب لفراقهم . واخيراً يلبسونها الازار ويركبونها متن فرس مطهمة . ويضعون عليها فوق الازار عباءة سعدونية او فروة « بكديّة »، خوفاً عليها من البرد والهواء، لانها خارجة من تلك الغرفة المزدحمة حيث تبلغ درجة الحرارة حداً عالياً جداً، بعد ما أقام فيها هذا الحشد على الحالة التي ذكرنا نحو ثلاث او اربع ساعات، والنساء حولها كالبنيان المرصوص، لا يقل عددهن عن المئتي نسمة او اكثر. ويضع







حفلة عرس لأحد وجهاء المسيحيين في قرية

والشباب سلاحهم، والبنات يدسكن على دق الطبول منذ ١٥ سنة

وتدخل ويدخل العريس ورائها مع موكبه . ويتزاونها عن الفرس فتأتي والددة العريس  
ومعها أربعة أو خمسة أرغفة من الخبز وتفتتها فوق رأس العروس وترميها بالفتات . ثم  
يعطونهم قطعة أخرى من الخيرة فتلتصقها بقوس باب الغرفة المعدة لها . وهذا رمز الى  
اختيار العروس في بيت حميها . ويدخلونها الى الغرفة وظهرها الى الباب ثمضي القهقري،  
يكون دخولها على قفاها رمزا الى انها لا تترك هذه الدار الا وهي على قفاها اي بالموت .  
ويدخل معها اثنتان من ذويها لاجل ارجاع الحلى المستعارة الى اصحابها وخلع البستها عنها  
ثم يدخلون العريس عليها ويتزكونها . وبعد برهة يخرج العريس الى اهله ويبدء  
منسبل ملوث بالدم . فيطلقون حاداً طلقاً نارياً في الفضاء، اشارة الى صيانة بكاردة  
العروس وشرفها وحصانتها وحافظتها على تلك الحوهرة الثمينة التي نكللها بالفخر  
والشرف والملكة السامية والحياة السعيدة في بيت حميها . واحياناً كانت حامتها  
تأخذ المنديل المذكور وترقص به . وينتهي الامر وينذهب كل الى بيته داعياً  
للعروسين بالهدوء والرفاهة والهنين

## يوم القاضي

وفي الغد الذي يلي « الدخلة » تأتي الى العروس واحدة او اثنتان من اهلها باكراً جداً فتعيد زينتها، وتصلح ما اختل من بياض وحمرة، وتلبسها الالبسة المصطلح عليها . ويصطحبها عريسها الى عند والديه . فيقبلان ايديهما . فيستقبلهما الوالدان ببشاشة وفرح ويباركان لهما ثم يجلسانها على مقعدين عاليين في صدر الغرفة . ويقوم حولهما شبان العريس حاملين السيوف يحافظون على العقال . ويتوارد الرجال والشبان ليقوموا بواجب المباركة، فتمتلئ الغرفة وتغص الدار بالناس . فترى بعضاً يرقصون وآخرين يدبكون وغيرهم يسبحون

و « التعليلة » في غرفة العروسين قائمة على قدم وساق . فيدخل الشخص اليها فيقف له العروسان . ويتقدم اليهما قائلاً للعريس « مباركك العروس »، وللعروس « مبارك بيتك » . فيجيبه العريس : « بارك الله فيك . عقبال فرحتك » . والعروس تحجل ويكللها الحيا . فلا تنبس بنت شفة بل تطرق بنظرها الى الارض وهي ساكنة . فيجلس المبارك بين الحضور يشاركونهم في التعليلة مصقفاً بيديه ينتظر دعوته للرقص

والشاب الذي يبارك للعروسين يسقط حقه من خطف العقال . والذي لا يتقدم من العروسين ولا يبارك لها يبقى حقه في خطف العقال محفوظاً الى مساء هذا النهار . انما على هذا الشاب، بعدما يدخل ويقف له العروسان ولا يبارك لهما، ان يشير اليهما بالجلوس للدلالة على انه لم يتنازل بعد عن حقه في خطف العقال . وهكذا حتى يأتي من يجبر الشباب بان فلاناً تبرع باهداء ذبيحة للعريس

## جلب الذبائح

فيهب اكثر الشباب وقسم من البنات في موكب حافل، بالهدايا واطلاق البارود والسحج والنط والقفر والهزج، الى بيت المتبرع، يتقدمهم فريق من الرجال الشيوخ . فتقدم لهم القهوة هناك . وبعد قليل يعودون بالذبيحة او بشئها الى بيت العريس شاكرين . وهذه الذبيحة تكون إما ديناً عليه لبيت العريس من زمن عرسه او عرس احد اولاده، او تكون سلفة جديدة ديناً له على المهدي اليه . ولا

يلبثون حتى يذهبوا الى بيت مهديّين وثالث ورابع الخ معيدين العمل نفسه ويظلون على هذا حتى الظهر

### غداً العروس

يرسل اهل العروس طعام الغداء للعروسين الى بيت العريس على طبق نحاسي كبير يسمونه « صدر »، تحمله امرأة على رأسها وعليه الطعام . وهو من اقراص الكبة المقلية بالسمن، ومن الكبة بالكشك، ومن عجة البيض، واللبن والدبس والزيتون والجبن والحلاوة الطحينية والارز بالحليب والبرتقال والعنب المحفوظ والاجاص وغيرها . فيوضع هذا الصدر على كرسي في غرفة العروسين . فيأكلان منه هما وبعض اخصانهما . ويمد اهل العريس سماًطاً في غرفة ثانية ، وعليه من مآكل العروس البائنة . فيتناول الحضور طعام الغداء ويعودون الى جلب الذبائح والتعليقة او الدبكة

### القاضي

وفي عصر النهار ينبري الشبان « البرشان » فيلبسون واحداً منهم البسة رثة مستجلبة للنظر ومدعاة للضحك، ويطلون وجهه بالطحين، ويضعون على رأسه لبادة غريبة الشكل يربطون في اعلاها ذنب هر او ثعلب كأنها تاج له، ويضعون بيده عصا في رأسها مكنسة عتيقة حاسيينها حولجاناً، ويشدون وسطه بمنطقة يتدلى منها عظم ساق جمل كأنه سيفه البتار، ويغرزون في زنازه عظماً آخر كأنه خنجر، ويجلسونه على سلم كأنها عرشه، ويضعون الى جانبه صحناً مملوءاً طحيناً، وبيده قصبة جوفاء مملوءة من هذا الطحين . ويتقف الى جانبه خمسة او ستة شبان تزّيوا بمثل زيّه، وقد طّلوا وجوههم بناعم الفحم وقاموا ينادون به قاضي عدل وحاكماً للبلد يتقاضى لديه اصحاب الحقوق فينصفهم

ويكون القوم قد تجمعوا هنالك بالملئات، وبينهم العروسان يتفرجان . فيأتي اليه احد البرشان بجداً عتيق يقدمه له لاصقاً نعله بوجه القاضي . فيأخذه هذا ويقرأ فيه بصوت عالٍ ضبط الدعوى المرفوعة على الشيخ فلان ( وهو موجود بين الناس ) بانه قطع الطريق وسطاً على النور وشلّهم واساء اليهم . فيهمج عليه

« الزبانية » المذكورون ويأتون به امام القاضي بعد ما يشعونه ضرباً ولكم . وبعد  
الاحذ والرد ينفخ القاضي ما في القصة على المدعى عليه ويحكم عليه بالحبس  
اسبوعاً كاملاً، وان يُجلد منة جلدة امام الحضور . فيأخذه الزبانية لتنفيذ الحكم  
فيه . فيأتي واحد منهم، وله دالة لدى القاضي، متوسلاً اليه ان يبدل حكم الضرب  
بالجزاء النقدي . فيغضب القاضي ويرغي ويؤبد في اول الامر، ويتمنع ويتردد  
بكبرياء . وصالف، بحركات غريبة مثيرة للضحك . ثم بعد الالاحاح في الرجاء وتقبيل  
الاذيال يسمح له بدفع غازي عن الضرب وريال عن الحبس . فيدفع هذا زهراوي  
او ربع مجيدي صاغراً شاكراً للقاضي عفوه عنه ورحمته اليه

ثم يتحولون الى غيره من الحضور، يحاكونهم ويفرضون عليهم الغرامات حتى  
يأتوا على آخرهم . واذا غاب احد من الوجهاء الموسرين ارسلوا اليه من يتولى جله  
بالقوة الى حضرة القاضي ليحاكمه بجرم ما اتزل الله به من سلطان . فيجلبونه او  
يأخذون منه غرامة ما تطيب بها نفوسهم . وكثيراً ما كان القاضي يتزل عن  
عرشه ويركض نحو العروسين بحركة غريبة ويقعد بجانب العروس ويمد يده الى يدها  
او الى ذقنها، ويطلب منها ان تترك عريسها وتلتحق به بحركات هزلية، ويقدم لها  
براهين مضحكة . فتهمج عليه صديقات العروس باللكم والضرب بالبوايج على  
رأسه وذقنه فيرجع هارباً منهن الى مقرة السابق . ويظلون على هذا الحال حتى  
المساء اذ يصبح لديهم مبلغ من المال يتناعون به خروفاً او خروفين وسمناً وأرزاً  
يعدون بها طعاماً يتناوله الشبان في الغد

ويكون اهل العريس قد اعدوا طعاماً من كروش وامعاء واكارع ورؤوس  
الذبائح التي ذُبجت للعرس، ومن الكبة ايضاً . فيتناول الحاضرون طعام العشاء .  
ثم يتحولون الى غرفة يجلسون في صدرها العروسين على منصتهما، وينثرون امامهما  
شمتين كبيرتين علاوة على ما في الغرفة من السرج العديدة . فيرقصون ويغنون حتى  
يأتي اهل العروس في موكب حافل يحمل جهاز العروس وفي مقدمة هذا الموكب  
ابو العروس وذووه واقرباؤه . فتخرج العروس الى باب الدار تحمل بيدها شمتة  
وتخف لاستقبالهم . ويدخلون معاً ويقومون سحجة في صحن الدار تفتسحها العروس  
نفسها، على ان تبقى الشمتة شاعلة بيدها حتى انتهاء السحجة . ثم يتلوها البنات  
والنساء وحاملات الجهاز يسبحن وهو على رؤوسهن . ويدخل الموكب بعد ذلك



شبان في عرس يدبكون على الزمر

الى الغرفة فيقيمون فيها « تعليلة » عامرة يرقصون ويطربون . ثم يكلفون العروسين فيرقصن معاً ويرجعن الى مكانهما . فتعلن حينئذ حفلة نقوط العروس المخصوص ببيت الذي هو ان تتصرف به كيف تشاء . وهي من انواع المساعدة للعريس والمجاملة للعروس . وكانت في ذلك الوقت فرطاً واجها مقدساً لا يجوز لاحد ان يهمله ، بل كان يحق للعريس ان يطالب به من كان مديوناً له بنقوط سابق . فيتقدم الحضور كل بهديته ، التي تصبح ديناً على العريس او وفاء لهدية سبق فهداها . لان هذا سلفة ووفاء .

### نقوط العروس

بعد انتهاء رقصة العروسين تقف امرأة تحسن اعلان النقوط في وسط الغرفة . فيعطيه امر العريس قطعة من الدراهم بحسب حالته المادية . فتأخذها بين احابها

(١) (نقوط كسبه مصطلح شيعي في هذه البلاد وهي الهدية التي يعدها الصديق والسبب وتغريب للعروس

وترفع يدها وتقول : « خلف الله عليك يا ابو العريس ويديك . وهذه ليرة عثمانية ( او نصف ليرة، او غازي، او ريال مجيدي ) نقوط للعروس محبة بلحية ابوها . »  
 فتزغرد النساء كلهن اكراماً للحية ايها . ثم تعيد : « خلف الله عليك الخ وهذا محبة بلحية عمها، وخالها، واقربائها فرداً فرداً » . والنساء يزغردن عند ذكر اسم كل واحد ممن جاء ذكرهم . ثم يعطيها قطعة ثانية من النقود ويقول لها : « هذه من والددة العريس » . فتصرخ كما فعلت سابقاً : « خلف الله عليك ويا ام العريس ويكثر خيرك الخ » . وهذا محبة بلحية او شوارب ابوها او اخوها او فلان الخ .  
 واذا كان ميتاً منذ زمن بعيد فتقول « محبة بلحية فلان في البلي » . ثم يأتي العريس، وبعده اخوته واخواته حتى الصغار منهم . وكلما ذكروا واحداً من الاقارب تزغرد النساء . واذا كان المنقط جميلاً مثلاً فتقول : « محبة بكل الجمالة، او بكل من قاد الجمل » . واذا كان فلاحاً قالت : « محبة بلحية كل من ساق الفدان وفلح » . واذا كان نجاراً او حداداً او شاباً فتقول : « محبة بكل الشباب » .  
 وهلم جراً حتى تأتي على جميع افراد عائلة العريس . ثم تبتدى بالي العروس، فيعطيهما عنه اولاً وعن افراد العائلة ايضاً، فتفعل كما فعلت لاي العريس وعائلته واكثر . ثم تاخذ من الحضور، الواحد تلو الآخر، مقدمة « نقوطهم » للعروس على النمط المتقدم ذكره . واخيراً يسلمون النقوط الى العروس فتحفظ به لنفسها بعد ما يكونون قد عرفوا قدره على وجه التقريب . ثم ينصرف القوم ما عدا الشبان الذين يلازمون العريس الى ابعد حد من الليل . ويقصدون بذلك منعه من اللحاق بعروسه، فيضايقونه ولا يكتنونه من النوم قبل ان يقدم لهم من النقولات والضيافة المختصة بهذه الليلة ويسمونها « الكخيلة » . فيأخذ الشبان يغنون وينشدون هكذا :

ما بدنا نروح الليله	حتى ناكل كُخَيْلَه
وان كان ما بطعمينا	حرام تنام الليله
وان كان ما بطعمينا	وتجيب حتى تكفينا
بيت العروس مسكراً	خليك معنا هالليله
خليك معنا نتسلى	وبعدين نعود نتحلى
والليل كله وكى	سهرتنا موش طويله

يا جماعه لا تنهروا	هلق ينده لامة
لا تحلوه يغور دُمه	ويصير مثل الهيله
هلق نجبي السهرية	وقضامه سكرية
من الجوز الفين وميه	ويمكن يجيب عديله
يجيب قضامه وزيب	في نظام وفي ترتيب
ما حدا منا غريب	كلنا من فرد عيله
وتأثوا يا جماعه	ليصير ربع ساعه
يقدملنا الطاعه	ما ضل بإيده حيله
ها اجت الصينه	معايه وممليه
قضامه ونجاص ورماني	وبعد منها تعليله

وبعد ما ينشدون كثيراً من هذه الايات ويحتسونه ويمزحون معه يأتي اهل العرس « بالسهرية » مما عندهم . فيأكلون وينصرفون الى بيوتهم ، داعين للعروسين بالهناء والصفاء . وبعد يومين او ثلاثة تأخذ العروس ترسل مقابل الهدايا، اي النقود الذي قدم لها، لكل انسان حسبما يليق به ويقابل هديته، مثل قميص وطاقيّة و« مصفنة » للدراهم وكيس للتبناك وما يشبه ذلك من اشغالها اليدوية

### الطباخ

بعد ذلك بثلاثة او اربعة ايام يبدأ الاقرباء والانساب بالطبخ في بيت العرس . فيبدأ عم العرس ويرسل الى بيت اخيه صباحاً اللحم والسمن والبرغل او الارز والخص والخبز وكل ما يلزم للطعام الذي يريد ان يطبخه . وتذهب نساؤه لياشرن الطبخ . ويرسل واحداً من قبله يدعو اقرباءه كلهم ومن اراد من اصحابه الى العشاء . في بيت العرس . فيأتون ويتعشون ويقسمون « التعليلة » . فيأتي الناس ايضاً كما كانوا يأتون في ايام العرس . وبعد يومين يفعل عم العرس الثاني كما فعل اخوه . وكذلك عمه الثالث والرابع، واخوانه ايضاً، واقرباؤه وانسابه . فيستغرق هذا الامر اياماً لا تقل عن الثلاثة اسابيع، واحياناً اربعة، وهم في الافراح والمسررات العيلية والمشاركة بين اهالي البلدة



## الولادة

يتمهي العرس وتم الافراح . وتم الايام والليالي وينصرف العريس لاشغاله . وتنصرف العروس ايضاً بكل قواها للامتزاج ببيت حميها وارضائهم بحسن ادارتها ونشاطها وطاعتها بهمة وغيرة، غير مبالية بتعب او ملل . فلا يمضي شهر او شهران حتى تشعر عروس الامس بما يدعوها الى الثاني والتودة، وتشعر ببعض الحمول في نشاطها فيأخذها القلق والارتباك وتتجاذبها الافكار . فتغضي بذلك الى والدتها، ثم الى حماتها . فيفرحن معاً ويفهمنها ما هي حالها ويأخذن في مداراتها وتنبيهها الى ما لا تعلمه بعد . واذا كان زوجها بكر والديه، وكان هؤلاء من المثزين الوجهاء، فيرفهونها ويصلّون ويحوظون حولها

ولا يلبثون حتى يشرعوا في اعداد ما يلزم لاستقبال طفل جديد، من البسة ولقائف وخلاف ذلك . فيصنعون من كل نوع من القمصان والسرراويل والقناييز واللمثات والعصبات ثلاثاً، ومن اللقائف والاقطة اثنتين، وخروفاً كثيرة وتكة من صوف نسج ايديهم يعلقون في وسطها خرزة زرقاء وقطعة من الشب وعود ميس وجوزة صغيرة وناب ذئب وقرون حية اذا كانوا من المسلمين، ويزيدون عليها صليلاً صغيراً اذا كانوا من المسيحيين . ويتوقعون ابتياع سرير خشبي بسيط

فتى انقضى الشهر التاسع وشعرت الحامل بالمخاض تستدعى القابلة وبعض نسيات اهل البيت . وفي اثناء الولادة يمتنع على الحامل الدخول الى غرفة الولادة لانهم يعتقدون ان الولد الآتي يقول : انني لا اتزل الا عندما يتزل اخي الذي هو في بطن امه امامي . وكذلك الطامث، فانهم يزعمون ان دخولها شؤم على الوالدة ويمتد ولادتها . ولا يكاد الطفل يبصر النور حتى تنبسط اساريه الحضور وتتطاول اعناقهن لمعرفة جنسه . ويلزم في ذلك الهدوء والتودة لكي لا تعلم الوالدة ذلك . وتكون القابلة قد امسكت بالمولود تنتظر صرخته الاولى . فان هو أبطاً نفخت على وجهه او هزّت رغيفاً أمامه فيتمش ويصرخ . حينئذ تأتي والدتها وحماتها فتقبلانها، وتنثيان على القابلة لتعرفا هل المولود ذكر ام انثى . وتعلمان الحضور بذلك بابتسامة اذا كان ذكراً، وبتقطيب الجبين اذا كانت انثى . ثم تعودان

لتأمين راحة الام المنهكة القوى . فتحملانها الى فراشها، وتعلمانها بمولودها، بينما تكون القابلة مهتمة بتدبير الطفل وتليجه وقطع سرته . وبعد ان تقطعها تربطها بخيط من القطن اللين الشخين . وقيل نحو الحضور متنبئة عليهم وتعلمهم ان المولود الذي سيأتي بعد هذا سيكون ذكراً او انثى . لانها تعتقد انها اذا شاهدت في مقطع السرة شيئاً مثل حبة الزيتون كان على زعمها ذكراً، واذا كان في مقطعها فقاعة كانت انثى . . . ثم تلوث اصبعها بالتراب فيعلق به غباراً ناعم، وتدخله في فم الطفل وتديره في حلقه وتقول : من التراب خلقتنا والى التراب نعود . ثم تأخذ من محلول الملح وتمسح به عينيه . ثم تبل اصبعها بالمحلول نفسه و « تحنكه » اي تلوث حلقه وتمس اللوزتين والغلصمة وتمسحها بشدة . ثم تأخذ الملح الناعم وترش منه على الطفل كله، وعلى الخصوص في بواطن المفاصل ومطوى اليدين والرجلين وورا. الاذنين . وتمنطقه فوق السرة بمنطقة رقيقة ناعمة . وتلبسه قميصاً وقنبازاً فضفاضين طويلين . ثم تضع ضمن كتلتين من القطن شيئاً من الكتون الناعم وتجعلها على عينيه وتمسحها . وتلبسه طاقية رقيقة وتلثمه . ثم تبسط على رجلها قاطاً يسمونه « لفوفة »، وتضع فوقه خروفاً تمد الطفل عليها، ثم تلفة بها لفافاً محكمًا . وتشد فوق هذه الاقطة تكة صوفية وتضعه بجانب والدته وتغطيه

ثم يبسطون للحضور في وسط الغرفة سفرة يسمونها « سفرة الخلاص » او « سفرة ستي نفيسه » فتأكل النساء . ويمنعون عن النفساء الماء القراح ثلاثة ايام، ما لم يكن الماء ساخناً فاتراً، ويقدمون لها بدله مغلي الياسون . وعندما تطلب الطعام يقدمون لها بيضاً مقلياً بالسمن قد رش عليه مسحوق الكسون، والبرغل او الارز المطبوخ بالدبس، فتأكل من هذا الطعام ثلاثة ايام

ومنذ ذاك الحين يحمل الطفل الى والدته كل مرة يُسمع فيها صوته، فترضعه هذه شيئاً فشيئاً حتى يتعود فيحسن الرضاعة . وعندما تخرج عذرتة للمرة الاولى يلفونها بخرقه ويضعونها تحت « صرور » الباب دففاً لكل ما يتأتى من الاضرار، من دخول الطوامث والحوامل على النفساء، وغير ذلك من المحذورات كما تزعم النساء ولا تزال القابلة تتردد على بيت النفساء صباحاً ومساءً في الايام التي تلي الولادة وتراقب حالتها وحالة مولودها، وتتابع اعمالها بتليجه وتمسيده بالزيت و « تأييسه » اي رش مسحوق الآس عليه، حتى ينقضي على ولادتها اربعون يوماً . فتؤخذ الوالدة

الى حمام الاربعين بجفلة « مطنطنة » وتصبح الوالدة بعد ذلك في مأمن من اخطار النفس

فيأخذ الناس في تلك الاثناء يتوافدون بكثرة لتقديم فروض المباركة. فتدخل المرأة وفي طرف منديلها ثماني بيضات، او حاملة على رأسها صينية نحاسية فيها اثنان وعشرون قرصاً من الكبة المقلية بالسمن، قائلة : « مبارك ما جاكم - تشوفوا على وجهه الخير . عقبال فرحته . والحمد لله اللي خلصت وقت » فتستقبلها الحماة بالترحيب والبشاشة وتجلسها بجانب فراش النفساء . وتأخذ المرأة بالتحويطات والبسملات . ولا تلبث ان ترفع الطفل بين يديها، وتنظر اليه مفرغة كل ما عندها من التحويطات، ثم ترجعه الى محله . وبعد هنيهة يقدمون لها الشاي الحلي، ويضعون امامها ثلاث او اربع صحاف نحاسية مملوءة من القضامة والزبيب والجوز والتين، فتأكل، واذا كان معها احد اولادها الصغار يملأون جيوبه بما في الصحاف

وفي اليوم التالي يعيدون الصينية التي جاء فيها « الغداء »، اي اقراص الكبة مملوءة مما يقدمونه ضيافةً للمباركين . وقد استبدلت الاقراص المذكورة في الآونة الاخيرة برطل من الارز الني.

ثم تأخذ الوالدة في تربية طفلها والسهر عليه واظهار كل ما في قلبها من الحنان والمحبة . فلا تراها الامكبة على سريره ترضعه من لبنها لا بل من روحها بلذة، وهي تحدي له هكذا :

يا حادي العيس مثل العين داريهم	يا حادي العيس خذ روحي وخليهم
كانوا سلاطين نزلوا عن كراسيهم	صاروا دراويش ربي ما قطع فيهم
يا حادي العيس سلم لي على جبالي	ومن اي دربر اجو لفتح لهم بابي
وان اجو من الغرب دولي اغز غيائي	وان اجو من الشرق يامية مرجبا فيهم
يا حادي العيس سلم لي على امي	هي حنونه وهي تسالك عني
يا جامع الشمل تجمعني انا وامي	لحكي لها قصتي واشكي لها هي
يا حادي العيس قول للغايين يلفوا	من يوم غيبتهم حالاتنا تلفوا
وحق من له نجوم الليل يختلفوا	يا غايين ارجعوا اماتكم تلفوا

يا حادي العيس سلم لي على الكانوا  
وان ابعدوا اصعبوا وان اقربوا هانوا  
يا هاكل المم والدنيا عليك ضاقت  
واقعد حد الماء واشرب كلما راقت  
نامت عيونك يا امي وعين الله ما نامت  
ايش هالقلوب اللكم قسيت وما لانت  
يا حادي العيس قول للوالدة تشقى  
او هذه الاغنية الاخرى :

لديجلك طير الحمام	نام يا امي نام
اضحك عا ابني لحتي ينام	لا تصدقوا يا حمامات انا
والصيف عاقل والشتا مجنون	نام يا امي لحديلك على الكمون
رزق الوليدات عند الله يكون مضمون	يا بو الوليدات لا تنام مغبون
ما ريدك اريد امي	يا جمال يا عمي
تخط البز في تتي	اريد امي تنيني
هات النوم بالعجله	يا جمال ابو الجملة
وهات الحسن للخدين	هات النوم للعنين
ارحل وروح من البلد	وللرمدان : يا رميد يا رمد
هم يداوون الرمد	ارحل وروح للعرب

وعندما يستيقظ طفلها تأتي اليه، وتحله من أقاطه، وتأخذه بين يديها، وتداعبه وتقبله، وهو بين يديها كالملاك، فتقول له :

تقبطني	تقبني
وتحل الشاش	تقبني
يا نور العين	تقبني
تقبني	تقبني
تقبني	تقبني
تقبني	تقبني

وتقول له ايضاً :

والكرم استوى عنبه      وتدلى      علاً غصان  
واحمرت      عناقيده      على لون الدم القاني  
استوى الاحمر والابيض      والزيبي      والحلواني  
استوى معه القاصوفي      والاحمر      الداراني  
استوى المشمش والتفاح      والتين      والرماني  
كله      عاشان ابني      هالزايد      المعاني  
يا ربي تطول عمره      وتبعث لي مثله ثماني

## الطهور

« الطهور »، اي الحتان، فرض ديني على المسلمين لا مناص منه . فمنهم من يطهر ولده صغيراً، ومنهم من يتركه حتى يبلغ السنة العاشرة والخامسة عشرة ايضاً يبدأون بهذه المهمة، اذا شاؤوا ان يفرحوا بطهور ولدهم، كما يبدأون بجمعة العرس تقريباً . فيدعو الوالد اقرباءه ويشاورهم في الامر . ومن ثم يدعو وجهاء البلدة ومشايخها للمشورة الكبيرة كما في ابتداء العرس . فيشترك الناس في حفلي حناء الولد والباسه وتزيينه بالورود والتأثم، وفي حفلة تطويقه في شوارع البلدة وهو على ظهر فرس مزينة، وامامه العراضات ولعب الخيل ووراءه الزفات من رجال ونساء حتى الفجري، والناس ترمي عليه القضاة والزيب وما يشبهها وترغرد وتهزج وتروّد له . وعند رجوعه الى داره يقيمون حفلة الحتان بالتراويد والزغاريد واطلاق البارود . وقد يطهر الرجل ولديه او اولاده كلهم في آن واحد . ثم تمد الاسمطة وعليها الطعام، فيتناول الحضور غداًهم، وهو ما يسمونه « الضيافة » بينا الشبان



قبيل الظهور

يذهبون والنساء والبنات بسحجن ويرقصن ويستسلن في جميع مظاهر الفرح .  
وتستغرق حفلات الاحتفال اياماً لا تقل عن الاسبوع . والناس يتواردون المباركة  
ولاقامة التعليلة

## العماد

كانت يفعل المسيحيون يوم عمده ولدهم اذا ارادوا ان يعملوه بهرح . انما  
يختصرون منه التطواف لان الولد يكون يومئذ طفلاً صغيراً . اما الخيافة والندق  
والرقص والدركة والتعليلة، فهذا لا بد منه . ونذكر في ما يلي وصف التعليلة  
مفصلاً

## التعليّة او الليلة الراقصة

يجمع الناس، رجالاً ونساء، شباباً وشابات، في غرفة كبيرة . ويجلس كل منهم في المركز الذي يليق بسنه ومقامه . فللضيوف والكهول ولمن يقارب الشيخ من الوجهاء بين الاهالي المحل الاول، وهو صدر الغرفة القريب من الموقدة . وللشباب المحل الثاني، وهو الجانب الذي يقابل الصدر . وللنساء جميعاً الجانب المتوسط، فتصح النساء بين الرجال والشباب . والجميع يجلسون صفوفاً بعضهم امام بعض ويجلسون الاديّب ( او الاديباء ) بين اقاربه، شاباً كان ام كهلاً، وييده دف او مزهر . وامام الاديّب الثاني يضعون « لكن » من النحاس سفله الى فوق، وييد الاديّب ملعقتان من خشب

فييداً الاديّب الاول ناقرأ على الدف بيده، والثاني على « اللكن » بالملعقتين . ويجعل الشبان يصفقون فيقول احد الاديباء :

اول بدوه فتوح الباب بسم الله بديننا نغني

وهذا التوقيع يسمونه « الدارج » اي المعتاد البسيط والمصطلح عليه في البلد . فيردد الحضور ما قال الاديّب وعلى النغم ذاته . ويقفز شاب من اهل العرس الى وسط الحلقة ويأخذ يرقص، والاديّب ينظم على النغم عينه والقافية ذاتها بيوتاً توافق المقام فيقول :

شدّوا وردّوا يا شباب ويا رفيقي عاوني

فيردد الشاب اللازمة الاولى . ويأخذ الاديباء، كل بدوره، ينظم بيتاً جديداً بدهاءة . فيقول الاديّب الثاني :

هلق بسم الله بديننا وتسلم يا افندينا

على الراس وعلى العينا كل ما تريده مني

(١) وهذا يستمرّونه عادة في اول العرس مع الطبل من مشايخ الطرق، لان الدفوف والطبول لا تكون الا عندهم، يستعملونها لاقامة الذكر والحفلات الدينية امام الساجق والاعلام عند اللزوم، وفي ايام الاعياد والمواسم عند المسلمين . فيرهنون عند صاحب الدف قطعة من الصحاف النحاسية او قضبتين . فاذا تمزق جلد المزهر او الطبل يأتون بجلد او جلدتين ما عدا الاجرة المتفق عليها

فيردد الشبب اللازمة ويصفقون . ويأخذ لاديب هذا التوقيع حتى يتقهي هذا من الرقص . فيتقدم حينئذ من « الشيخ » ي التحذر ويضرب له سلام



احد المسايح لباسه الايق

بيده على الطريقة التركية ثلاث مرات،  
ويمد يده اخيراً الى يد الشيخ ويشده  
بلطف دائم اياه الى الرقص . فيمتنع  
هذا قليلاً . فيطلب اليه الحضور بقولهم  
« تفضل » ويقسمون الاقسام، ويلحون  
عليه بالرجاء، فيتنازل ويتكبره ويتزل  
« للحوقة » اي الى الحلقة بتكلف،  
وينظم البسته ويرتبها مما طرأ عليها  
من الخلل . ولا يكاد يتزل حتى  
يصرخ جميع الشبان والرجال « هبسي  
نيزيه هي هي » وتصرخ فرقة من  
الشباب مرودة « كاه راس قطعنا »،  
وغيرهم « لا تركب الا تانية » وغيرهم  
حمود من الخيل ياهو «، وغيرهم  
« عينايت يا نقل العود » الخ . وكذلك  
النساء يزغردن . فهذه تقول « ايها،  
انا يا ناس ما عزتي بجل » . وغيرهم  
تقول : « ايها، نحن ونحن من سود

اللحي نحن »، وغير ذلك، حتى لا تعود نعلم . يقول ولا تسمع الا الخبايا والخوضاء،  
وكل هذا اكراما للشيخ واظهارا لخصته في قلوبهم وتعزيزا لكرامته . الى ان يأخذ  
الاديب يانقر النصف فيصفق الشبب . فيرقص الشيخ بكبريائه وعظمتاه متباهياً  
بصوره وحسن هندامه والبسته التي يتأز بها . عن غيره . فيقول الاديب :

يا شيخ انه معك يا شيل قنطاره

فيردده الشبب بنغمة ذاتها وهم يتفقدون بالتحديق فيأثرونه شكلاً . والجميع



يوافقون بتصفيتهم توقيع الدف . ثم يقول الاديب :

وان رحت خذني معك على ديوان المشورة

هذا تليحاً الى انه من الدين يؤخذ رأيهم، ولهم القدح المعلن في البلد، وكلمتهم لا تصير اثنتين . فيردد الشباب اللازمة، وتصرخ واحدة من النساء اللواتي يتون بقراءة الى الشيخ قائلة : « ايها نحن بني عم عصة ما بنفترق » او « نحن بني عم عصة والتجينا لك » . وغيرها تقول : « ايها شيخ فلان جاك الحكم من استنبول » . وغيرها تقول : « ايها شيخ فلان يا دباح الحيال »

ثم يقول الاديب الثاني :

يا شيخ بحياة اهلك وقايل على مهلك

كلنا نزعى في سهلك بعز ورخا وبجته

فيردد الشباب اللازمة، ويصفقون . ويتبارون في الاحتفاء بالشيخ . فيقول الاديب :

يا شيخ الله يزيدك والتفت لعبيدك

وقت اللي بتومي بيدك كل الناس محضره

فيجعل الشيخ يلتفت الى الادباء . ويلقي الابتسامات المعنوية التي تتضمن ما يستحقه كل واحد . وبعد قليل يتقدم الى وجهه من الضيوف، ولو كان كهلاً، ويدعوه باحترام الى الرقص فيقوم هذا مفتخراً بمن دعاه؛ وينزل « للحوقة » برصانة وتؤدة فتروود له الشباب وترغرد النساء، وتقوم ضجة جديدة اكراماً للضيف . يأخذ الاديب ينقر الدف، والشبان يعودون الى التصفيق الحاد فيمد الضيف يده نحو الرجال ويقول : « دستور » فيجيبونه « معك » . فيرقص الرجل على ما يقتضيه النغم والحال . ويصرخ الاديب :

اهلا وسهلا ومرحبتين علينا تحمل الابرار

فيردد الشباب اللازمة، ويعيدها الاديب ايضاً، وينظم عليها ابياتاً جديدة بداهة على النغم والمعنى الذي يناسب المقام واکرام الضيف . فيقول :

اهلا وسهلا ومرحبتين في الضيوف المحترمين

مهم عملنا مقصرين ساحنا وهات عفوك

كذلك النساء يزغردن للضيف ويضين له من الاغاني الموافقة للظروف، مثل :

ايها اهلا وسهلا يا ضيوفنا زرتونا      ايها واخضرت الدنيا وشرفتونا  
عقبال الافراح عندكم      بزوركم مثل ما زرتونا  
لولو لوليش

وهكذا حتى ينتهي الضيف من رقصته . فيتقدم الى رجل من امثال الشيخ  
واقترانه ويدعوه الى الرقص . فلا يتردد هذا اكراماً للضيف ولكي يقعده محله،  
ويتزل بدله للحوقة . فيعود الشباب والنساء الى التغيي بما يناسب مركز الراقص  
الجديد . وينقر الاديب الدف ويقول :

ما دامك عنا موجود      عصابتنا حد السيف  
فيردد الحضور ويصفقون . فيقول ايضاً :

يلبلك جوزين فرود      وقامه ورمح وعصاوسيف

فيعودون الى التصفيق والمبالغة في اكرام الراقص . والاديب يقول :

يلبلك جوزين فرود      يا ابن السخا يا ابن الجود  
لغنيك عل مردود      وتعيش في بسط وكيف

فيظهر الراقص شكره للاديب بقوله له « يسلم هالتم » . ثم يختم رقصته  
ويدعو غيره فيتزل . ويأخذ الاديب يعني لكل من الراقصين ما يوافق مكانته  
ومقامه وسنه . فاذا كان الراقص من ذوي الشهرة في « المراحل » او الفروسية،  
او ابن شيخ او وجيه، او ممتازاً بشبابه او بقوته وبجمال وجهه، فينظم له الاديب  
ما يناسبه . فاذا كان ابن شيخ او من اسرة عريقة في النسب والوجاهة فيقول له :

ابن الجيد بيطلع جيد      تبان منه الاشاره

فيردد الحضور اللازمة ويصفقون . وبعد ما يعيدها الاديب ويكررها يقول :

ابن الجيد بيطلع جيد      وابن الست بيطلع سيد  
ان شا الله عمرك يزيد      يا شيخ شباب الحاره

وبعد ما يكمل رقصته يدعو للرقص رجلاً من الكهول تكون امرأته موجودة  
بين النساء . فلا يكاد يتزل حتى يطلب الجمهور ان ترقص معه امرأته . فبعد ان

يتمنع كلاهما يقرّر الحضور وجوب ذلك ويرغونه على ان يسمح لها . فتتزل امرأته  
فتقوم ضجة وجلبة من التراويد والزغاريد و « الهبي نيره هي هي » . ويرقصان  
على الدارج . فيقول الاديب :

لو باين ذهب العتيق وين تروح الرباعي

فيردد الشباب والنساء اللازمة ويصفقون . ويكررها الاديب، وينظم عليها  
اياتاً كثيرة فيقول :

لو باين ذهب العتيق يا صديق ويا رفيق  
شي بليق وشي بشيق يا شيخ احمد يا رفاعي

فيرقصان، ويأخذان نصيبهما من الرقص . ويدعوان غيرهما من امثالهما، كل  
رجل ومعه امرأته، حتى يأتي الدور للشباب والصبايا . فيدعو الرجل شاباً، والامراة  
تدعو صبيةً . ويأخذ الاديب ينظم لها ما يليق بهما وما يوافق مركزهما . فاذا  
كان الشاب جملاً لابساً « كبودك عسل » يقول له :

كبودك كبودك عسل على حله يا دقة زنودك بالقنس كك

حينئذ يتحمس الشباب ويظهرون كل براعتهم وتفانيهم في التصفيق اكراماً  
للشاب واحتفاء بالصبية . ويقول الاديب :

كبودك كبودك يرحم جدودك حمرة خدودك يا عمري لظهري حلوا

فيردد الشباب اللازمة والاديب يعدّد عليها بيتين آخرين . ثم يبطل الاديب  
نقر الدف فجأة ويقول : « كُسر الدف » ويبعثه الى من هو قريب من موقد النار  
طالباً منه ان يحثيه على النار فتعود اليه رنته المطلوبة . فيقف الراقص والراقصة  
ايضاً . انما الراقص « يحوقل » متذمراً فيقول له الاديب : « كُسر الدف . عليك  
ان تجيره بصوتك الجليل » . فيصرخ الجميع : لا يُجبر الدف الا بيت عتابا .  
ويروّتون وترغرد النساء ايضاً . وبعد التمتع والتردد يجلس امام احد رفاقه او  
امام الاديب، فيصرخ الشباب « هبي نيره هي هي » فيبدأ الاديب بالميجنا قائلاً :

ميجنا يا ميجنا يا ميجنا ناخ الجمل قومي اركبي يا مزينه

فيردد الذين حوله هذه اللازمة . ثم يصرخ الشاب قائلاً :

حرام يزور لب العين ميال مدام الدهر عاقلورين ميال  
الي قلب عليهم مثل ميا القبيبي وكل عمره ما صفا  
فيصرخ الرجال استحساناً، والنساء يزغردن تحميساً للشباب، ويطلبون منه بيتاً ثانياً  
فيقول :

تحت زيق المنيل شفت درهم مثل ريم على المورد يدرهم  
تري تضي - بغير شموع دارهم متى بان الجبين من العصاب  
فيصرخ الرجال والشباب متهيجين، وتزغرد النساء، ويقول الجميع « كان، كان » .  
فيتملل الشاب ويتمنع قليلاً ويصرخ قائلاً :

انا يوبا الحبايب مالمتي رمتني بالمها لك ما لمتني  
ولو تدري مصابي ما لمتني ولو خطيتني بقولة يوبا

فيردد الشباب وتزغرد النساء، ويضرب الاديب الدف، ويقف هذا للرقص  
والصبية معه فيكملان رقصتها ويدعوان « للمهوقة » شاباً وخطيبته . فيهيج الشباب  
رفقاؤه ويبالعون في التصفيق متظاهرين باكرام الشاب والحفاوة بخطيبته . وكذلك  
الاديب يحول اغانيه الى التغزل بالراقصين والتشبيب بمحاسنها ويوجه تغزله الى  
الراقصات بدون ان يخشى على ذلك لومة لائم فيقول :

هالميله هدت حيلي يا نور العين فتح يا ورد الجوري على الحدين

فيردد الشباب اللازمة ويميدها الاديب ويكررها ثانياً وثالثاً ويقول :

هالميله هدت حيلي يا جميلي تهت وضع دليبي والدرب منين

فتهيج الشباب ويمضون في التصفيق . ويأخذ الشاب يرقص معتبطاً ويتمايل فخراً  
وتيهماً . وكذلك الفتاة تأخذ حصتها من الفنج المحشم والدلال العاري من التهتك .  
فترقص بجاء وتميل بجعل وانتظام فيزيدها هذا حسناً وجمالاً . ثم يدعوان غيرهما .  
وهكذا الى ان تنزل فتاة للرقص مع فتى مثلها لم يبلغ اشدّه بعد، فيبادرهما  
الاديب قائلاً :

طير حمامك طير يا عيني شوها لحشف الظفير لافي علي

فيصفق الشباب ويهللون ويكبرون . ثم يقول الاديب

طير حمام الوادي على بلادي	انا قصدي ومرادي تحنوا علي
طير حمام البري لا تنفري	دخلك من صوبي مري شوي شوي
طير حمام الديرة يا اميره	شوها الحشفه الصغيره جاني علي
طير حمام الحمري يا بعد عمري	حيرتني في امري ارققي بي
طير حمام وجاني يا سيرانى	تسوى اهلي وجيراني وامى وبى

وهكذا يتأدى الاديب بالتغزل حتى ياخذ قسطها . فيدعوان غيرهما فينزل  
شاب وصبيه طويلا القامة فيرقصان ويتايلان ويتقابلان ويتباريان بحسن الحركة  
والرقص . فيقول الاديب:

شي ما شالله ويخزي العين عن ميلتكم يالاثنين

فيردد الشباب هذه اللازمة، وهو يقول :

يخزي العين وما شالله	ومحوظين في الله
ياشيخ احمد شي لله	يارفاعي يا بو العلمين

وهكذا ينزل غيرهما، والاديب ينظم لكل واحد ما يناسب شكله وطوله .  
فان كانت الفتاة سمراء يقول لها :

على سمر اللون على سيرانى	والبارحة واليوم ماشفت خلاني
او اسمر يا حلو القامه عذبي هواك	حالف ما اهوى غيرك عهد الله جاك

واذا كانت ذات عينين سوداوين فيقول :

يا بوعيون السود والحاجب العالي	شربكتني بهواك ما كان على بالي
--------------------------------	-------------------------------

واذا كانت ذات عينين لوزيتين فيقول :

يا بوعيون اللوزية وحاجب مقرون	بيني وبينك عهد الله يخون اللي يخون
-------------------------------	------------------------------------

واذا كانت جميلة طويلا فيقول :

طولك طول الهندام يحرس هالطول	خدك لحم بلا عظامي لي يياكل
------------------------------	----------------------------

شايق عل الطول ولايق	يا ام الاحمر حادق	ولغيرها :
بيظل الحلو غالي	مهما رخصت الاسعار	او
وحياة روس رجالك عاراس والعين	او ميلي على مياالك يا عين يا عين	
يا شعبة ضويتي البيت	يا قر لمن هليت	او
ما اوصفه طيبي	رمانك يا جبيي	او
ما تشيلوا يا عكأمة	صرخت شواش المعجم	او
وايش جابك لبلاد الشام	يا قر بلاد العراق	او
بعر اهلينا	دامت لينا	او
عالطوله لا تنساني	يا عشيري من زمان	او
عفا الاول والثاني ورضينا فيك	او يا ولفي لا تنساني الله يخليك	
نحن الجباب هون التقينا	او يا ليل ويا ليل طول علينا	

وهكذا يتغزل الادياب بالراقصين والراقصات، بما يوافق صفات كل منهم ومقامه وسنه، بدون ان تمس احساسات احد ولا تؤثر على عواطفه . ولا تتناول الادياب باقل لائمة ولا عتب، الى ان يدعوا العروسين للرقص . حينئذ يصرخ الشبان بالترديد والنساء بالزغاريد من كل ناحية وصوب، حتى لا تكاد تسمع غير الضوضاء والجلبة برهة غير يسيرة . فيضطر العروسان ان يبقا في وسط الحلقة حتى يهدأ القوم وينقر الادياب الدف ويصفق الشبان مظهرين كل براعة وتغافر في اكرام العروسين والحفاوة بهما . فيأخذان في الرقص، فيقول الادياب :

ريته مبارك يا عريس تنهي به العروس

ويعيدها الادياب بعد ما يرددها الشباب ثم يقول :

أرقص على مهلك وتأنى	ريته مبارك تنهي
نحن بنخدمك عاروس	اطلب منا وقنى
يسلم بيت الربأها	ويقول : عروسك ما احلاها
عم تضوي مثل القانوس	انا دخيل سماها

وهكذا ياخذ الادباء في النظم والمباراة فتارة للعريس، وتارة للعروس، وطوراً  
يمدحون اهله، وطوراً اهلها . وتأتي والددة العريس ويدها محمصة القهوة وعليها نار  
وفوق النار بخور جاوري وشعنين . فتبخر العروسين وهما يرقصان، وتقول باعلى  
صوتها : « كل يصلي على نبيه »، وذلك خوفاً عليها من اصابتهما بالعين . وتظل  
النساء يزغردن ويغنين للعروسين الى ان ينتهيا من الرقص . فيدعوان غيرهما . وهكذا  
حتى يرقص جميع من في « التعليلة » من رجال ونساء وكهول وشبان وفتيان وفتيات  
ويكون بين النساء من يحسن الدبكة على حدة رقصاً . فتدعى منهن واحدة  
او اثنتان بارعتان، فتتزلان الى « الحقوة » . وياخذ الاديب يوقع على الدف التوقيع  
المطلوب . وتسرعان ترقصان، والشباب يصفقون لها، فيقول الاديب :

ماها ام الجدايل ماها تشي وتشكي الثقل من خلخالها

فيردد الشباب الشطر الاول من هذه اللازمة فقط . والاديب يقول كل شطر  
على حدة هكذا

لو مشت عالارض يخضر اليبس

والشباب تقول الشطر الاول بعده، وهو يقول :

والطير من كبد السما غنى لها

او يوم اجت عالنهر فاضت ميتها رجعت وخافت لا تبلى ذيالها

او والعين سوده والعنق عنق الغزال يا بعد عيني ريتني خيالها

فتأخذ الراقصتان تتفننان وتتفزان قفزات منتظمة فتارة تفترقان، وتارة تجتمعان،  
وتارة تتقابلان، وطوراً تواجهان الجمهور او الاديب، وهو يزداد تفنناً في النظم حتى  
تعباً وتدعوا اثنتين غيرهما . فتتزلان ويقول الاديب :

يا بو عيون السود زرارك حأها طالت الغيبة علينا وحلأها

فترقصان ثم تدعوان غيرهما فتتزل « للحوقة » اثنتان وتطلبان من الاديب التوقيع  
على الرقصة « الديرعطانية » . فيأخذ الاديب يضرب الدف بيده على النغم  
المطلوب ويقول :

يا نايحه يا نايحه لا تقعدون النايحه

فيردد الناس هذه اللازمة ويصفقون، وهما ترقصان، والاديب يقول من هذه  
الايات :

يا نايه ومرححه	واخضر زي المروحه
لولا الحيا والمستحي	لاركض واحب النايه
او يا نايه نوم الطلي	والدق عالمبسم حلي
لولا حيائي من هلي	لاركض واحب النايه
او يا نايه نوم الحشف	من فرقتك ريتي نشف
اخاف السر ينكشف	وتكون الناس عالمه
او يا نايه نوم العجي	حطي المخدة وارنجي (اي وارتي)
ما تقوليلي ايت اجي	وتكوني قبالي قايه

وبعد ما تكتفيان تنزل واحدة فتطلب ان يوقع على غير هذا النغم، وتشير الى  
ما تريد، فيوقع ويصفق الشباب وهي تغني لنفسها وتقول :

دخلك يا طير علمني ناغا ناغا	دخلك يا طير طالعني قصر الآغا
او زحانات الفلفل يا زحانات	مشكلات قرنفل هالغاويأت

فتسرع الفتاة في الرقص على هذه الاغنية، وهي ترحف على قدميها زحفاً وتحرك  
يديها وجسمها حركة منتظمة متناسبة مع زحفها . ويأخذ الاديب يساعدها ويغني  
لها على ما يوافق اللازمة، والشباب يصفقون حتى تنتهي هذه من رقصتها . فتطلب  
ايضاً توقيعاً ثانياً، فيلي طلبها وينقر الدف ويقول :

ضاعت طاوية الحجه	جديده وما لقيناها
لقيناها في يبرود	جينا وخليناها

او آه يا لا وسيدي يا لا لي يا بجرما انظرك سافر حبي فيك وما قال لي  
فترقص هذه على التوقيع بانتظام وحركة موافقة له، وتميل يمنة ويسرة، وتتفنن  
في رقصها فتبهج الحضور . ويثور الشبان فيركعون على ركبهم ويشددون التصفيق،  
وتقوم ضجة عالية، والاديب يغني لها . لكنك لا تسمع او تفهم من قوله حينئذ  
كلمة واحدة من شدة الضجة والتصفيق



ثم يأمر الشيخ او احد الوجهاء ان تدعى واحدة من النساء مشهورة برقصها الرقصة التي يسونها « شامية » . فتذلل هذه، ويدق الاديّب، وتشرع هي ترقص وتغني لنفسها فتقول :

جوزي تجوز اربعة وانا صبيّه وجاهله

فيردد الحضور اللازمة، ويقللون التصفيق، ثم تقول :

لَمَن اخذ الاولى وأصبحت هيك عامله ( وتحنّي ظهرها قليلاً )

فيرددون اللازمة، وتقول هي مع الرقص والتشيل :

جوزي يضرب جوزي ( على نعم مخصوص، وتكررها مراراً ) ثم تقول

لَمَن اخذ الثانيه أصبحت هيك عامله ( وتحنّي ظهرها اكثر

من قبل ) . وبعد ما يرددون اللازمة، تقول :

جوزي يضرب جوزي . جوزي يعنى جوزي . ( وتكررها )، ثم تقول :

لَمَن اخذ الثالثه وأصبحت هيك عامله ( وتحنّي ظهرها

كثيراً ) وتعود وتقول : جوزي يطرش . جوزي يعنى . وجوزي يضرب وتقول

لَمَن اخذ الرابعه وأصبحت هيك عامله ( وتحنّي تماماً حتى

تقعّد على الارض . وتأخذ تقول : جوزي يضرب، ويعنى، ويفطس، ومعرّ الخ )

ثم بعد ما تلبسه كل ما عندها من المذمات تقول :

لَمَن طلق الاولى وأصبحت هيك عامله ( وتقوم منحنية

قليلاً ) وتقول : جوزي يسلم جوزي

وكلما طلق واحدة ترفع ظهرها وتقول : جوزي طيب . جوزي باشا . جوزي

خير . جوزي جوزي الخ حتى يطلق الرابعة، فترجع الى ما كانت عليه في ابتداء

الرقصة وتأخذ تمايل و « تفقش » باصابعها وتهز خصرها رافعة راسها فرحة طروبة،

تقفز وتنط وتترنم بطلاق ضرائرها

وعلى هذا تنتهى التعليقة، فينصرف كل واحد الى بيته مسروراً

## الدبكة

الدبكة انواع متعددة معروفة في بلاد سوريا ولبنان وفلسطين والعراق وما بين النهرين وبلاد الاكراد . وهي رقص مشترك بين جمهور، يقوم به الشباب وانسابات ايام الاعراس والافراح والمواسم، ويشترك فيه من يشاء . ممن يحسن القيام بحركاته وسكناته وله امام بجميع انواعه . فللشباب وحدهم دبكة، وللنساء، والبنت دبكة، وللجنسين مختلطين دبكة اخرى

كان الشباب قبل ان يتخذونها مدعاة للافتخار باجسامهم وشبابهم وثقتهم وبراعتهم في الرقص الخالي من كل خلاعة وتهتك، او وسيلة للرياضة البدنية، وترة لمباراة الادب، والتلذذ بسماع اقوالهم . والنساء يتخذنها للرقص والغناء وللطرب والانبساط وللرياضة ايضا

فتقسم دبكة الشباب الى عشارية، وعرجاء، وكردية، وشرقية، وشمايية، وغربية، وغيرها . ودبكة النساء الى هادئة ومستعجلة . واليالك بعض الايضاح عن هذه الانواع

يجمع الشباب في دار العريس الفسيحة الارعاء، او في ساحة امام داره اذا كانت ضيقة . ويعقدون حلقة غير كاملة، متساكين بالأيدي، متساكين بالاكشاف .



صورة الدبكة حرة

فيبدأون من أطولهم قامة، ثم الأقصر فالأقصر حتى الآخر . ويدعى رأس هذه الحلقة « السندة » . فيسند الشباب ويقودهم ويضبط حركتهم وسيدهم كما تقتضيه الأصول . ثم يأتي شاب من المشهورين المشهود لهم بقيادة الدبكة واتقانهم لجميع أنواعها، ويده سيف أو عصا أو منديل مطرز الاطراف بحريز ملون، فيترأس هذه الحلقة ويقودها على ما يقتضيه نظام الدبكة وأصولها . وهذا يسمى « القيدة » . ويقوم في وسط هذه الحلقة شاب يحسن النفخ في الزمار أو الشبابة، أو شاب يحمل طبلًا يقرعه عند الاقتضاء<sup>١</sup> . فيطلب القيدة من حامل الطبل أن يضربه للدبكة العريية مثلاً، ويفتحها على التوقيع المطلوب والأصول المتبعة، ويتبعه بذلك السندة بنقل الرجلين وحركة الجسم بضبط واتقان ليكون قدوة للشباب الذين بعده . فيتبعونه كلهم كأنهم جسم واحد، يملون كيفما مال قائدهم عينا أو يسارا بغاية الاتقان، يتقدمون ويتأخرون بخطوات معدودة ومنتظمة تتجسم فيها الرجولية والقوة والنشاط والفن والنظام بكل معانيها . ويأخذ القيدة يتفنن بحركاته وخطواته الموزونة وتنقلاته المتقنة وقفزاته المضبوطة، لا يخل بنظام الدبكة قيد شعرة ولا يتعدى الحركة العامة مطلقاً مهما تقلب وتفنن بحركاته . ويساعده على ذلك السندة سائداً الشبان، مؤخرًا سيرهم، ليبقى القيدة حراً بحركاته

وكثيراً ما كانت تدوم الدورة الواحدة نحو ساعة قبل أن يرجع القيدة الى المكان الذي بدأ منه الدبكة . وهذا يُعد براعة واتقاناً . وهو يلعب بالسيف حيناً، وتارة يقفز قفزتين بينا الباقيون يقفزون قفزة واحدة . وجميعهم يسكنون ويضربون الأرض بأرجلهم ضربة واحدة في وقت واحد . وتارة تراه كأنه يخالف النظام العام بحركاته وقفزاته ولا تلبث أن تراه عاد الى النظام وسار قيد الأصول ويجمع الناس حول هذه الحلقة بالئات يتفرجون ويستمعون بهذا المنظر البهيج وهم قيام وعود يشربون القهوة والنارجيلة، مسرورين برأى شبان تتدفق الصحة من وجوههم والنشاط من اجسامهم والابتسامات من نفوسهم وكل منهم يقول في نفسه « يا نفس اشتدي . وما حدا قدتي »، ويضرب الأرض برجله متجبراً عليها بشبابه وهو يميل كالغصن الرطب مع الهواء كيفما مال

(١) هذا اذا لم يكن في العرس من جماعة النور بطبولهم وزمورهم



النامب بالسيف والقرص

وبعدما يكتفون من هذه الدبكة يطلب القيدة تغييرها الى شمالية مثلا او غيرها . فتكون اسرع من تلك حركة واخف، وتختلف عن الاولى بعض الاختلاف بنقل الرجلين او الميل . فيلبي طلبه بعد وقوف قليل . وبإشارة منه يقرع الطبل فيبدأ القيدة الرقص تبع به النوقيع ويتبعه السندة ومعه الشبان . ويأخذ جميعهم في ميل وانقصر والنط الى الامام والعودة الى الوراء حسبما تقتضيه الحال . حينئذ تأتي امرأة ويدها محمصة البن وعليها النار والبخور الجاوري والملح وورق الزيتون، فتسر على مؤلفي هذه الحلقة مبتدئة من القيدة فتبخرهم وتحولهم باسم الله وبالصلاة على الانبياء من عينها وعين خلق الله

ثم يتحولون الى دبكة اخرى « كاعرجا » وغيرها . وبعد ان يكتفوا من جميع انواع الدبكة المختصة بالشباب يطلبون الى الادباء الدبكة على « القول » اي على النظم مع الطبل . فينبغي واحد منهم ويتزل الى « الحقوة » ويطلب من صاحب الطبل توقيع معلوم . فيلبي هذا طلبه ويقول الاديب :

حليوه وين كنت اليوم عيونك شارد للزوم

فيردد الشباب هذه اللازمة وهم يرقصون . ويأخذ الاديب ينظم عليها ما  
توحي اليه قريحته او بما يكون محتفظاً به من نظم غيره، مثل هذه الابيات التي  
توافق النغم والتوقيع :

يا أسمر السمر قلبي من جرح خدك	هو جرح سكين وألا احد عضك
سابق عليك النبي سابق عليك ربك	لا تعاشر الغير وحياتي على قلبك
يا أسمر السمر اهلك عيروني فيك	وكلمنا عيروني زاد غرامي فيك
انت الحبك بالطبق وانا الذي اسقيك	انت الثريا وانا الميزان ارعى فيك
حيثكم يا ترى وايش حيني فيكم	حيث ما بين حاجبكم وعينيكم
حيث ارضاً تدوسوها برجليكم	حيث جيرانكم كرمال عينيكم
حيثكم خاص وانتم تبغضوا خالص	وانا الذي من محبة غيركم خالص
وحياة ذاك النبي النوره ذهب خالص	ما ظن يا عين تلاقي لك وليف خالص
حيثكم لاستريح وانتم تعبتوني	وكنت خالي الغرام انتم شبكتوني
وكنت ورده بحضن امي دبلتوني	ما هو حرام على دقة تفوتوني
حيثكم مثل زندي والسوار والكف	حيثكم ما دري هالكف من هالكف
لمن لقيتك بعشرة غيرنا مشف	بعتك بدرهم زغل لو كنت تسوى الف
يا ابيض البيض يا مجبول بالفضه	يا اكحل العين قلبي ايتي بترضي
ان كان اهلك واهلي اسوا البغضه	اعمل انا العبد وانت السيد لترضى
واقف على بابكم عرقان لانهوى	وطلعت من داركم بالنار اتكوى
جابوا المكاري وقالوا يا صبي تكوى	وايش ينفع الكي برا والوجع جوى
سير يا حمام دوم وعرفني لجناحك يوم	لطير وعلي وانظر لجباي يوم
وحياة من سبحوا له بالصلاة والصوم	اسكن جهنم ولا اقعد بلاك يوم

فستغرق هذه الدبكة مدة طويلة، لان الاديب يقول كل شطر من هذه  
الايات على حدة . وهي سريعة يلزم لها نط وقفز كثير . فيطلبون غيرها ابطأ  
منها حركة عندما يدهمهم التعب . فيطلبون الطبل، ويقول الاديب مفتياً على نغم هادئ

عدلى يا موليا عيني يالبنيه

فهذا النغم يقال عليه كل بيوت موليا، كما سيأتي ذكره، ولا يلزمه نط ولا قفز، بل هو هادي بطي.. فيردد الشباب اللازمة . ولا يكاد الاديب ينظم بيتاً او بيتين حتى تنساب البنات والنساء بين الشباب . فتمسك كل منهن بيد اثنتين من اقربائها او انسائها ويأخذن يدبكن معهم . وبعد قليل تصبح الدبكة مشتركة بين الجنسين . فيجعل الادباء يغنون وينظمون الاغاني المطربة، والجميع يدبكون بلذة وجور . وبعد ان يأخذ الشباب قسطاً من الراحة تشير النساء فتتحول الدبكة الى حركة مسرعة، فيقول الاديب :

ورد خد المحسنه من قلبه غير انا

فيفقر الجميع بانتظام، والبنات والنساء المترينات والمتحليات «بخشخن» بجلاهن «خشخشة» توافق الدبكة فتجملها وتعطيها رونقاً خاصاً. والاديب ينظم الابيات الداعية الى الطرب فيسكرون جميعاً بنشوته . ومع ذلك لا يقتأون محافظين على الحشمة والادب كما يحافظون على نظام الدبكة واتقانها، فيقول الاديب :

يا ويل ويلي لهم عقلي ومالي لهم  
عالدرب لربط لهم واقعد عالدرب القنا (اي قناة الماء)

فيتهيج الشبان عند ذكر القناة ويزيد النط والقفز والرقص . ويعود الاديب فيقول :

سمره يا ام الحلق مثلك ربي ما خلق  
لا بالغرب ولا بالشرق ولا في كل الدنا

ويظنون هكذا الى ان يتعبوا فيغني احدهم اغنية هادئة مثل هذه :

قولون لام السالف لغيرها ما والف

فيردد الشبان هذه اللازمة ويقول الاديب :

من سالفك عاجبينك الله والخضر يعينك  
عهد الله بيني وبينك الله يخون الي يخالف  
من سالفك عالوجنه من كثر ما علوجنا  
ما تشوف ما اروجنا بالقول عا ام السالف

من سالفك عاخذ	مطروح فوق مخد
ما توصفلي شو بدّي	انت حكيم وعارف
من سالفك عا الصدر	والوجه زيّ البدر
لو تعرف حالي وتدرّي	ما كنت الي بتخالف
من سالفك عاتمك	ردي خبر على امك
رايح اميل ليّيك	بلكي نصير معارف
من سالفك عالميني	يا بعد روحي وعيني
خدك ورده بجنينه	سعيد يا الي قاطف
من سالفك عاكتافك	تسلم حمرة شفافك
لا يكون حدا شافك	من هيك انا خايف
من سالفك عاظهر	يا لابسة الزهري
يا بنت لا تنقهرّي	ويكون قلبك خايف

ثم ينتقلون الى غيرها مستعجلة فيقول الاديّب :

يا بوعيون السود زرارك حلها	طلالت الغيبه علينا وحلها
او حليوه داب رمانك	وانا غالب استنى (اي انتظر)
او لوح يا بو ردان يا با	خلي الدق بيان يا با
وان كنت زعلان يا با	دربك عالباستان يا با
وان كنت بردان يا با	دربك عالحمام يا با
وان كنت عطشان يا با	دربك عالرمان يا با
وان كنت جوعان يا با	دربك عالصوان يا با
وان كنت فزعان يا با	تعا بقلّي نام يا با
او تحاويت انا والديب سرحان	خاويّا خاويته باللسان
خاويته بعهد الله ولا خان	خاواني بعهد الله وجاني
حببي رشقي بعود ريحان	رشقه بند وزعفراني

حبيبي كيف ما عجب الهوا مال      قمايل يا عويد الخيزراني  
 او هي هيو اراكين النوق      ريضوا هجكم لي  
 ريضوا واردفون الشوق      على بكاره نعمانيه  
 حبيبي لو نزل عالسوق      يتمايل بالحساويه  
 حبيبي يا بو عيون السود      يا ربي تجيره لي

ثم ينتقلون الى غيرها، الى هادئة قليلاً . فتطلب من الاديب احدى البنات  
 وتقول غن لنا الفرنساوية . وهذه اغنية جاءت بها احدى عيال المسيحيين الدمشقيين  
 هكذا :

هولا هولا بابا      هولا كوميلبياني  
 سفامني جولي      انا ما كيتريان

فاحبها الناس هنا واخذوا يغنونها هكذا :

ولا ولا بابا      ولا كل البيان  
 صفرنت من جوعي      امان امان امان  
 فيرددون هذه، ويقول الاديب :

يا وند يا صغير      يا ناييم بسريك  
 ابوك يقول لك نام      وامك بتعدي الك

فيأخذ البنات حظهن من الاغنية، ويتجمعن كلهن في جهة واحدة متمسكات  
 بايديهن، ويأخذن الفوز حينئذ على الشباب بدبكتهن وخفتهن بالنط والوثب والقفز  
 والدبك حتى يكل الجميع فينفرط عقدهم

(١) وقد سمعنا هذه الفقرة تنشأ بطريقة اخرى :

فسوالا فسوالا بابا      فسوالا فسوالا ماما  
 سافر ملك جولي      انا ما كتير بيان



## اعبادهم

### اعباد المسلمين

يعيد المسلمون عيد الفطر المذنب بعد يومين من ظهورهم شير رمضان بكماله :  
فيطهون النية . كله بلا أكل ولا شرب من السجود إلى الفطر . لا يأكلون صوته  
• هم كان النهار طويلا وحده شديد الحرارة . وتعبده تعالى . وكان الشيوخ  
يقضون الليل والنهار في الصلاة والتعبد لله كما قال الفارض :

في هواكم رمضان عزمه      بأنقضي ما بين الحين وطبي

والشرب والكمهول بقضونه في الشغل والعزم . لا تمنعهم صعونه في حيف  
من الخلد والدراس والسطح وما أشبه ذلك . وما كنت ترى بينهم أحد يبع



العباد

الخدمة . ثمرة من عزمه . فوق يجسر على الإفطار جهرا . وكان المسجرون يتوقفون  
في شوارعهم . وراقتهم ترعرعهم وطهورهم من قبلى حلف المين يطربون عبيد  
فوقه نزلوا الأهل . سموا قائلين : لا اله الا الله . يا رحمن وحده . فيعظونهم



ولاحقوا ذا شعور من كبروم نصف امان وحبيه في الصادي

ياكلون مع رغيف من الخبز . وابتداء من الثالث الاخير من شهر رمضان يصعد  
بضعة شبان الى الماذنة بعد المغرب ويشرعون ينشدون اوداع قائلين :  
فودعوه ثم قولوا له يا شهرنا هذا عليك السلام

زها . ساعة من الزمان حتى آخر الشهر . وفي الليلة الاخيرة منه ، حينما يشب حلول العيد ،  
يصعد بضعة رجال من الأئمة والخطباء . ومشايخ الدين الى الماذنة بالتهليل والتكبير  
. ملتين بذلك حلول عيد الفطر ، فيفرح الناس ويتהלلون ويبدأ العيد . وفي الفد باكراً  
قبل شروق الشمس يتزين الرجال والنساء والاولاد باحسن ما عندهم ويذهب الرجال  
افواجا الى الجوامع لحضور صلاة العيد . وبعد الصلاة يذهبون لزيارة الموقى .  
ويوزع كل واحد ما يمكنه صدقة عن ارواحهم ويعطي كل واحد الفطرة المفروضة  
عليه للفقراء ، وهي رجل من الجيوب عن كل شخص ، حفظاً لحياته . فانهم  
يعتقدون ان الذي لا يعطي الفطرة يبقى صيامه معاقاً بين السماء والارض . ثم  
يرجعون لمعايدة الأئمة والخطباء . و« المشايخ » اي المخاتير . فيكون هؤلاء مهيئين  
السفرة في الغرفة الكبيرة عندهم ، وعليها من المأكول المتنوعة ، مثل الكبة مع  
الشوربا ، والارز المطبوخ باللحم واليخني باللحم واللبن الخ . فيدخل الناس  
قائلين « عيد مبارك » او « ايامكم سعيدة » . فيجيبهم صاحب البيت : « عدينا  
وعليكم » و« ايامكم اسعد » . فيما كل الناس على قدر . يستهون . وتبقى  
هذه السفرة مبسوطة من الصباح الى المساء في بيوت المشايخ والوجهاء والمثريين

الكرام<sup>١</sup> . ويعايد الناس بعضهم بعضاً ويقولون ايضاً : « عيد الآتي تكونوا نجوم الله الشريف . وتفرحوا باولادكم » . فيجيبونهم : « برفقكم . وان شاء الله تفرحوا باولادكم . او نفرح بك » ، اذا كان المهني لا يزال اعزب

وكان الرجال والشباب والاغنياء يعطون لكل من الاولاد الصغار في البيت الذي يعايدونه قطعة من النقود الرائجة في ذلك الوقت تدعى « مصرية » ، وهي تساوي البارة اي جزءاً من اربعين من القرش . واخيراً راجت عملة يسمنها « نحاسة » تساوي بارتين ونصف، فصاروا ينفخون الاولاد منها فيفرحون ويسرحون ويمرحون بها . وتنقضي ايام العيد الثلاثة والاولاد والشباب معيدون يلعبون بالبيض الملون . اما اكثر الرجال فما كانوا يمتنعون عن القيام باعمالهم الزراعية وغيرها الا يوم العيد فقط . وقد قيل لرجل كان حاملاً « مرأ » وذاهباً الى الشغل في ارضه : كيف ذاك ذاهباً الى الشغل واليوم عيد ؟ فاجابهم بعد ان هزأ راسه : ان العيد « هالمر السعيد » ، اي هذا المر السعيد

وبعد ظهر ذاك النهار يتوارد الشباب على بيت مشايخ الطرق ويأخذون في الضرب على الطبول والمزاهر والصنوج . وتحمل السناجق والاعلام ويركب الشيخ صاحب هذه « السياره » ، كما يسمنها هنا، فرساً يقودها شاب ذو صوت جميل ينشد للشيخ وراء السنجق اناشيد دينية . ويذهبون بها بموكب حافل تطلو فيه اصوات الرجال بالاناشيد والانغام المختصة بهذه الحفلة، مثل « شيللاه احمد يا رفاعي » او « موالى يا موالى يا موالى ابو العلمين سلطان الزجال » ، او « صلي يا ربي وسلم عالنبي احمد المختار طه العربي » او « صياد يا صياد يا صياد والشيخ عبد القادر البغدادي » وغير ذلك من الاناشيد والاهازيج

وكان بعض الشبان المسيحيين يشاركونهم احياناً في تلك الحفلات، فيضربون معهم على المزاهر و« الحليليات » اي الصنوج . ويذهبون معهم لزيارة مقام « الغفري » خارج البلد . فيقعدون في ظل جوزته المشهورة حلقة من الشبان يقفون متواصي الاكتاف متلاصقي المناكب، ويقىمون هناك ذكراً حافلاً يذكرون به الله بلهجات وعبارات مخصوصة مثل « الله » و« الله حي » و« الله حي قيوم » . ولكل من

(١) قد النيت هذه العادة في ايماننا واستبدلت بتقديم المرطبات والخلوات.

هذه الأدوار الثلاثة نغم أو حجة مختصة به، يبدأ بها الشيخ وهو واقف في وسط الحفلة حاملاً بيده محبحة . فيلتفت إلى اليمين مع الحارة قبيل قائل « الله » وإلى اليسار كذلك . فيتبعه بذلك أفراد حفلة : قول ويل ومانح . وثمانين مكتلة واحدة . ويأخذ الشيخ يسرع في فحطه وحركته زويد زويد . وفي أثناء ذلك ينشد ذرو الاصوات الجميلة انشيد يوحدون به الله ويمسحون بها النبي وألوانه . فيضطرب به الذاكرون وتأخذ بعضهم رعشة هي « نشرة الذكر » قبل بلوغ حتى الغيبوبة والتمشين فترة قليلة . فيضطرب المشايخ أنفسهم ، وتارة « خلانفهم » أي تلامذتهم بالسيف . ويدخلون في بطونهم « الشيش » وهو نوع من النصال أو الخراب المعدة مثل هذه الحفلات . وعندما يستفيق المعشي عليهم من عيوبتهم، يبدأ الشيخ بالدور الثاني قائلا « الله حي » : فيلتفت إلى اليمين قائلا « الله » ثم إلى اليسار قائلا « حي » . وكذلك في الدور الثالث يذكر وينحني ويميل كما يقتضي الحال



أحد المشايخ يسبق دابة من النهر

ثم يعود الشبان إلى تحمل السجق والاعلام والضرب على « النوبة »، كما يسمونها، وهي الطبول والمزاهر والصنوج . وينبطح الرجال حينئذ على بطونهم متلاصقين صفًا طويلًا، ويقف إلى جانبيهم رجال على طول الصف، فيسر الشيخ بفرسه عليهم، ويتبعه باقي المشايخ اقترانه . ويقوم الرجال بدون أن يصاب أحدهم منهم بأذى . وهذه يسمونها « الدوسة » أو « الدعسة » . ويرجعون في طريق أخرى إلى بيوتهم . وتكون النساء والبنات ساثرات وراء هذا الموكب يرافقنه . وكثيراً ما كانت النساء يقفن على السطوح

او في الذوافذ حتى يصل السنجق اليهن، فتربط احداهن منديلا باحد اطرافه طالبة الى الله الشفاء. من مرض او اخلاص من مأزق حرج وهكذا يصير في عيد الاضحى

### عيد الخضر

ويحتفلون بأية بعيد الخضر ( ٢٣ نيسان على الحساب الشرقي ) لان له في النبك، في اعلى موقع منها، مقاما<sup>١</sup> يقدسونه وينذرون له النذور الكثيرة بحسب الاعتقاد و« الامانة » والعادة منذ القديم. ولهذا المقام قيم او خادم يتصرف بما ياتيه من النذور. وعليه ان يقوم بكل ما يلزم من ترميم وتنظيف وإثارة وما شابه ذلك، وان يدعو كل سنة قبل حلول العيد بيومين او ثلاثة اهل الحي وأئمة ومشايخ ووجهاء البلدة الى تناول العشاء في هذا المقام ليلة العيد والى اقامة الذكر بجامعه كما ذكرنا . ويدعو ايضا مشايخ يهود « ذوي السناجق اي ابناء الطرق » سنويا، ما لم يكن مانع قاهر . ويدعو ايضا بعض السنتين مشايخ قليطة والمعرة وقارة ودير عطية لتناول العشاء ليلة العيد وللإشتراك في اقامة الذكر بجامعه

ففي اليوم السابق للعيد كان يأتي من مشايخ يهود شيخ او شيخان بسناجقهما واعلامهم « ونوباتهما »، ومعهما رجال ونساء. لزيارة الخضر والتبرك ببركته. فيخرج



حامو السناجق والاعلام في بعض الاعياد

(١) هو جامع ومأذنة قرية العهد مبيشان بالنسبة

مشايخ النبك بسياراتهم ايضاً ورجالهم، وهم يقرعون « نوباتهم » ويهزجون بالاناشيد الدينية، الى ملاقة الضيوف خارج البلد . وحينما يدنو هؤلاء، ينزل المشايخ عن مطاياهم، ويجثو حاملو النوبة على ركبهم ويأخذون في الضرب عليها « طابق حربي » كما يقولون اي ضرباً مستعجلاً . وعندما ينتهي الطابق يقرأون الفاتحة ويصافح بعضهم بعضاً بالطريقة الخاصة بهم : فيلاقي الشيخ زميله واضعاً يده على كتفه ويتبادلان القبلات ثلاثاً . وبعد انتهاء السلام يركب المشايخ خيولهم وتجتمع النوبتان فرقة واحدة ويسيرون امام سنجق الضيوف، ووراءه سناجق البلد، والرجال حولهم يُعدون بالملات، ويعودون ادراجهم بموكبهم الى مقام الغفري . فيزورون ويعقدون تحت جوزته ذكراً لله تعالى، كما سبق وصفه . واحياناً كان الشيخ يشير الى احد انسابه او تلامذته فيأتي اليه عارياً الى اسفل الصدر، بلا خوف ولا وجل . فيصرخ الشيخ « يا جداه » ويدخل حربة في خاصرته حتى نصفها . ويأتي آخر فيدخل حربة ثانية في عنقه او خده . وثالث كذلك، او يضرب واحد خاصرته بجريبتين . ويأخذ المضربون على هذا النمط يخطون خطوات منتظمة ويميلون يمنة ويسرة في وسط الحلقة، متبعين حركة الذكر، يذكرون اسم الله مع الذاكرين، غير مباينين بالنصال او الحراب المفروزة في اجسامهم . وبعدما يكتفون من هذا الذكر يحمل الشباب السناجق والاعلام ويقرعون النوبة ويرجعون محترقين البلدة بموكبهم، يتقدمهم المطعونون بالحراب . فيزورون مقام الشيخ علي القصير في طرفها الشرقي ويذكرون الله في ساحته، بينما المشايخ يدخلون مقامه ويقرأون الفاتحة . ثم يرجع الضيوف الى مقام الحضر ويجلّون ضيوفاً فيه . حينئذ ينزل الشيخ فينشل الحراب من اجسام المطعونين، ويأخذ من ريقه ويدهن به الجرح وهو يرتعش ويذكر اسم الله ويصرخ « يا جداه »

فيتقاسم اهل البلدة الضيوف ويدعونهم للنامة في بيوتهم . وعند حلول وقت العشاء يرد الضيوف والاهالي الى مقام الحضر، حيث يجدون الاسمطة مفروشة وعليها الطعام، وهو من « الشاكرية » والبرغل . فيأكلون ثم يهبون الى اقامة الذكر تلك الليلة . وفي عصر يوم العيد يخرجون كلهم بسياراتهم الى الغفري، ويفعلون كما فعلوا امس او يزيدون عليه ضرباً بالحراب والدبابيس والسيوف، ويقيمون الدعة كما اشرنا سابقاً . وفي الغد بعد العيد يعود الضيوف الى بلادهم مشيعين كما استقبلوا بالحفاوة

## اعباد المسيحيين

اما اعياد المسيحيين فكثيرة، ولا يكاد يضي اسبوع بدون ان يقع عيد احد كبار القديسين او تذكار لاحد الاسرار المقدسة فيقيمون العيد بقداش في الصباح ويمتنعون فيه عن اشغالهم العالمية . ومنذ القديم تخصص كل عيد باحدى عيال المسيحيين الروم الكاثوليك، ولا يزال هذا التخصيص الى الآن . وكان على صاحب العيد ان يقدم للكنيسة رزمة من الشمع، وحسنة للكهانن، وكمية من الخبز المخصوص الذي يعتنون به عناية تامة، فيكون ممتازاً من الخبز العادي مطبوعاً بطابع ديني تظهر فيه علامة الصليب، ويسمون هذا الخبز « قربان » ويبيث منه اصحاب العيد الى بيوت كل من المسيحيين بقربانة واحدة . وعلى صاحب العيد ان يعد بيته لاستقبال المهنئين . فيجلس وامامه القهوة العربية، فتزد الناس لمعايدته . وكان عليه قبلاً ان يدعو الكاهن الى الغداء، ثم يدعوه من جديد الى العشاء ويدعو معه اقرباءه وانسابه الاخصاء . وتكون السهرة عند تلك الليلة . فيقضونها في الاحاديث والمسامرة او يلعبون بالورق بلعبة « المنتين »



عربان يقصدون النيك لبيعوا فيها غنمهم في الاعياد الكبرى

(١) على الشكل الآتي  $\frac{I\S|X\S}{NI|KA}$  ومناها « يسوع المسيح بظفر »

## عيد الفصح

اما عيدهم الكبير فهو عيد الفصح المجيد . يأتي بعد صيامهم سبعة أسابيع لا يأكلون فيها سوى الاطعمة المصلحة بالزيت وينقطعون عن كل اللحوم والبيض ايضا ، ما خلا المرضى الذين يأذن لهم الكاهن في الافطار وتناول الاطعمة التي يشاؤون . ويقضون ايام الصوم هذه في الصلاة والتعبد لله تعالى وفي الاحد الثالث من الصيام يزيتون اولادهم الصغار ويحناونهم اغصان الزيتون ، معلقين فيها الشموع الصغيرة ، ويذهبون بهم الى الكنيسة . وفي آخر القداس يحمل الكاهن طبقا مملوا من الرياحين والازهار ، ويقومون بزيح ضمن الكنيسة حاملين الصليب ، والصغار يحملون اغصانهم بها فيها من الشموع المشعلة ويرغون بترانيم روحية مثل « اجدد الله في العلى وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة » وغير ذلك من الترانيم الطقسية . ويسمون هذا الاحد « احد الزهور »



ويفعلون مثل ذلك في الاحد السادس ايضا ، ويسمونه « احد الشعنين » . وفي الاسبوع الاخير من الصيام تجمع النساء من ورق الزيتون في اكياس يضعنها في الكنيسة ليكتب الورق بركة عند قراءة الانجيل التي تتلى في هذا الاسبوع العظيم . وكانوا يعتقدون ان هذا الورق يتقدس وينال بركة خصوصية . فاذا اصاب احد اولادهم بمرض فجائي يعزونه الى « العين » الشريرة ، اي اذا اصاب بالعين ، « بخروه » به مخلوطا بقليل من الملح . والمسلمون

اخوان سباس العيد احدهما بالقميص العري « المردن » والثاني بالزيتي الفرنجي وما ولدا احد كبار مشايخ النيك منذ ١٥ سنة

انفسهم يعتقدون بفعل ورق الزيتون هذا ويستعملونه كالمسيحيين ويسمونه « شعنين »



وعند بزوغ فجر العيد يقيمون قداساً احتفالياً . فيأتي الناس لصلاة العيد ويرجعون الى بيوتهم فرحين ليتناولوا طعام العيد الذي كان محرماً عليهم جميعاً ، من الطفل الى الشيخ ، مدة ٤٩ يوماً . فيأكلون مما طبخوا تلك الليلة من الكبة مع « الشوربا » واللبنية . ويسلقون البيض ويصفونه الوائاً لأولادهم . فيقضي هؤلاء ذلك النهار يلعبون بالبيض . ويذهب الرجال قبل كل شيء . لمعايدة الاسرة صاحبة العيد ، ثم يذهبون جميعهم لمعايدة الكاهن بعدما يجمعون من الدراهم ما يقدمونه له بمثابة « معايدة » او « عيدية » . ويخرجون لمعايدة بعضهم بعضاً قائلين : « المسيح قام » . فيجيبهم صاحب البيت « حقاً قام . العيد الآتي تفرحوا باولادكم . ( او ) تكونوا بالقدس الشريف » فيجيبهم المهنتون : « واولادكم . ( او ) برقكم ان شاء الله » . ويظلون على هذا ثلاثة ايام . ويسمون العيد الكبير عيد الفصح

اما عيد الميلاد فقد ظلّ معتبراً عندهم صغيراً يعيدون له كما يعيدون للاعياد العادية حتى اوائل القرن الحاضر ، إذ اخذ اعتباره يزداد عموماً

## المآثم

### عبادة المرضى

كانوا متى مرض احدهم وطالت عليه العلة ، يتهافتون لبيادته رجالاً ونساء . وكان على النساء ان يحملن للمريض شيئاً من الكعك او البرتقال او الرمان الحلو او الاجاص الشتوي او البطيخ ، لانهم كانوا يعتقدون ان جميع هذه الاشياء مباح اكلها للمريض وغير مضرّة به ايّاً كانت علته ، ولا سيما اذا مال الى الشفاء ودخل في طور النقه . وأما اذا اشتدت عليه وطأة المرض واطهر ، فيكثرثون التردد اليه بدون ان يحملوا له شيئاً . ولا يجوز عندهم دخول مريض ناقه على مريض لا يزال طريح الفراش ما لم يذهب اولاً الى الحمام لئلا « يكبسه » على اعتقادهم . واذا اخطر المريض نام عند امه او اخته او زوجته بعض ذويها لمساعدتها على خطبها

## الوفاة

وعندما تحدث الوفاة تمنع والدّة المتوفى أو زوجته أو اخته من البكاء والصراخ وتقوم بعض القريبات الحاضرات بتبديل ثياب المتوفى بثياب تكون مهيأة عند الكثيرين، مسلمين كانوا أم مسيحيين، الذين يحضرونها من مكة أو من القدس يوم حجّهم إليها . وبعد ما يتممون اللباس الميت ثيابه هذه يضعونه على فرشة عالية وثيرة يسمونها « المرتبة » . حينئذ تصرخ النساء من أهله وأقاربه مولولات وممولات فتجتمع الناس حوله وحداناً وزرافات، والنساء يندبن ويلطمن وينحن عليه . وبحسب أهمية المتوفى تكون شدة الندب وخفته . ويردّدن أبياتاً مختصة بالأمّ يمددن فيها مناقب الفقيد، حاثات ذويه من الرجال والنساء على البكاء والحزن، طالبات اليهم أن يبيعوا كل غالٍ وثمين ويشتروا فقيدهم . فيبكي لأقوالهن المحزنة جميع الحاضرين . ولا تزال النساء على ذلك حتى الدفن فتأتي الواحدة تلو الأخرى لتعدد وتقول ما عندها وتظهر اشتراكها في ماتم الفقيد . على أن بعضاً منهن يتباكين ولا يأتين إلا للتفرّج والانتقاد فقط

أما الرجال فيجتمعون في غرفة من غرف دار الميت وحدهم، فتدري البعض باكين، والبعض الآخر واجين، وغيرهم يتحدثون عما يختص بالأمّ، فيقصون على أهل الميت قصصاً وأمثالاً من عظام المصائب والنوائب السالفة، مما هو أعظم من المصاب الحالي، بعبارات موافقة للمقام . ولم يكونوا في القديم يشربون القهوة لأنها كانت ممنوعة في مثل تلك الأحوال، خلافاً لما هو جارٍ في أيامنا

وعندما تتم جميع تجهيزات الميت، التي يقضونها بكل سرعة، ينقل إلى المعبّد ويصلّى عليه . ثم يحملونه على نعش فوق الاكتاف، ويسير وراءه أهله وذووه ومن يشاء من القوم رجالاً ونساءً، وباقي القوم من حوله، وإمامه رجال الدين يقومون بمراسم دينية لا بد منها . ويتسابق الشباب إلى حمله اكتساباً للثواب والأجر حتى المدفن . وبعد مواراته يقف ذووه صفّاً واحداً قرب الضريح ويمر الناس أمامهم معزّين قائلين : « العوض بسلامتكم، أو البقية بعمركم، أو يسلم الدين والإيمان »

ويرجع الرجال معهم إلى حيث يعترضهم أحد الوجهاء أو الأنساب ممن يكون بيته على طريقهم . فيدخلهم إليه ومعهم بعض الرجال، ويضع أمامهم طعاماً

فيأكلون، لان ذوي المتوفى غالباً لا يذوقون شيئاً من الطعام قبل دفن قعيدهم  
 اما النساء فيرجعن من المدفن مولولات نادبات يرقصن رقصة الحزن المألوفة عندهن  
 واذا كان المتوفى شاباً عزيزاً على القوم يزينونه كما يزينون العريس، وتغني له  
 النساء من اغاني صدة العريس يوم عرسه، ويحدو الشبان حداً ملائماً للمقام، والنساء  
 يحلان شعورهن ويتعصبن فوق المنديل ويقلبن ثيابهن ويلبسن فوقها عباءة المتوفى او  
 رداءه او عقاله او شملته . واذا كان المتوفى من المشايخ او الوجهاء الذين يركبون  
 الخيل ويحملون السيوف فتلبس زوجته او اخته او ابنته سيفه او شيئاً من سلاحه،  
 وترقص به بين النساء . ولهذا الرقص اصول وقواعد خصوصية . والبعض كن « يشحرن »  
 وجوههن وايديهن ويلوثن الحيطان بشي . من « الشعار »، ويتلفن احواض الازهار  
 والورد التي عندهن، ويمزقن ثيابهن ويلطمن خدودهن فيجرحنها جروحاً عديدة .  
 ثم يتوارد المعزّون الى بيت الفقيد من رجال ونساء، ويجتمع كل من الفريقين في  
 غرفة خاصة . فيدخل الرجل قائلاً : « العوض بسلامتكم، او البقية في عمركم »  
 فيجيبه اهل البيت : « عمركم باقي، او على سلامتكم وسلامة اولادكم » ويأخذون  
 يتجاذبون اطراف الاحاديث مما يناسب المقام

ويظل الرجال يترددون على اهل هذا البيت مدة طويلة او قصيرة بحسب مقام  
 الميت واهله، فيخففون عنهم مصابهم ويؤاسونهم . والنساء القريبات لاهل الفقيد  
 ينمن عند اهله بضع ليال . ثم يخف ذلك رويداً رويداً على توالي الايام . ويبقى  
 مع ذلك على الناس ان يزوروا بيت الميت في ايام الاعياد، و« يأخذوا بخاطرهم »  
 في بعض الظروف الى سنة بعد الوفاة

## الاهازيج والارغاني

اختتم مؤلّفي هذا بتدوين ما لم ادوته من مطالع الاغاني والاهازيج، التي كانت  
 رائجة في الماضي وكان الناس يتغنون بها في هذه البلاد في افراحهم واوراق انهم  
 ولهم، وبعض ابيات من العتابا والموليا، قبل ان تحوها السنون مع ما تحت، لتبقى  
 محفوظة . فعسى ان تروق القراء الكرام

مطلع او نوزمه الاغاني للرفص على الترفيع المارج

شفت القمر متجلي من قبالي طلّ	حاكيته مدري ايش قالبي دشرني وفلّ
او لا تمايل مقبالي دخلك يا غزال	بتوقع والمطرح عالي بالله تذلّ
او يا غزالي يا مدلل يا غزال	حاج تعذب مهجتي يا ابن الحلال
او يا غزال البرّيه وارد عطشان	كنّه مهره رباعيه طالب ميدان
او حي عما يناديلي من سوق الشام	الله يحرس هالميلي وذاك الهندام
او يا بومنديل مخمّ لا تتلّم	ليش تحاكي البراني جارك الزم
او يغبوني عاليغبوني دخلك يا غمين	وانا التايه دلوني عالدرب منين
او يا لايم الله يليمك لايني ليش	ومدور في خلق الله مدري قدّيش
او نيال العنده تينه جوات الباب	ياكل منها ليشع من غير حساب
او غزالي غزالي طاب شغلك طاب	والقمر سلاني لنصّ الليل وغاب
او يا سمر بالله حنوا علينا	مهما تظّلوا نحن اشترينا
او يا ليل ويا ليل طول علينا	نحن الحبايب هون التقينا
او سير ظريف القامة	حجله ذهب يا ياما
او يا مرجبا بالنشي	واركيته تباري له
او يا تمر مالك نوى	عندك رماني الهوى
او لله لله يا بنيّه	يا وارده عالميه
انت الدلال يبلقلك	وانا التعتير عليّ
او بالله عليك يا قر	سلم على حبالي
او ما احلى الشب بجماله	والختيار بكماله
او يا ريحان بصدر الدار	تعجني دواليه

(١) اي راح (٢) كانه (٣) اي حتى نصف الليل (٤) اي هنا (٥) اي نواة  
(٦) هذه يفتوحها لرجل قريب من الشيخ

## الاهازيج والاغاني

او	يا ريحاني يا ريحان	كل يوم تشرب عدان
او	ايشلي بَشَمَكْ ياريجان	عندي الورد ييكفيني
او	يا حيف الزمان يروح	وايام الجهل تولي
او	يا قرنفة ال بالشباك	بدي منك تشكيله
او	يا ليلة هنا وفراح	للي حظي بمحبوبه
او	يا عمي يا بغدادي	وَصَلَنِي عَلَى بِلَادِي
او	يا سيدي مَشَمَش الحوي	داب على امه داب
	غصين البان يا مَيَّال	مال على امه مال
	يا عيني مَشَمَش الحوي	مال على امه مال
ثم	رافق اجاويد منهم تكتسب وتنال	ويعدلوا محملك بيناتهم لو مال
	بوصيك يا صاح لا ترافق من الاندال	تصح مضيع لا مكسب ولا رسال
	مال على امه مال	يا عيني مَشَمَش الحوي
	داب على امه داب	

## اللازمة

هيك مشق اذعروره يا عيوني هيك

هيك مشي الفندوره يا عيوني هيك	هيك شكل التنوره يا عيوني هيك
هيك صيد العصفوره يا عيوني هيك	هيك مربى القصوره يا عيوني هيك
هيك يسايو مراته يا عيوني هيك	هيك يجاكر حماته يا عيوني هيك
هيك يستقبل ضيفه يا عيوني هيك	هيك يلعب في سيفه يا عيوني هيك

وكثير من هذه الادوار ترقص عليها المرأة وهي تغني وتشير بيديها محاكية كل ما ذكره، والناس يرددون اللازمة فقط

مطلع الاغاني للرقص على الدفء الدبر عظامه

يا ورد خدك غسل وجناينك جنبه

او	يا حليوه داب رمانك	وانا على الباب استئي <sup>۱</sup>
او	يا نايه يا نايه	خلوا الحليوه نايه
او	يا طير الحمام يا	يا طير الحمام ليه
او	روحوا يا بنات	خلوني بحالي
او	فتح زهر اليلسان	على امه غصان غصان
او	عاهيله والميله	يا سروج الخيل
او	امان يا امي	والمشق بليّه

### مطالع اهاني للرفض «سجها» اي منجهو<sup>۲</sup>

يا دار السعد يا دار	عمرانة وتريد عماراً
او	مكسب هالساعه مكسب
او	ام يا با بدي عبا
او	يا ولد يا جوبا
او	لي يا ربي لي
	يا ولد يا جوبا

او	نحنا دقّاقين الهيل	اماره بظهور الخيل
او	يا عمي دير القدح	بير المويه نضح
او	لمن هالمنسف	يدير على حروفه
	منسف فلان الفلاني	نحن الليله ضيوفه

اما الشبان فيقولون هكذا :

نحنا كسرنا الخياله	وندل عالموت دلالة
او	نحنا صبيان وشباب
او	برهوم وشلك عندنا
	بضرب القنا ما بنهاب
	حوران والنقره لنا

(۱) اي انتظار (۲) يقولونها حينما يدخلون دار العريس او دار احد الوجها.

مطلع الاغاني التي قال في الدبكة وبنباري فبرها الورداء

يا زينه زتي وزيني عاجناح الوز	ما بطقش ميازيني عا وقية رز
قالوا ليش واقف عالباب	قلت حبائي جواته
راسي شاب وقلبي داب	وكل من يحكي صفاته
عندي حوض من الريحان	مزروع بمجد الميه
واسقيته بكعب الفنجان	والناس مشتلقه علي
شربت البحر ونشفته	ومشيت بارضه حافي
احلف يمين ما شفته	ولا بلبل روس شغافي
يا اللي تلعب بالحشطب	اصحى ودير بالك تعرض
بدنا ندرس فن الطب	حتى نداوي اللي يمرض
بطلنا جميع القول	وبدنا نرصد عالقمحه
هتلي حبي يداويني	ويعطيني بتمي قمحه
شدوا رفاقي عالرحيل	وانا دنيت جمالي
ماكل من غنى يا ليل	بنديعه من القوالي
كنت بزماي غني	القواله تاخذ غني
لا تخميتي نسيت القول	لكني موقر سني
طلعت شمس الميالي	من فوق الجبل العالي
والجاهل عقله دوآر	وانا بعرف من حالي
الحصر ييمرق من الدمليج	ما بيحمل ثقل الزنار
يا رفاقي لئن يموج	اسرع من بيور النار
او يا صايد الاحجال	من صوت حبي جمالي
او ياريمه اللي باول الغزلان	ترعى النفل والعشب والريحاني

مطلع اغاني الله بكذ المنجذ وكانه الباب والصبايا بربكونه عليها " للبط "

هيكالو هيكالو العرضه يا جمالو  
علي العلي العليو يا مززه بشاليو  
عالميم عالمام بيضه وحمرة يا سلام  
فطوممه فطوممه العالي يا بونجوما  
عالدوم عيني عالدوم محلله وتريد النوم

### اغاني سرقه

هي هيو راكين النوق ريشوا هجنكم لي

\*\*\*

بطه وحمامه	يتقابلوا على العين	يا ويلي بطه وحمامه
ريش النعامه	يا جديلة المحبوب	يا ويلي ريش النعامه
غرني بزبونو	تاري الولد فلاح	يا ويلي غرني بزبونو
فدوه لعيونو	كلمن لبس العقال	يا ويلي فدوه لعيونو
مسعد يا تنود	يا مللم الزينات	يا ويلي مسعد يا تنود
واخذ بلور	والعين عين عقاب	يا ويلي واخذ بلور
دق المجيدي	دقيتي يا شوق	يا ويلي دق المجيدي
وانا بجديدي	كل المهاره طلاق	يا ويلي انا بجديدي
طوحي يا غيمه	بين السما والقاع	يا ويلي طوحي يا غيمه
والله ظليمه	بنيه مجضن شايب	يا ويلي والله ظليمه
ثم جيني وفوت	والعب على الحدين	يا ويلي ثم جيني وفوت
تلي العمر موت	وايش لك بحكي الناس	يا ويلي تلي العمر موت
من هونه للعراق	حب العشق ممدود	يا ويلي من هونه للعراق
يا شهر الفراق	ريتك ما هليت	يا ويلي يا شهر الفراق



كَدُوا تَروره	صدر البنيه امام	يا ويلي كدوا تَروره
نقشة صدوره	طرز القباني شام	يا ويلي نقشة صدوره
حلوا شعرهم	تزلوا على الحنَّام	يا ويلي حلوا شعرهم
وانتِ قرهم	كل البنات نجوم	يا ويلي وانتِ قرهم

غيرما

يا ويلي من الاشعلي طول الغيبه علي

### يون عتابا بهريره

ما قال عبيد والهادي ما حَدَلِي	الطريق وارتع الفاني ما حَدَلِي
كما الناعوص انا انعي بمحدلاي	والهي من بير الناظر مياه
يا عقلي راح ولساني تبلبل	ودمعي لا زياق التوب بلبل
عَمَّ صدري عنك جيت بالبال	وانت اسباب حزني والغشا
بالله يا ظبي نجران إلى فين	عسى أنك من بني رضوان لافين
ذوايب كَنَّا ثعبان لا قين	وجاذب مثل عيوق الدجا
شدوا زملهم من فوق عوده	بزيزه وما بها ورده وعوده
يا ربي ان كان ما بالحي عوده	دخيلك باللقا يوم الحساب
يا قلبي كنْ خامشك مجاريد	عليهم متني ساق المجاريد
كم دزيت لحباي وما جارد	الكتاب ولا ورد منهم جواب
ما كنا نظن يا يوبا بظلوم الـ	دهر من كثر ما ربينا بظل وما
اشوف الدهر غازينا بظلوله	وما من نرتجي منه هدى
ما كنا نظن يا يوبا يكيدنا الـ	دهر من فوق طاقتنا يكدنا
لولا كبر رجوانا يا كدنا	نُفَقَى من قبل ما نشوف الرجا
ما كنا نظن يا بالابد لنا	الدهر وينحون فينا لا بد لنا
رجانا بالمهيمن لابد لنا	من ايام ترتجنا سوا

ما كنا نظن يا باكامي لنا	الدهر ما نعد يومي كام إيلنا
كانون الحلايق كميلنا	ميلوا اصبحوا عنا جناب
طرب طاري رقب طارق قصب سال	سعي ساجد سحب سيف المعى سل
سرا لاجل السرق عقله وما سال	ذنب ما من زعلكم كي <sup>(١)</sup> باب
عذر صونجك ذنب قل لي بلا زعال	شبه طولك شكل جسمك برزعال
حلي طرز العرندس والبرز عال	جبق دردور مصر <sup>(٢)</sup> من الرطاب
عجيف آني المحس مني الاسي دل <sup>(٣)</sup>	ترج عني مهاة البيض ما اسدل <sup>(٤)</sup>
اذا ما عسس الديجور واسدل	وحش غاش الطلل منه غثا
يا همي ما يشيك عشر تلاف	الزمل والعقل بعد الولف تالف
بالله تلتوا لي السلك تالف <sup>(٥)</sup>	الجروح اللي غدت بدها عصاب
سرى قلبي الحزين وسار يمكن	باقوى مركباً ويجوض يمكن
يا قلبي عود حاج تقول يمكن	تنال الرد من بعد الجفا
يا حادي قبل زف العيس عج با	ضمن لا ما يصيب القلب عج بال
لو ان اللي بقلبي كان عاجبال	لهدمدت العوالي للوطا
هلي ما لبسوا الخادم سلهم	وبكبود العدا دايم سم لهم <sup>(٦)</sup>
يا تاري الناس ارض واهلي ساء لهم	كواكب والنجوم إلهم قراب
جليت هموم يا صاحب متل تل	الصدى والهم عا قلبي متتل <sup>(٧)</sup>
يا طارش روح لجابي متل تل <sup>(٨)</sup>	غراف وهات لي منهم جواب
سلام ارسل خلاني مع الشوح	وايش تنفع مناداتي مع الشوح <sup>(٩)</sup>
يا ربعي لا تليموني معي شح	العقل عافراق ولقي والحباب
مسلك ما قطب جروحي وشلهم	ودمعي سابق الغارف وشلهم <sup>(١٠)</sup>
جمل ما تار جهومي وشلهم	وعياً ولا نقل فيها وخطا

(١) بمعنى لاي (٢) اي ما استدل (٣) اي ساء لهم (٤) اي مكو

(٥) اي الإيحاء بالبد (٦) الوشل : ماء في البرية

انا لورن عالخلان وتال      ربيط وقاضينه غنوز وانتل  
 لويس اذبح ثلاته رحيل وانت ال      كنفيل ان كان عدنا للعجاب  
 هلي شالوا على عوج التواريك      زماني صد وانطاني التواريك  
 قومي عاد يا نفسي تواريك      العدو الي بغيقتنا اشتفى  
 رحال المهم لدعيها سوانح      أبدا ما شالها زمول السوانح  
 بعدكم ما يسليني سوى نوح      وهلاهيل المدامع والبكا  
 ابات منكدا عيشي وألم حل      حزين مفارق حبالي والمحل  
 اريد من الحبايب بس لمح ال      نظر واقول خاطرکم کفی  
 تفرك يا ظريف الطول بسام      وريقك يبري الملسوع بالسّم  
 الا يا ماخذين الروح بس ام      هلونا لنودع للحجاب  
 بشعرك يا ظريف الطول لمعان      على نوره يسير الحج لمعان  
 بجياتك يا عثير صباي لم عن      على بالي سوى شخصك حدا  
 تزل دمعي على خدي عندما      غزير ولطخ زياقي عن دما  
 وكل الحزن فاجاني عندما      رحلم ما افتكرتم بالاياب

### بعض اقوال على المعنى

#### اللازمة

يا زين حسنك زاد وزنه عن قنوع      اهل الذكا والفن تأتي لك خضوع  
 الفرق ما بين الثريا والثرى      الفين قامه بالزول وبالطلوع  
 الفرق ما بين الثريا والثرى      الفين قامه بالتام مقدّره  
 لو تعلموا بالصار فينا والجري      قبل الرواح كنتوا تهموا بالرجوع

(١) اي : انا انوح على خلاني نوح المبيد الذي قبض عليه عرب عقده وجروه اسيرا  
 فأذبح للولي المدعو ويس ثلاثة من الضأن، اذا كان يكفل لنا العودة الى الأحباب  
 (٢) من الورك اي الجنب (٣) اعطاني جنبه (٤) الى معان

قبل الرجوع كنتوا تهموا عالرواح	بلكي الهم يزول واحصل عائشراح
يوم غرك ما بضرك	بعد سرك ما انباح
حق البتول الطاهرة ام المسيح	لحفظ وداذك مثل ما احفظ يسوع
حق البتول الطاهرة والانبيا	لاجلك تبعت الفن وتركت الصلاه
موشرطنا	عاشرتنا
برجا جنابك ما بتسمع لي كلام	ليش السبب من يتنا نفسك قنوع
برجا جنابك ما بتسمع لي كلام	نحن ما عنا خبار ولا علام
بدر البدور باعلى القصور	مع الطيور لبث سلام
يقولوا لكم بافصح لسان ويخبروا	بلكي أنكم ليننا ترخوا القلوع
يقولوا لكم باحلى لسان ويخبروا	والقلب عالفراقات الله يصبره
يوم اللقى تعطوا نقي	يكفي بقى تكبروا
ما هوش حق الله منكم يا فلان	تبدلوا سهل الهوى بوعر وقلوع
ما هوش حق الله منكم يا فلان	تبدلوا قمح الصليبي بزوان
جسمي لوى قلبي اكنوى	جمله سوى شكال ولوان
يا حسرتي ابكي على سعدي قليل	السعد ييطالع موته من النبوع
يا حسرتي ببكي على سعدي قليل	كيفما مال الهوى قلبي يميل
صدري طبق قلبي احترق	يوم الفراق صبرا جميل
الله يجازيكم ويا اكنتوا السبب	والعين تبكي على مفارقة الربوع

### غبره

#### اللازمة

يا اله العرش يا موجود	لا بد ما نفنى طعام الدود
والموت كاساته بتعيني	نحن تراب وللتراب نعود
والموت كاساته بتعيني	ربي بذني لا تحاسبني
جانني بليس حتى يجربني	عذب ضميري في فكار السود

يا ما ليالي ما غمض جفني	في فكار السود خوفي
وتحضري في موقف المعبود	يا عين لازم في البلا تفني
والخطايا بصك مكتوبه	تبقى من الديان مرهوبه
وأذكري قول النبي داود	يا نفس ما داملك زمان توبه
وتفكري في وقفة الديان	وتذكري قول النبي يونان
وفي هلاكك يبدل المجهود	وبليس ناظر ميلة الميزان

## غبره

## اللازمة

يا ما قتل متلك بدون قتال	يا قلب مالك والهوى القتال
بالوجد يضني الجسم والواصل	لا رمح بيده ولا عصا ولا سيف
يقضي على الوهان ظلم وحيف	لا رمح بيده ولا عصا ولا سيف
ويضيع عمره قبل ان يوصل	واللي يخوض الحب يترمر
ما بين ابيض واسود واحمر	واللي يخوض الحب يترمر
وتبات احواله باسوا حال	يقضي زمانه دوم بالتفكير
والهم عاقله يصير كبير	يقضي زمانه دوم بالتفكير
ما يظل عنده من العقل مثقال	ويضيع ماله ويضطرب حاله
والمايشوف الحب نياه	ويضيع ماله ويضطرب حاله
يمشي بكيفه يتبختر ويمتایل	يرتاح باله ولا يشوف الضيم
ويحالفه التوفيق ربي علم	يرتاح باله ولا يشوف الضيم
يا ما قتل متلك بغير قتال	يا من تريد الحب دير بالك

## غبره

## اللازمة

بين القلب والعين صار قتال	قال المعنى قول ما له مثال
وهي تقول للقلب انت مياال	القلب يتهمها بنظرها

القلب يتهمها بنظرتها والعين تجري سيول عبرتها  
يا وقعة ما بين قلب وعين يا ما اشوف بين الاثنين هوال  
يا وقعة ما بين قلب وعين من هولها رايح اعوف الدين  
يا رب تفرجها على المتلي وتغير الحال باحسن حال  
يا رب تفرجها على المتلي من بحر جودك صبر تبعتلي  
على فرقة الاحباب قلبي داب والعين تبكي والدمع سيال  
عافرة الاحباب قلبي داب عالدوم يثمرر ويتعذب  
والولف مسافر ما على باله يا حسرتي من خيبة الآمال

### بن السمرة والبيضة

قالت البيضة اصلي من الحليب لو انطبخ بالرز مأكوله يطيب  
روحي ويا سوده ويا قشر الزبيب شدي وهدتي من بلدنا وارحلي  
السمرة

ما قالت السمرة انا القرفورة يا حسن دولاي كما الناعوره  
روحي ولك بيضة ويا مصفوره شدي وهدتي من بلدنا وارحلي  
البيضة

ما قالت البيضة انا خبز الرقاق هالطيب الماكول من فوق الطباق  
روحي ولك سوده ويا سيقان قاق شدي وهدتي من بلدنا وارحلي  
السمرة

ما قالت السمرة انا بن اليمن هالطيب المشروب هالغالي الثمن  
روحي ولك بيضة ويا ضرف اللبن رطله بصريتين ولو انه غلي  
الحكم

قوم يا اديب وافصل دوله واكتب لهم عرضين عند الدوله  
والبيض لو دقوا بسبع طبلوله والسمر ريش نعام فوق الخملي

## خاتمة

هذا ما تمكنت من جمعه من هذه الصور، التي تحت الايام  
 بعضها، وستمحو بقيتها وتستبدلها بما يتسرب اليها بطريق  
 التطور، مما يغزو بلادنا من عادات نقتبسها ونسير  
 عليها الى ما شاء الله . فأرجو من القراء الكرام  
 ان يغضوا الطرف عما يُرى بمصوّري هذا  
 من النقص، لانني لست من رجال هذا  
 الميدان . لكنها، كما يقول البدو،  
 « نوبه وصارت » او لك  
 ان تقول : « رمية  
 من غير رام . »  
 والسلام



## تصحيح خطا

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	الاخير	دير مار موسى الحبشي	دير مار موسى الحبشي في الجبل الشرقي
١٩	١٥	القياس بالمرّ	القياس بالمرّ
٤٨	٩ و ٦	الشراندرمة	الجاندرمة
٥٧	٢	مدّا ونصف مدّ	مدّا او نصف مدّ
٥٧	١٣	ويريد	ولا يريد
٦٠	١٩	ما بين ١٣٥ و ٢٦٠	من ١٤٤ الى ٣٢٤
٦٢	١٦	والدبس	او الدبس
٦٧	٢ (السطر ٢)	بيت العرب	بيت الحجر
٧٣	٢٢	عقصة	عقصة
٨٤	١٨	للجمع	الجمع
٩٤	٥	حاملاً	بمحمل
٩٥	٨	والبعيدي	البعيدي
٩٧	١٥	الشيخ على	الشيخ عليّ
١٠٦	٨	تليق	تلبّق
١٠٩	٢١	ردّ	ردّد
١١١	١٣ و ١٢	نحب قراءة اليتيم هكذا :	
		شربت البحر ونشفته	ومثيت بارضه حافي
		بجلف بين ما شفتنه	ولا بلبل روس شفاقي





Suit une description détaillée des coutumes relatives aux repas, aux visites, aux soirées ( p. 19-33 ) ; puis des divers costumes en usage dans le pays ( p. 31-44 ). Cette partie abonde en illustrations variées.

Les 30 pages suivantes ( 44-72 ) traitent de l'agriculture dans toutes ses phases. Elles se terminent par la description de la préparation assez compliquée du « borghol », du raisin sec et du moût de raisin sec. Ces pages sont agrémentées par les chansons pittoresques qu'il est d'usage d'exécuter durant ces divers travaux.

La majeure partie de l'ouvrage ( p. 73-131 ) est consacrée aux cérémonies préparatoires au mariage et au cérémonial des noces. Ce cérémonial, extraordinairement compliqué, mais particulièrement intéressant et varié, disparaît de plus en plus. Il était temps d'en fixer les détails devenus déjà quasi inconnus pour beaucoup de Syriens des grandes villes et de la diaspora. Ce qui fait le charme de ces pages, ce sont les chants populaires en usage dans ces circonstances, autrefois occasions presque uniques de jeux, de plaisirs et de distraction.

Suivent, en 6 pages ( 132-137 ) les détails relatifs aux naissances, au baptême, à la circoncision.

Dans une douzaine de pages ( 138-148 ) l'auteur décrit ensuite, en un style vivant, alerte, une soirée dansante, puis ( p. 149-155 ) la fameuse dabkée ( danse en ronde ) orientale.

Huit autres pages ( 156-163 ) sont consacrées à l'étude des principales fêtes musulmanes et chrétiennes. Ces pages contiennent, en particulier, une description pittoresque des diverses scènes de faqirs et des danses religieuses auxquelles ils se livrent à l'occasion des fêtes musulmanes.

L'avant dernier chapitre ( p. 164-166 ) traite des cérémonies funéraires.

Enfin, l'ouvrage se termine par un petit recueil des plus célèbres chansons populaires.

**DIRECTION**

DE LA REVUE "AL-MAÇARRAT"

## RÉSUMÉ

Le livre que la Revue « Al-Mağarrat » présente aujourd'hui au public intéresse les habitants de la Syrie, principalement les émigrés.

Mais il n'en sera pas moins goûté par les nombreux Orientalistes qui sauront gré à l'Auteur d'avoir réuni, en un volume illustré, les coutumes les plus pittoresques du Proche-Orient.

Doué d'un esprit d'observation peu ordinaire et d'une mémoire prodigieuse, Monsieur J. Khanachet a su former, de ses souvenirs et de ceux de ses compatriotes, des tableaux captivants, qui font connaître au public les coutumes d'hier, en train de disparaître pour faire place à une civilisation nouvelle, peut-être plus raffinée, mais moins simple et moins naturelle.

Pour conserver ces précieux vestiges d'un passé qui s'en va ; pour les fixer, autant que possible, par l'image, nous avons tenu à présenter à nos lecteurs ce volume illustré qui leur parle d'eux-mêmes, de leurs parents, de leurs amis, de leurs aïeux. Il dira un jour à leurs petits-fils comment vivaient leurs ancêtres. Il peindra aussi à ceux qu'attirera toujours l'Orient enchanteur, quelques traits de la physionomie de l'Oriental, auxquels — nous l'espérons — le temps gardera leur charme justement fascinateur.

\*\*\*

Voici, au surplus, pour nos lecteurs d'Occident, un bref résumé de ces pages originales.

Après avoir décrit, en quelques pages ( p. 1-9 ) la petite ville de Nabk, capitale du Kalamoune, l'auteur trace, à grands traits, la vie au Kalamoune en général : les travaux, la nourriture, les occupations féminines. Il s'attarde, en particulier, à montrer la façon de préparer certains mets orientaux, que les Occidentaux, de passage en Syrie, apprécient justement et devant lesquels ils restent tout intrigués ( p. 9-19 ).

**PUBLICATIONS DE LA REVUE « AL-MAÇARRAT »**

**ORGANE DU PATRIARCAT GREC MELKITE CATHOLIQUE**

---

# **An-Nabk**

**et**

# **Jabal-el-Kalamoune**



**MŒURS ET COUTUMES**

**VERS LE MILIEU DU XIX<sup>e</sup> SIÈCLE**



**PAR**

**JOSEPH M. KHANACHET**

**TOUS DROITS RÉSERVÉS À L'AUTEUR**

**1936**

**IMPRIMERIE  
DE S. PAUL  
HARISSA - LIBAN**